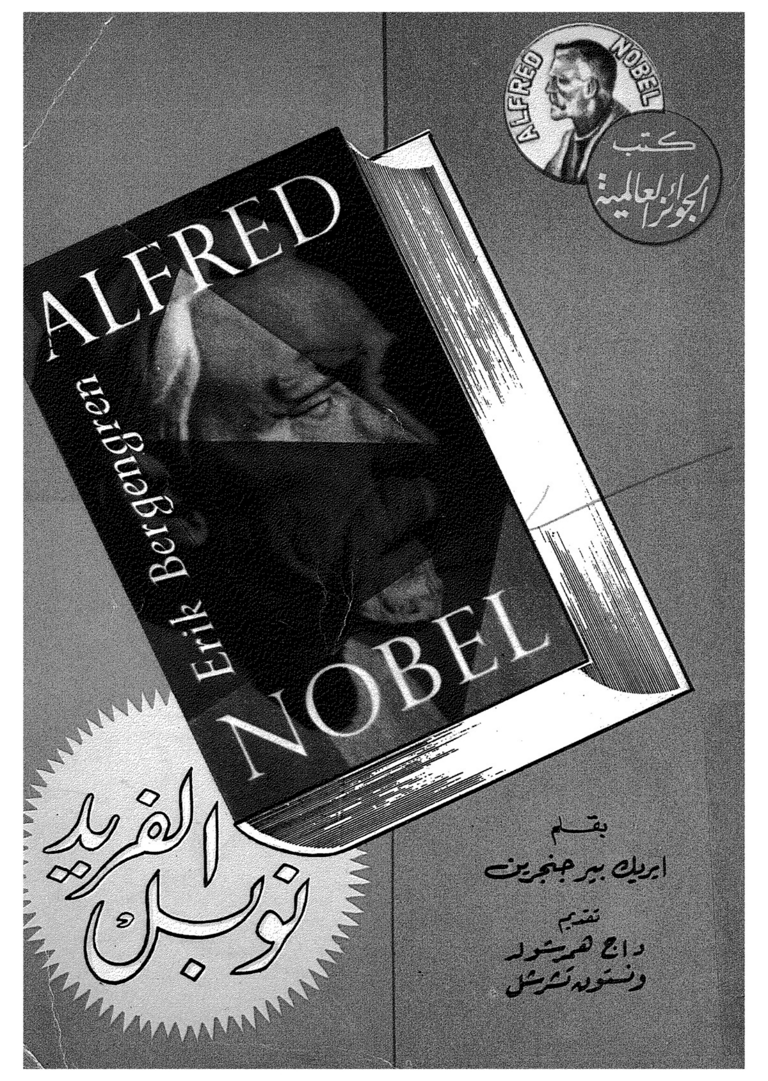


ALFRED NOBEL
كتب الجوائز العالمية
ALFRED NOBEL
Erik Bergengren
ألفريد نوبل
بقلم
ايريك بيرجنجرين
تقديم
داج همرشولد
ونستون تشرشل

إهـــــــداء2005

أ.د./ محمد عثمان نجاتي

القاهرة

كتب
جائزة
نوبل

الفريد نوبل

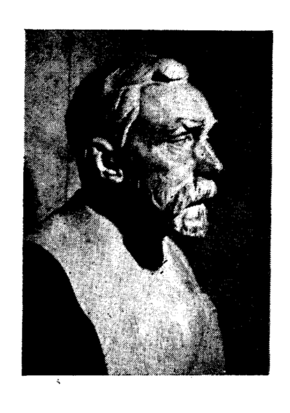
بقلم

إيريك بيرجنجرين



ترجمة : بهجت عبد الفتاح

مراجعة : حسين الحوت



أجمل تمثال من المرمر السويدى لألفريد نوبل من صنع المثال السويدى المعروف « كريستيان اديكسون » على ردهة درج منزل نوبل فى ستكهولم



كلمة عن المؤلف

كان ايريك بيرجنجرين فى السنوات العشر الأخيرة يعمل فى ((محفوظات ومكتبات مؤسسة نوبل)) باستكهلم . ومن ثم كان قريبا من كل ما كتب عن هذا الرجل .

والمؤلف كثير التجوال فقد ذهب الى أوروبا وآسيا والشرق الأقصى والشرق الأوسط والامريكتين وزار بريطانيا عدة مرات . وقضى كذلك عاما فى اكسفورد ، وكان فى كل هذه الرحلات مندوبا للصليب الأحمر .

كما قصد الى الشرق الأقصى وكوريا عام ١٩٣٤ .. والى ألمانيا وأوروبا المحتلة فى الحرب العالمية الثانية ، وتونس فى أثناء القتال عام ١٩٥٢ .

وقد أشرف على لجنة الصليب الأحمر التى أعادت الجنود من المعسكرات فى ألمانيا عام ١٩٤٥ .

ألفريد نوبل

كلمة عن الكتاب

سرد واع دقيق لحياة نوبل وأعماله الكبيرة وما لقيه فى هذه الحياة من انتصارات ومتاعب .. وعن أسرته التى اهتمت بالعلوم اهتماما كبيرا . وكذلك عن الوصية التى أدهشت وأثارت الكثير من العجب فى العالم.

تقديم

بقلم
داج همرشلد

لقد أصبح اسم الفريد نوبل معروفا فى جميع انحاء العالم — ويرجع الفضل فى ذلك الى الجوائز التى أوقفها فى وصيته لكى توزع على الاعمال العظيمة التى يتمخض عنها الفكر الانسانى فى مختلف فروع نشاطه .

على أن الرجل الذى يكمن وراء هذه الجوائز .. يعد ذا شخصية معقدة — وان تميزت بالمثل العليا وبالنظرة العملية للامور — شخصية غير معروفة بالقدر الكافى .. ولا بد أن توفى حقها من الاهتمام .

وهذا الكتاب يحاول أن يعطى صورة — وان كانت مقتضبة — لرجل يعد فى طليعة الرجال ، ولرائد أوقف ثروته لصالح الانسانية ، وذلك بما حباه الله من خيال ثاقب ومن نزعة بناءة .

ولقد تميزت الفترة التى مضت منذ وفاة نوبل بأعمال ثورية فى مختلف فروع العلم .

والله ندعو أن يحقق حلم نوبل فى أن تتهيأ الظروف لحياة افضل يظللها السلام بين جميع الشعوب — دون نظر الى معتقداتها الدينية أو انظمتها السياسية أو نواحيها العنصرية والقومية — وذلك عن طريق تقدم العلم الذى أوقف عليه نوبل كثيرا من الجوائز التى منحت باسمه حتى وقتنا الحاضر .

تقديم

بقلم
ونستون تشرشل

ان من دواعى سرورنا أن نظهر سيرة الفريد نوبل فى طبعة باللغة الانجليزية . واننا لنعرف جميعا المثل العليا التى أوقف عليها نوبل حياته .. ولقد أصبحت تلك المثل رمزا للمحاولات الناجحة لتقدم فروع البحث والمعرفة ، كما أن تلك المثل شاهد قوى على ماتتمتع به الشعوب الاسكندنافية من مكانة فى كفاح الشعوب المتمدينة فى سبيل تحقيق عالم أفضل .

مقدمة

بقلم

آرن تيسليوس

رئيس مؤسسة نوبل

والحائز على جائزة نوبل فى الكيمياء لعام ١٩٤٥

لقد أخذ الاهتمام يزداد بشخصية الفريد نوبل ، وبأعماله وبالجوائز التى أنشأها ، وليس هذا الاهتمام قاصرا على بلاده : السويد ، ولكنه تعداها الى العالم الخارجى . ولقد نفدت كل الكتب المتنوعة التى وضعت عنه بلغات مختلفة .. كذلك تلك التى كانت فى متناول مؤسسة نوبل .

وبالاضافة الى ذلك ، أخذت معالم جديدة فى حياة نوبل تظهر الى عالم الوجود .

ولذلك رغبت المؤسسة فى أن يكون فى حوزتها موجز للمعالم الرئيسية لشخصية نوبل وحياته ، على أن يحوى هذا الموجز وصيته مع شرح نظام المؤسسة والهيئات التى تقوم بمنح الجوائز .. وما تقوم به من أعمال غير ذلك مما يهم أكبر عدد من عامة القراء .

والكتاب الذى قام مستر اريك بيرجنجرين بتأليفه عن حياة نوبل سد فراغا كبيرا . ولقد أتاحت له معرفته بما تحويه وثائق ومكتبات مؤسسة نوبل من مواد جديدة .. كما أتاحت له معرفته بما يوجد فى أماكن أخرى من مواد .. أن يقوم بكتابة سيرة صحيحة لتاريخ حياة نوبل ، وأعماله ووصيته .

وان المؤسسة لتزجى الثناء لمستر بيرجنجرين للطريقة التى عالج بها تلك المواد ، ولنجاحه فى أن يضم مؤلفه كثيرا من المواد الجديدة التى لم تنشر من قبل ، ولعرضه هذه المواد بطريقة واضحة تثير الاهتمام . كما أن مستر بيرجنجرين قد قام بالقاء ضوء على العناصر المتناقضة فى شخصية نوبل بطريقة تدل على هضمه للموضوع . ولقد ظهر من واقعية معالجته له من هذه الزاوية الجديدة أنه يمكن جمع هذه المتناقضات بحيث تلقى ضوءا على ما قام به نوبل من أعماله فى حياته ، تلك الاعمال التى كانت تشمل نواحى عديدة هامة .

ولقد ساهم مدير المؤسسة التنفيذى ، مستر نلس . ك . ستال فى الكتاب بالكتابة عن مؤسسات نوبل ، وطريقة منح الجوائز والادارة الاقتصادية لهذه المؤسسات

وتزمع المؤسسة أن تصدر هذا الكتاب أولا باللغتين السويدية والانجليزية .. على أن يترجم فيما بعد الى أكثر عدد ممكن من اللغات .

وبهذه الطريقة وحدها يحقق الكتاب الغرض منه وهو القاء الضوء على حياة نوبل ، هذا الرجل السويدى العظيم الذى توخى — عن طريق ما أوقفه من جوائز — المساهمة الفعالة فى تقدم الانسانية التى كان نوبل يعتقد فيها اعتقادا راسخا بالرغم من كل شيء وبدون تمييز قومى أو عنصرى أو دينى ..

مقـدمة

منذ أن قدمت أولى جوائز نوبل عام ١٩٠١ وهى ــ مثلها مثل الذين يحصلون عليها ــ تثير اهتمام العالم المتحضر . وقد أحيط ديناميت نوبل بهالة معينة من الاحترام ، وذلك منذ الوقت الذى عرض فيه فى الأسواق عام ١٨٦٧ ، وأصبح الديناميت قوة عنيفة . وندر بيننا من لا يعرف ــ ولو قليلا ــ عن أهميته وأثره المروع الهائل .

ولكن هذا الديناميت ــ بالنسبة لمخترعه ومؤسس جائزة نوبل السويدى ألفريد نوبل ــ كان شيئا آخر .

وبعد أن انقضت فترة قصيرة عقب موته فى عام ١٨٩٦ كتب الكثير عنه .. سيما بالنسبة للوصية التى كتبها وللاختراعات التى قام بها .

واليوم ، نجد اسمه يلمع كل سنه ، فنسمعه فى الاذاعات والتليفزيون ونقرؤه فى الصحف .

على أن الرأى العام بقى يعـرف القليل عن الرجل نفسـه : أصله ، أسلافه ، أفكاره .. فلم يكن نوبل يلتزم الصمت طيلة حياته فحسب .. بل ان بعض ما صدر عن حياته أيضا .. كان فى طبعات قليلة نسبيا .

ولذلك فان اسمه بالنسـبة للكثيرين قد ارتبط بشـكل مضطرب غامض بالديناميت وبالحوادث وبالعنف ، وكذلك بالبترول فى روسيا ، وبالثروة وبالجوائز التى تحمـل هذا الاسم .. بل وبلا شىء فى بعض الأحيـان .

وان معرفة هذا الرجل على حقيقته لأمر مرغوب فيه .. فلقد كان رائدا شهيرا يستحق أن يعرفه الجميـــع ، ليس من أجل الجوائز التى توزع باسمه وثروته فحسب .. بل من أجله هو أيضا كانسـان ، ومخترع وقطب من أقطاب الصناعة على مستوى دولى ٠

وقد كان أسلافه مشهورين .. كما كانت شخصيته الفريدة ــ مع لمسة العبقرية التى تتمتع بها ــ تجعل منه شخصا عظيما .

ان الكثير من مخترعاته قد أدى الى تغييرات ثورية .. وعلى الأخص فى النواحى التكنيكية للمتفجرات ، وفى التعدين والصناعة والنقـل .. وبالتدريج أصبحت هذه المتفجرات ــ والى مدى لم نكن لنحلم به ــ عاملا يحفز على النشاط فى مجالات كثيرة أخرى .

ومن خلال وصيته ، وهذا « الارث » الذى تركه للانسانية ، نجده ــ وهو الرجل المثالى الدولى ــ يحافظ على بعض القيم الحضارية الغالية التى اخترعها يجب أن توجه لخدمة السلام .

لقد كان نوبل طيلة حياته يمقت الحــرب ، وقد قال عنها : « انهـــا افظع الفظائع واكبر الجرائم » .. كما كان يؤمن بأن الديناميت والمتفجرات التى اخترعها يجب أن تذهب للاعمال التى تخدم السلام .

والحق أن هذه المتفجرات لم تستخدم فى حياته فى الشئون الحربية الا فى القليل جدا .. ومع ذلك فان الرأى العام لا يريد ، ولا يستطيع ، أن يتقبل ذلك .. ولهذا ، وما دام أن النظر الى الديناميت يتركز فى أنه عنصر للحرب والتدمير ، فقد بنى الحكم على مخترعه طبقا لهذا الفهم .

وحينما نشرت وصية نوبل على المـلأ فى عام ١٨٩٦ كانت محتوياتها متناقضة متباينة .. فلقد اجتمع الديناميت والعنف والحضارة والسـلام فى ذاتية واحدة هى ألفريد نوبل . وكان من الطبيعى أن تظهر كتابات عنها مليئة بعلامات الاستفهام والتخيلات .

ومنذ الفترة التى انقضت عقب وفاته وخصوصا بعد الجوائز الأولى عام ١٩٠١ ، وبعد عام ١٩٢٦ ، حينما ظهر أول كتاب عن حياته وهو الذى كان أساسا لكل ما أعقبه من كتابات عن هذا الرجل .. نشر الكثير من الكتب المقالات حول مخترعاته والاعمال التى ستقوم عليها ٠ وعن وصيته وعن مؤسسته ، وعن الجوائز والذين حصلوا عليها . وقد ذكر كل هــذا بالتفصيل وبكثير من اللغات ومن زوايا كثيرة مختلفة ، ومع ذلك فان الرجل الذى يكمن وراء هــذه الأعمال كلها ــ وهو نوبل ــ قد ظل بمنأى عن ان

يعرفه أحد معرفة دقيقة كاملة . ولذلك تعددت الآراء فيه ولكنها تحوى كثيرا من الأخطاء ، ولقد وجدت تلك الأخطاء طريقها حتى فيما كتب عنه حديثا . وهناك قصص كثيرة عنه وعن مخترعاته وكلها يعوزها الصواب . ومع أن الأبحاث الحديثة قد أثبتت خطأ تلك القصص .. الا انها تظهر بين آن وآخر ، وتصطبغ هذه القصص بلون يسيء الى صاحبها . ويمكن أن نقسم ما كتب عنه الى مجموعتين : ما هو غير ضرورى وليس به معلومات دقيقة وهذا كثير جدا ، وما هو ذو قيمة وهذا قليل . أما القصص التى كتبت عنه والأفلام والمسرحيات التى ظهرت فى كثير من البلدان فانها جميعا تعطى صورة مشوهة ويمكن أن نستبعدها ولا نلقى بالا اليها .

ان قصة حياة ألفريد نوبل مليئة بالأحداث الغريبة العنيفة حتى انها على خلاف السير الأخرى لا تتطلب مزيدا من الرومانسية . ومع ذلك فيحسن أن نسمعها فى واقعيتها المجردة وحينئذ فهى قصة رجل اشتغل بالشئون الفنية .. موهوب .. متواضع .. جرىء .. ثابت على المبدأ ، علم نفسه بنفسه ، رجل فتح عهدا جديدا باختراعه ، ورائد دولى — على الرغم من ضعف صحته — استطاع أن يشق طريقه الى النجاح — على الرغم من النكسات — فى أعمال مليئة بالأخطار ، يفعل هذا أيضا من غير أن يجور على غيره ، رجل أوربى سويدى عظيم ، نظر للعالم على أنه ميدانه ولكنه كان متحفظا وحزينا يفتقد السعادة ، ويحيا بشعور قوى بالعزلة . كان صديقا للانسانية يحمل المبادىء والمثل الرفيعة التى لم يتخل عنها أبدا .

ولم يرجع مؤلف هذا الكتاب .. فقط الى ما نشر عن نوبل من كتابات ، ولكنه رجع كذلك الى مصادر أخرى يوثق بها : منها رجوعه الى الأشخاص الذين ما زالوا أحياء والذين كانوا يعرفون نوبل .. فجاء هذا الكتاب ثمرة لدراسة منهجية شاملة قام بها المؤلف تحقيقا لرغبة مؤسسة نوبل ، وتقوم دراسته على الوثائق المحفوظة فى مؤسسة نوبل وغيرها من الجهات سواء كانت فى السويد أو البلاد الاخرى . وتحتوى تلك الوثائق على مراسلات المخترع وهى مكتوبة بخمس لغات كما تحتوى على مذكراته الشخصية والعلمية والاقتصادية والأدبية . ولقد وجدت من بين هذه المذكرات مادة على جانب كبير من الأهمية لم تستخدم قبل الآن .

ان من بين الكتابات الأدبية ،والفنية والصحفية التى أحاطت فى كثير من البلاد باسم نوبل وأعماله ، أو التى نسبت اليه وجمعت فى أثناء حياته ، ما هو على جانب كبير من الأهمية .. ولكن يجب تصنيف تلك

الكتابات وذلك لضمان الدقة . ولا يمكننا ان نجنى الثمار الا من البذور التى قام هو نفسه بزراعتها ، او من تلك البذور التى قام بجمعها بعناية أناس من الذين صحبوه فى الطريق الذى سار فيه .. أو من هؤلاء الذين ساروا فيما بعد فى نفس الطريق وعيونهم مفتوحة على الحقائق .

ويهدف هذا الكتاب الى جمع الحقــائق الموثوق بها والمتناثرة هنا وهناك ، وبذلك يمكن القاء الضوء على شخصية ألفريد نوبل وعلى أصله وما قام به من اعمال طيلة حياته ، وعلى وصيته الأخيرة .



الفصل الأول

اسم نوبل وأسلافه

أثار اسم نوبل تكهنات كثيرة فى الماضى ، ومهما يكن من أمر فاننا نستطيع أن نقول انه اسم سويدى تماما .. ومختصر للكلمة اللاتينية نوبيليوس ، ومأخوذ عن اسم المنطقة التى نشأت فيها أسرته .

ولم يكن نوبل ــ وهو فى ذلك يشابه أسلافه ــ يهتم بأصل الأسرة وأفرادها ولذلك لم يعرف الا القليل عن أسرته واجداده . وانغمس طيلة حياته فى أشياء أخرى كانت بالنسبة له أكثر اهمية وجدوى ، ولذلك نراه يقول : « من ذا الذى لديه الوقت ليقرأ تواريخ حياة الناس ، ومن هذا الساذج الذى يشغل اهتماماته بمثل هذه الاشياء ؟ اننى أوجه هذا السؤال الى نفسى فى جدية تامة » .

ومع ذلك فيمكن لهؤلاء ، الذين يداعبهم الاهتمام بأن يتتبعوا أصول أسرة ألفريد نوبل ، أن يصلوا الى اثنين وستين من الآباء والأجداد المباشرين من بين طبقة الفلاحين والبورجوازيين فى خلال خمسة أجيال تعود الى القرن السابععشر . ويبدو أن آباءه الأولين قد نشأوا فىإقليم « سكان » الذى يقع الى أقصى جنوب شبه جزيرة اسكنديناوة فى البلطيق . أما الأجيال التى تعاقبت من جهة أبيه .. فقد ولدت كلها فى وسط السويد ، وأما أجداده وأسلافه من جهة أمه فقد نشأ نصفهم من طبقة الفلاحين فى «سمالاند» شمالى «سكان» والنصف الآخر تألف من عائلات من الطبقة الوسطى عاشت فى أقاليم وسط السويد ، وقد حمل كل أجداده وأسلافه ، سواء من جهة أمه أو أبيه ، أسماء الطبقة الوسطى وطبقة الفلاحين فى السويد ، وواحد من اثنان فقط من جانب أبيه هما اللذان اشتهرا فى تاريخ حضارة السويد ومن بينهما «أولوف رودبيك» وهو ذو شهرة دولية . وقدكان هذا العالم السويدى المبرز أشهر أسلاف ألفريد نوبل ، ولقد ورثت عائلة نوبل عن «أولوف رودبيك» صفات بارزة لذا استحق الاشارة اليه .

كان « أولوف رودبيك » الذى عاش فيما بين عام ١٦٣٠ وعام ١٧٠٢ وهو ذو عبقرية فذة فى طاقته وتعليمه ، ذا مواهب فنية

وموسيقية . ثم انه أصلح من جامعة «ابسالا» وظل فترة من الفترات مديرا لها ، وكذلك القى دروسا فى موضوعات متباينة كثيرة مثل الفلك والرياضـــيات والطبيعيات والميكانيكيات والكيمياء والنبات والحيوان والتشريح والهندسة المعمارية وعلوم المدفعية وصناعة الأسهم النارية . وهى مجموعة من الاهتمامات التى كرست الأجيال المتعاقبة فى هـذه الأسرة لها نفسها من غـير أن تدرك المصـدر الذى استقت منه هـذه الاهتمامات . وعـرفت الأجيـال ، التى جاءت بعد ذلك ، هذا الرجل المتعدد المواهب ، باكتشافه الجهاز «الليمفاوى» عام ١٦٥٣ ، وبمؤلفـه التاريخى الأثرى الكبير « أتلانتيكا » ، الذى نشر فيمـا بين عام ١٦٧٩ وعام ١٧٠٢ . وكان هـذا الرجـل ـ أولوف رودبيك ـ الجد الثالث لألفريـد نوبل .

وهناك الكثير الذى يمكن أن نعرفه الآن عن أسلاف الفريد نوبل . فقد كان هناك فلاح يدعى «أولوف» فى نوبيلوف الشرقيـة فى ولاية «سكان» وكان لهذا الفلاح ابن موسيقى يتعطش للمعرفة . كان اسمه «بيدر أولوفسون» . وفى أواخر العقد الثامن من القرن السابع عشر غادر قريته التى ولد فيها ورحل الى الشـمال ، الى «أبسالا» ليدرس ويتعلم . وفى عام ١٦٨٢ التحق بكلية الحقوق فى جامعة أبسالا بعد أن غير اسمه الى«بيتروس أولاىنوبيليوس». وقد أتاح له تذوقه للموسيقى ان يدخل فى حلقة «رودبيك» الشهيرة ، وفى مجلسه الثقافى . وبعد أن حصل على درجته فى القانون عين قاضيا فى مقاطعة بالقرب من أبسالا ، وفى عام ١٦٩٦ تزوج من كريمة «رودبيك» وكانت تدعى «ويندلا» . وهكذا نجد أن «بيتروس» و «ويندلا» همـا من أجـداد عائلة «نوبل السويدية» . وأصبح نجلهما الأصغر الرسام وأستاذ الرسم فى أبسالا وهـو «أولوف بيرسون نوبيليوس» (١٧٠٦ ـ ١٧٦٠) الجد الأكبر لألفريد نوبل . وكان ابنـه طبيب الحى فى «جافل» واسمه ايمانويل نوبيليوس الأكبر (١٧٥٧ ـ ١٨٣٩) وهو الذى غير اسمه الى نوبل وقت أن كان يعمل طبيبا فى الجيش ـ وكان ذلك فى عام ١٧٧٥ حينما نقـابل لأول مرة الاسم الذى سيصبح ذا شـهرة عالمية ـ وكان ايمانويل رجلا مشهورا وهو الذى أصبح فيما بعد والد الفريد نوبل .



الفصل الثانى

آباء الفريد نوبل



ايمانويل نوبل(الصغير)
وهو والد الفريد نوبل

كان والد ألفريد نوبل ــ وهو ايمانويل نوبل الأصغر (١٨٠١ ــ ١٨٧٢) ذا عبقرية طبيعية وكان رائدا مرموقا فى عدة مجالات ، وكما أن المعرفة الحقيقية لشخصية ابنــه ألفريد المعقدة وتاريخ حياته الفريب تعتمد بشكل قوى على معرفة حياة الأب .. فان الاطار العام لحياة الأب ضرورة حتى فى هذا العرض القصير .

لقد منحت الطبيعة هذا الرجل ، ايمانويل ، هبات عظيمة ، فقد كان قويا من الناحية البدنية ، وشجاعا لدرجة كبيرة كما كان يتمتع بطاقة غير عادية . ونحن لا نعرف شيئا عن سنى طفولته وحيـــاته المدرسية ، ولكن افتقاده التعليم قد استعيض عنه بوعى تام وملاحظة سريعة ، وخيال خصب مثمر فى بعض الأحيان . ثم انه بالاضافة الى ذلك كان شخصية محبوبة .

وقد عثرنا على قصة حياته مكتوبة بخط يده فى مائة واثنتى عشرة صفحة فى أواخر حياته ، وذلك عام ١٩٥٩ ، بين أوراق واحد من أحفاد ايمانويل نوبل . وهذه الصفحات تقدم لنا لمحات حية صريحة فكهة عن حياته التى تتسم بالنضال فى الداخل والخارج فيما بين عام ١٨١٣ وعام ١٨٣٧ . وهذه الصفحات تلقى أيضا الضوء وتؤكد كثيرا من التفاصيل عن حياته .. تلك التفاصيل التى كانت حتى وقت قريب غير معروفة على وجه التأكيد .

وقد منحته الحياة المتقلبة بين الرخاء والفاقة فرصا كثيرة لتطوير وتحسين مواهبه الدفينة .. فهو قد ولد فى ميناء « جافل » التجارى المزدحم شمالى استكهولم ، ومن ثم .. كان له أقارب كثيرون من جهة أمه يشتغلون فى البحر ، ولقد كان قويا واعيا وذا طاقة كبيرة ، ولم يكن راغبا فى الدراسة ، ولذلك بعث به الى البحر وهو فى سن الرابعة عشرة وقد مكنته الرحلات على السفن من أن يرى دول البحر المتوسط والشرق الأدنى .

ولما عاد الى موطنه عام ١٨١٨ بعد ثلاث سنوات مليئة بالمغامرات فى البحار ، أدى به نزوعه الى الرسم وتركيب الآلات ــ بعد أن قضى عاما فى « جافل » يدرس فن البناء ــ الى أن يلتحق بمدرسة الهندسة المعمارية فى أكاديمية الفنون فى استكهولم رغبة فى المزيد من التدريب والمرانة . وهنا نجد انه وفى ما عليه وقام بعمله على خير ما يرام ، حتى أن الاكاديمية منحته ثلاث مرات جوائز من أجل أعمال معمارية قام بها . وقد كان أيضا فى خلال سنوات دراسته ، رساما يقوم بعمل التصميمات كما كان مساعد مدرس فى مدرسة الميكانيكا التابعة للأكاديمية ، حيث منح مرات كثيرة المنح الدراسية من أجل أعمال البناء ، والاعمال الميكانيكية التى قام بها . وهكذا فتح المجال أمام رغبته فى الاختراع ونزعته التى لا تقاوم من أجل اجراء التجارب .. الشىء الذى احتفظ به طيلة حياته والذى أورثه أولاده من بعده .

وهكذا ــ بعد أن تدرب تدريبا تاما على أساليب وفن البناء ــ قام بتنفيذ عدد كبير من أعمال البناء والتشييد الجديدة فى ستكهولم ، وكان فى أول الأمر يعمل مع آخرين ولكنه بعد ذلك أصبح يعمل وحده . وحينئذ أخذ يجرب فكرة البيوت الخشبية المتنقلة ــ وكانت جديدة آنذاك ــ وانشأ القناطر العائمة وصنع معدات آلية ذات أنواع كثيرة حازت اعجاب الجميع . وفى عام ١٨٢٨ أصبح مخترعا ، اذ منح



اندريت نوبل والدة
ألفريد نوبل قبل وفاتها
بثلاث سنوات للفنان
السويدى العالمى
المشهور «اندروز زورن»

براءة الاختراع من أجل « حركة » نوبل الميكانيكية ، ومن أجل اشياء أخرى كثيرة ، وكانت هذه تتعلق أساسا بطريقة جديدة لتحويل الحركات الدائرية للأمام والخلف فتحدث أثرها فى هذين الاتجاهين ، وعلى هذا الأساس اخترع آلة بعشرة محركات .

كذلك قام هذا الرجل ــ الذى جاء من اب حلاق يمارس الطب ــ بتأسيس أول مصنع للمطاط فى السويد ، وذلك لصناعة الملابس المطاطة والأجهزة الطبية والعسكرية والصناعية وكان ذلك عام ١٨٣٥ ، وهذا الاختراع عمل طيب يستحق التقدير والاكبار .

ولكنه بعد هذا الجهد المضنى ، تعرض للمصير الذى يتعرض له الكثيرون من المخترعين ذوى النظرة البعيدة العميقة ، فوقف الكثيرون فى وجهه لأنهم أساءوا تقدير اختراعاته. ان الذى يسبق زمنه غالبا ما يثير على نفسه العداء ، كما ان اجراء التجارب عملية باهظة التكاليف . ولم يكن أحد من الناس على استعداد لأن يمول سرحات الخيال لديه وهكذا أصبح ايمانويل مثالا آخر للعبقرية غير المفهومة ومن ثم اضطر الى أن يدفع ثمن هذه السرحات . لقد كان يتمتع بخيال وتفاؤل ولكنه لم يكن اقتصادى النزعة .

لذلك حينما تزوج نوبل فى عام ١٨٢٧ من « كارولينا اندريت السل » (١٨٠٣ – ١٨٨٩) ، نجد انه لم يؤسس زيجة سعيدة جدا ظلت خمسة واربعين عاما فحسب .. بل انه – كما يدل على ذلك ما قلناه من قبل – اسس بيتا كان يطويه الفقر لفترات طويلة . لقد كان ينتقل من هنا وهناك فى ضواحى استكهولم حيثما كانت الايجارات أرخص .. وهكذا أخذت العائلة نصيبها الكامل من القلق والديون والألم .

وقد كانت «اندريت السل» (وهى ابنة اندرياس السل وكارولينا روزبيج) امرأة رقيقة من عائلة ريفية تقوم بعملها فى نشاط وجد ، من اقليم «سمالاند» جنوبى السويد ، كذلك كانت ذات كفايات عقلية وتتمتع بقوة الاحتمال وبالفكاهة العذبة . ثم انها كانت عملية ومبتهجة متواضعة . وقد أهلتها هذه الصفات كلها لأن تكون ذات مكانة طيبة .

وكان يحدث أن يولد طفل لهــذه الأسرة الفقيرة فى كل بيت من البيوت التى تنتقل اليها . وبمرور الزمن ظهر الى الوجود ثمانية أطفال ، ثلاثة منهم فقـط : «روبرت» ، «لودفيج» ، «ألفريد» .. هم الذين عاشوا الى ما بعـد سنى الواحدة والعشرين . وقـد ورثوا عن أمهم صفات رائعة . وعلى الرغم من الفقر .. فقد تربوا وترعرعوا فى كنف الرعاية الطيبة لأب ودود مستقيم ولأم طيبة محبوبة . لقـد عاشوا جميعـا فى دائـرة أسرة من الطبقـة الـدنيا من جـانب الأم – أى آل السل – كان فيها التعاون والانسجام والنوايا الطيبة مصدرا لقوتها خلال هذه الحياة القاسية الخشنة . وعلىانقيض منالوضعالاقتصادى الذىكانت عليه أسرة نوبل فىأواخر ذلك القرن . نحب أن نتذكر ما قاله لودفيج عن طفولته . ففى احدى السنوات الكئيبة حينما كان فى سن السابعة اضطر هو وأخوه الأكبر « روبرت » – مثلما حدث لبائعة الكبريت الصغيرة فى قصة هانز كريستيان المشهورة – أن يقفا علىقارعة الطريق يبيعان أعواد الكبريت لكى يكسبا دريهمات قليلة يساعدان بها فى الانفاق على المنزل .

وقد أصبح كل من روبرت (١٨٢٩ – ١٨٩٦) ولودفيج (١٨٣١ – ١٨٨٨) من رجال التكنولوجيا البارزين ومن رجال الأعمال ، وكذلك أصبحا رائدين فى كثير من الميادين . ولقد كانا من أصحاب المصانع ومن صانعى الأسلحة ، ولذلك كان عليهما أن يشتركا فى أعمال بعيدة المدى ولكن أهميتهما الأساسية كانت فى انهما انشآ صناعة « النفط » فى روسيا مع شركة الأسرة الكبيرة وهى شركة إخوان نوبل لانتاج «النفط»

وكانت فى « باكو » فى القوقاز . وكان ألفريد شريكا فيها ايضا . وقد حققت هذه الشركة اشياء كثيرة ذات مغزى كبير لروسيا الامبراطورية بالنسبة لدفاعها وتصنيعها والنقل البرى والبحرى فيها.. ومع ذلك لم يكن هذا هو المجال الذى يتبحران فيه . لقد كانا يتمتعان بموهبة وعقلية حادة ، وكانا على وعى بالشئون المالية ، وساعدا مثل أخيهما الصغير ألفريد ، على أن يعرف اسم نوبل السويدى فى العالم كله ويلقى من الاحترام الشىء الكثير . لقد كان مما يميز ايمانويل وأولاده أنهم كانوا روادا مثمرين حيثما عملوا وحيثما طبقوا طاقاتهم ونزعتهم التى اتسعت بالاختراع والتجربة .

ان فشل الأب «ايمانويل نوبل» فى السويد نتيجة لبعض الظروف غير الطيبة ورحيله فى أول الأمر الى فنلندا ثم الى روسيا ، وما لاقاه من تقلبات الزمن كصانع ناجح ، ومخترع للألغام ، وصانع للآلات فى سانت بطرسبرج ، ونتيجة لذلك كرائد فى صناعة « النتروجليسرين » فى السويد ، كل هذه العوامل والظروف ارتبطت بولده الفريد الشهير فى سنواته الأولى حتى انه لابد أن ننظر اليها بمقدار ما لها من صلة مباشرة به .



الفصل الثالث

سنوات طفولته في السويد ..
١٨٣٣ - ١٨٤٢

فى بداية ثلاثينات القرن الماضى هبت رياح التغير على كل بلدان أوربا حتى انها وصلت الى السويد ذلك البلد البعيد . وكان جوهر هذا التغير معارضة كل ما هو قائم .. والتنكر للتقاليد والعرف . فقد كانت ثورة يوليه عام ١٨٣٠ فى باريس مثل السحابة العاصفة ·· ألقت بظلالها على كل مكان ، ولذلك وقع فى استكهولم — وكانت حتى ذلك الحين هادئة مطمئنة — بعض الاضطراب السياسي ، كما عانت من نقص فى المال وانهيار التجارة فى حياتها الاقتصادية . وهكذا عانى الناس وعاشوا وقتا عسيرا . وبدأت فى ذلك الوقت أولى الهجرات الى أمريكا .

وواجهت أسرة نوبل فى استكهولم آلاما مريرة كثيرة . فقد هربت لفترة قصيرة عام١٨٣٢ أندريت نوبل .. التى أنجبت — فى خلال سنوات قليلة وفى ظل المعاناة والألم الشديد — ثلاثة من الأطفال .. فقدت على التو أولهم . وقد حدث ذلك فى أثناء غياب زوجها حينما قررت أن تنقذ حياتها وحياة أولادها حين شبت النيران ودمرت بيتهم وكل مايمتلكونه. أما ايمانويل — الذى كان عمله كمقاول للمبانى يمضى من سيىء الى أسوأ — فقد ألح عليه دائنوه واضطر على أثر ذلك أن يشهر افلاسه .

كان هذا هو الحال حينما ولد الابن الرابع « ألفريد برنارد » فى الحادى والعشرين من أكتوبر عام ١٨٣٣ داخل حجرة خلفية فى الطابق الثانى من منزل يقع فى احدى الضواحى الشمالية لمدينة استكهولم — وكان الصبى ضعيفا عليلا منذ مولده ، واستخدمت أمه كل حبها ورعايتها الرقيقة .. حتى تظل شمعة حياته الواهنة مضيئة .. فقد كانت هى وحدها التى تؤمن بمستقبله ، ونجحت فى ذلك .. فى حين كان الجميع يشعرون باليأس منه .

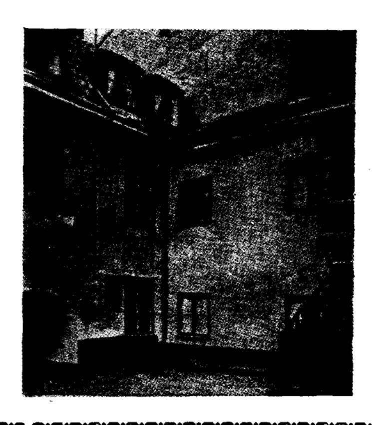
وفى سن الثامنة عشرة ·· أى فى عام ١٨٥١ ·· كتب ألفريد نوبل هذه الأبيات التى يحدثنا فيها عن نفسه ، وفى هذه القصيدة يصف

بلغة انجليزية سليمة أطلق عليها « اللغــز » أو « الأحجية » . وهــذه القصيدة ذات أهمية كبيرة لمعرفة حياته وتبيان افــكاره في سنوات طفولته وشبابه المبكر ، وهى الســنوات التى لم نكن لنعرفها .. لولا قصيدة شاملة تؤرخ لحياته ، من أربعمائة وتســـعة عشر سطرا .. ايامه الأولى كما يلى :

كان المهد الذى أرقد عليه كسرير يضم الموت ..
ولسنوات طويلة راقبتنى أمى بعناية ولهفة وقلق ..
فلم تكن هناك فرصة لانقاذ هذا الأمل الذى يذوى ..
اننى لم أكن أستطيع أن أستجمع قواى ..
حتى أمتص اللبن من صدر أمى ..
كانت النوبات غالبا ما تعقب ذلك ..
حتى اننى أشهق وأكاد أطل على عالم اللاشيئية ..
كان هيكلى وعاء للألم والضنى ..
ينتظره الموت ويتلهف عليه ..



صـــورة ألفريد نوبل
حوالى عام ١٨٥٣



الساحة الخلفية فى الحى القديم نورلند سجاتن فى ستكهولم وكان يخيل لمدة سنين طويلة بأنه مسقط رأس ألفريد نوبل ولكن الحقيقة أن نوبل ولد فى المنزل المجاور له

وقضى الصبى ألفريد ـ وكان أكثر شحوبا وهدوءا من الأطفال الآخرين ـ سنواته الثمانى الاولى فى ظل الرعاية الدقيقة الواعية من أمه الطيبة العاقلة . كانت لحظات لا يستطيع أن ينساها ولكنها ، بسبب الأمراض المزمنة التى عانى منها فى طفولته ، لم تكن بالنسبة له ـ كما هى بالنسبة للكثيرين من أترابه ـ لحظات سعيدة من الفرحة والبهجة ، حتى يتذكرها فى شوق ولهفة .

وتمضى القصيدة لتحدثنا فى براعة ودقة عن تلك الفترة بأسلوب رقيق ملىء بالشاعرية :

ونجده الآن غلاما لا يزال الضعف الذى يعانيه يجعله غريبا فى عالمه الصغير . حيث يتحرك ويخطو .. وحينما كان أصدقاؤه من الاطفال يلعبون لم يكن ليشترك معهم .. كان يتمتع بأن يتفرج عليهم فحسب .. وهكذا حيل بينه وبين أن يتمتع بمباهج هذه الفترة التى يعيشها ، فمضى عقله يهوم فى تلك المتع والمباهج القادمة ، وراح خياله يحلق فى الآفاق البعيدة .. لم يكن شىء يستطيع أن يمنعه من هذه السرحات أو يحول دون أن يسبح فى الأحلام الذهبية .

لقد بدأ كل من الماضي والحاضر ـ بألمه وقسوته ـ طريقا السعادة فى المستقبل ...

ولما شب قليلا بحيث يستطيع الذهاب الى المدرسة ، التحق بمدرسة سانت جاكوب » العليا فى استكهولم لفترتين دراسيتين فقط ١٨٤١ـ ١٨٤٢ . وكان هذا هو التعليم الحقيقى الذى تلقاه الصبى الذى سيصبح فيما بعد «ألفريد نوبل» الشهير الناجح ذا المعرفة الفزيرة واللغات الكثيرة . وقد كانت تقاريره فى هذه المدرسة تبين أنه كان فى كل الموضوعات وفى السلوك والمواظبة يحصل على أعلى الدرجات التى لم يحصل عليها الا اثنان فقط من التلاميذ الذين كان يصل مجموعهم الى اثنين وثمانين تلميذا . ومع ذلك فسرعان ما قطعت هذه الفترة الصغيرة من التعليم بسبب هجرة الأسرة .

وكانت التجارب والأفكار بالنسبة لأيمانويل نوبل ـ المهندس المعمارى والبناء ـ تعنى شيئا أكثر من المغنم المالى فى مهنته . ولهذا السبب ، وبسبب النكبات المتكررة فى أعمال المقاولات التى كان يقوم بها هبط الى حالة لا يحسد عليها . ولكى يتجنب تهديد الدائنين له بالاعتقال وإيداعه السجن ، ولكى يمهد طريقا جديدا لأفكاره الكثيرة المتشعبة ، غادر بلاده عام ١٨٣٧ من غير أن يصحب معه أسرته . وقد كتب يقول : « اننى اتخذت هذه الخطوة لكى احقق مشروعاتى ، والقى تشجيعا عن جهودى المضنية » ، وواضح أنه كان يعتقد أنه لن ينجح فى بلاده حيث واجه الكثير من النكسات التى لم يكن يستحقها .

وافتتحت « أندريت » بالقرب من بيتها ، وبمساعدة عدد قليل من الأصدقاء ، محلا صغيرا لبيع الألبان والخضراوات ، أسهم بشكل ضعيف فى اقامة أودها هى وأطفالها الأربعة ، وذلك بعد رحيل زوجها وطيلة السنوات الخمس التى أعقبت ذلك . ولكنها على الرغم من العمل المستمر الذى كانت تقوم به بروح طيبة ، كانت تعيش فى حالة يرثى لها ، بل كانت على وشك الهلاك . وقد قال الابن الاكبر « روبرت » : ان من ذكرياتى المؤلمة جدا حادثة صغيرة وقعت فى ذلك الوقت حينما بعثتنى أمى لاشترى بعض الطعام للغذاء ومعى قطعة من النقود ذات ثلاثة بنسات ، ثم ضاعت منى هذه القطعة من النقود » .

ولكن المستقبل كان يختزن أياما طيبة حلوة لكل من الزوج والزوجة وكان كل منهما يجاهد بمفرده ويأمل فى اللقاء السريع العاجل . وهكذا وجد ايمانويل نفسه ـ بعد عدة سنوات مضنية عمل فيها كمهندس

معمارى ومقاول وصاحب تجربة فى هذا وذاك فى فنلندا ــ يعمل فى بداية العقد الخامس من القرن الماضى فى سانت بطرسبرج القيصرية .

وبينما كان فى السويد حاول أن يخرج باختراع يرمى «الى القضاء على العدو الهاجم على مسافة كبيرة فى البر والبحر » عن طريق ألغام متفجرة مشحونة بالبارود . وقد عرض الاختراع ــ مع رسومات وعينات منه ــ على القوات المسلحة فى بلاده ، ولكنها ، لسوء حظه ، لم تظهر ادنى اهتمام بهذا الاختراع . وفى بطرسبرج استأنف فى جد ونشاط تجاربه على الألغام . ونتيجة للتجارب الناجحة التى قام بها ايمانويل نوبل أمام السلطات العسكرية وبمساعدة ذوى النفوذ استطاع هذا الاختراع أن يثير الاهتمام الشديد ، ومن ثم حصل الرجل على جائزة نقدية ، لذلك نجده فى عام ١٨٤٢ ومعه هذا المبلغ ، وعزيمته الجبارة ، كرأسمال له ، يصبح شريكا فى مصنع هندسى أقامه بنفسه ، وهو مصنع « أوجاريف ونوبل » للمعادن المصهورة والعجلات . وقد كان هذا المصنع يقوم ــ بالاضافة الى الالغام البرية والبحرية ــ بصنع آلات قطع الاخشاب والمعادن وكذلك عربات المدافع والأدوات الميكانيكية . وكذلك صنعت فى هذا المصنع أول انابيب حرارية للمياه الساخنة فى روسيا ، وكانت تقوم على أساس آراء نوبل ، ومن هذه الأفكار تطورت الأجهزة الأخرى .

وما ان تحسنت أحواله المالية حتى بزغ فجر اليوم الذى كان يتوق اليه ، وهو اليوم الذى يستطيع فيه أن يرسل بعض المال لأسرته . ولم تكن فنلندا وروسيا متمتعين بسكك حديدية ، ولذلك يمكنك أن تتصور رحيل الأسرة فى أكتوبر من عام ١٨٤٢ فى سفينة عبر بحر «آلاند» ثم مواصلتها الرحلة بالعربة فى الطرقات المتعثرة من توركو الى سانت بطرسبرج . وفى سن التاسعة جاء ألفريد نوبل الى روسيا ليقضى ــ فى ظل عائلة تآلفت من جديد ــ سنوات هامة من شبابه فى بيئة تختلف اختلافا تاما عن بيئة بلاده .



الفصل الرابع

سنواته الأولى مع أبيه فى روسيا
١٨٤٣ - ١٨٥٠
أول رحلة لأمريكا

كانت روسيا فى ظل الحاكم المطلق المستبد ، نيقولا الاول ، تعانى من الحكم البيروقراطى والسيطرة البوليسية الصارمة والرقابة الشديدة ، وكانت جميعها تسود كل نواحى الحياة فيها ، وكان على القادم من غرب اوربا الذى كان يسوده الاضطراب السياسى حينذاك ـ اذا أراد أن يكسب عيشه فى روسيا ـ أن يكون متمتعا بشىء خاص يقدمه بالاضافة الى الطاقة والجهد ونفوذه فى الأوساط الكبيرة .. وكان عليه أن يعرف كيف يتقدم ويخطو فى حذر وحرص ، وكان ايمانويل نوبل يتمتع بهذه المؤهلات والصفات ، لذلك فان نهاية العقد الخامس من القرن الماضى وبداية العقد السادس قد أظهرتا ارتفاعا فى الانتاج وزيادة فى عدد السلع التى ينتجها مصنعه . كذلك فان المصنع الجديد الكبير بطواحينه الدائرة وهو الذى انشىء عام ١٨٤٦ لانتاج الآلات البخارية والمواسير والسلع الحديدية حاز ثقة كل من الحكومة الروسية والمصانع الخاصة.

وابتسم الحظ لأسرة نوبل وأصبحت تمتلك منزلا خاصا بها ، وانجبت ثلاثة أطفال جدد ولكنهم ماتوا صغارا ، وكان ايمانويل نوبل ، الوقور المستقيم ، قد دفع لدائنيه السويديين كل مالهم فى خلال سنوات قليلة . كذلك من بين النتائج الطيبة لرخاء هذه العائلة وسعادتها أن أستطاع الأبناء الثلاثة الكبار ، ومن بينهم ألفريد ، منذ وصولهم الى بطرسبرج ان يتلقوا تعليما خاصا على يد أفضل المدرسين الروس والسويديين ، وكان من بين هؤلاء نيكولاى زينين استاذ الكيمياء فى روسيا (١٨١٢ ـ ١٨٨٠) .. و . ب . لارس سانتس (١٧٨٩ ـ ١٨٥٣)مدرس التاريخ واللغة السويدية . وكان هذا التعليم ذا قيمة بالغة لاهتمامات اولادنوبل فى المستقبل وكانت اهتمامات عريضة واسعة .

وكان الفريد على اتصال وثيق بأبيه النشيط وبثروته الضخمة من الأفكار ، وذلك فيما بين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ، وكان بعد ذلك

مساعدا فى مصنع ابيه ، ولذلك كله نمت عنده موهبة الملاحظة وروح الاختراع التى كانت مما يميز الأب والتى طورها الابن بدرجة كبيرة . والذى يطلع على المراسلات التى كانت تتبادلها الأسرة والمذكرات التى كتبها الفريد ، يلمح صورة للشاب الضعيف الذى استطاع ، بالدراسة المنتظمة والرغبة المتعطشة الى المعرفة ، ان يتشرب كل معرفة تقع تحت بصره المتيقظ وسمعه الحاد ، واصبحت الحياة ذاتها هى الجامعة التى تخرج فيها ، كما أن الآفاق التى كان يحلق فيها بفكره الصافى كانت الامتحان الذى يجرى له . وقد قال : « انه على الرغم من متاعب الحياة وهمومها التى لا يمكن أن يشك فيها أحد فانى أعتبرها هبة نادرة ، وحجرا ثمينا قدمته لنا يد الطبيعة الأم لكى ننظفه ونجلوه حتى يكون بريقه مكافأة لنا عن الآلام التى تكبدناها » .

ولم يكن احد ليخطىء نوع شخصيته ، وقد شهد المعاصرون له بنبوغ هذه الشخصية الرائعة ، قال أبوه الذى لم يكن يمتدح أو يتكلم كثيرا ، فى خطاب له بعث به الى شقيق زوجته « لودفيج السل » : ان الفريد الطيب المجد موضع تقدير كبير واحترام من والديه واشقائه ، وذلك بسبب معرفته وبسبب قدرته ، التى لاتكل من العمل ، والتى لايتفوق عليه فيها احد » .

كان هذا هو الشاب الذى أرسل عام ١٨٥٠ وهو فى سن السابعة عشرة فى أول رحلة دراسية له الى المانيا وفرنسا وايطاليا وأمريكا الشمالية بالاضافة الى بلده السويد . وكانت رحلة شاقة متعبة فى ذلك الحين وقد استمرت عامين .

وقد كتب الفريد نوبل عام ١٨٥١ عن رحلته يقول :

« وهكذا — وفى ثقة — غادرت بيتى فى شبابى المبكر ، لأذهب الى بلاد بعيدة فيما وراء البحار ، ولكن الغريب اننى حينما شاهدت المحيط يمتد بعظمة أمامى لم يثرنى كشىء جديد » .

لقد كان فى مخيلته يتصور المحيطات اكبر وأوسع ، ولولا ذلك لكانت هذه الفترة من حياته ، فى بداية خمسينات القرن الماضى ، غير معروفة بالتفصيل . وكل مالدينا أقوال غامضة تقول انه قضى معظم اوقات رحلته فى باريس حيث واصل دراسته الكيميائية فى بعض المعامل وانه فى نيويورك قابل الكابتن جون ايركسون كى يحصل على بعض المعلومات والرسومات الضرورية .

وكان « جون ايركسون » (١٨٠٣ – ١٨٨٩) المهندس البحرى السويدى الذى اخترع الآلة الحرارية وادخل تحسينات على المحرك اللولبى ، واشتهر بعد ذلك باختراع المونيطور (وهو نوع من المدرعات) فى الحرب الاهلية الامريكية . وكان ايركسون فى نفس سن ايمانويل نوبل. ولقد كانت اهتماماته واختراعاته تدور فى مجالات الآلات الحربية الميكانيكية والبخار وتكنولوجية الهواء الساخن ، وهى المجالات نفسها التى كانت تحتل تفكير نوبل والتى كانت تتم فى مصنعه فى سانت بطرسبرج ، ولذلك يمكن القول بأن زيارة ألفريد للكابتن « ايركسون » كانت مدبرة لكى يحصل على المعلومات التى تفيد صناعته وأنها قدحققت هدفها . وأثمرت الرحلة اذ ضاعفت معرفة ألفريد باللغات والكيمياء ، ولكن لسوء الحظ ليست هناك الا تسجيلات قليلة عن التفاصيل التى تتعلق برحلته الى باريس ونيويورك . وهذا شىء غريب ويؤسف له فى الوقت ذاته ، ذلك لأن ألفريد الواعى المتيقظ لابد أن يكون قد شاهد وتعلم الكثير فى مدينة نيويورك فى العقد السادس من القرن الماضى ، عن الحياة التجارية والصناعية فى ذلك الوقت حينما كانت أمريكا فى حالة اضطراب وقلق بسبب أزمة العبيد وهروب الذهب ، والهجرة . كذلك لم يذكر شيئا عن ملاحظاته فى صناعة البارود التى كانت مزدهرة آنذاك فى أمريكا تحت اشراف هنرى دى بونت وآخرين .

وقد كتب البروفيسور « هنريك شوك » وهو أحد البارزين الذين كتبوا عن ألفريد ، يقول : « ومن الواضح مع ذلك أن ألفريد نوبل كان يتفوق على أترابه وأقرانه الذين هم فى مثل سنه ، وذلك فى المعرفة والنضوج العقلى . لقد كان كيمائيا تدرب بالطرق العلمية كما كان لغويا رائعا يتقن اتقانا تاما الانجليزية والالمانية والفرنسية والسويدية والروسية . كذلك كان ذا نزعة أدبية ويهتم أساسا بالأدب الانجليزى ، وكانت نظراته الأساسية للحياة قد تطورت تطورا تاما . والرسائل التى تؤرخ لهذه الفترة تعطينا صورة عنه كشاب ذكى حالم لكنه عليل وانطوائى يميل الى العزلة ، وقد ظهر حبه للعزلة فى غضون سنوات طفولته الأولى حينما اضطرته الظروف لهذه العزلة .



الفصل الخامس

أثر حرب القرم على أعمال نوبل

عاد انفريد نوبل ابان حرب القرم (١٨٥٣ ــ ١٨٥٦) الى سانت بطرسبرج وكان يعمل مع اشقائه فى مصنع ابيه الذى توسع مرة أخرى وأطلق عليه اسم مصنع الآلات الميكانيكية لصاحبه نوبل وأولاده .

وكانت قوات روسيا فى حاجة ماسة الى العتاد والآلات الحديثة ، وقد ادت الكميات الكثيرة التى حصلت عليها الحكومة من هذه الشركة الى انتعاشها . وعلى الرغم من الصعوبات التى كانت تواجهها الشركة فى الحصول على العمال المهرة المدربين وعلى المواد الخام التى يمكن استخدامها فى تلك البلاد التى كانت فى أوجه كثيرة بلادا متخلفة ، استطاع ايمانويل ان ينتج كميات كبيرة من المواد الحربية ــ وكان جزء كبير منها من تصميمه بآلات من صنعه وبوساطة الصناع المهرة الذين استدعاهم من السويد . كذلك قامت هذه الشركة بصناعة المواد الحديدية لأول خطوط السكك الحديدية فى البلاد . وكذلك كانت البنادق السريعة الطلقات من صناعتها بالاضافة الى المدافع والآلات البخارية التى استخدمت فى أول سفينة بحرية فى روسيا ، وقد كانت هذه الأدوات جيدة الصنع ، ومما يدل على ذلك أن معظم السفن التى صنعت فى منتصف العقد الثالث من القرن الماضى ظلت تعمل حتى قيام الحرب العالمية الأولى ، وكذلك منح ايمانويل نوبل عام ١٨٥٣ ــ المدالية الذهبية الامبراطورية لمثابرته ، ومهارته الفنية فى الصناعة الروسيــة ، وهــذا تقدير كان من النادر أن يحصل عليــه أجنبى من روسيا .

وفى هذا المصنع كان أمام الأولاد مجال واسع غنى للتدريب العملى ، وقد استطاعــوا أن يستغلوا هــذه الفرص ، وحدث فى سنوات متأخرة أن كتب لودفيج نوبل يقــول « انه لم يحــدث ابدا أن نمت مثــل هــذه الطاقة ، وان ظهر مثل هذا التنويع فى العمل فى مصنع من المصانع . الا فى ذلك المصنع فيما بين عام (١٥٨٤ ــ ١٩٦٠) وكانت تلك سنوات من العمل المضنى الجاد .

حتى الألغــام البحرية ــ وهى الورقة الرابحــة التى كانت فى يد ايمانويل نوبل حــين وصوله الى روسيا ــ وكانت لفترة طويلة سرا عسكريا ورصيدا مجهولا لدى الدولة ، وأصبحت ذات فائدة كبــيرة فى اثناء الحرب بل لقد ثبت نجاحها . واستطاع هذا المخترع ، بمساعدة ابنه روبرت ، أن يلغم موانىء فنلندا والمداخل المتجمدة لقلعة كرونشتات « وهى المفتاح الاستراتيجى لسانت بطرسبرج ، وقد كان هذا الاجراء الذى ساعد فى ابعاد هجوم الاساطيل الفرنسية الانجليزية بقيادة الاميرال نابيير ذا أهميةكبيرة ، وأصبح شيئا معروفا فىالتاريخ بعد أن بعثت هذه الاساطيل بتقرير للبحرية البريطانية تقــول فيه ان خليج فنلندا ملىء بالآلات الفتاكة القاتلة كأنها من الجحيم .

ونتيجة لذلك وضع ايمانويل نوبل خبرته ومعرفته فى كتاب قيم دقيق يتعلق بنظام وضع الألغام التى صنعها ، وما زال هذا الكتاب ، وأسمه « نظام الدفاع البحرى للممرات والموانىء غير المحصنة » وهــو مزود باللوحات المرسومة بالالوان المــائية موجودا ، ويقال أن النسخة الفرنسية منه قد كتبها ابنه ألفريد .

وانتهت الحرب بمعاهدة باريس عام ١٨٥٦ وانضم القيصر نيقولا الى آبائه وقامت حكومة جديدة نقضــت كل الاتفاقيات بين الحكــومة السالفة والمصنع ، وهكذا ترك المصنع النموذجى ــ الذى قام على اساس الانتاج على نطاق واسع وبه اكثر من الف عامل ــ لرحمة الأقدار فجــأة ومن غير شعور بالجميل . وعلى الفور نظم نوبل واولاده أنفسهم لصناعة الآلات البخارية وتسليمها واستطاع ايمانويل نوبل ، وهو فى هذه المحنة ، ان يحقق نصرا آخر ، وذلك بصنع وتسليم العشرين آلة اللازمة لأول خط منتظم للقــوارب البخارية على نهر الفولجا وفى بحــر قزوين . ولــكن المصنع ، الذى لعب مثل هذا الدور الكبير فى تصنيع روسيا والدفاع عنها ، تعرض حينئــذ للمشكلات المالية ، ولذلك استخدم ألفريد معرفته الواسعة باللغات عام ١٨٥٨ فى الاتصــال برجال البنوك فىلندن وباريس ، مستعينا بهم فى تقديم القروض ، ولكن لسوء الحظ عاد خالى اليدين . واضطر ايمانويل تحت ضغط الدائنين الذين لم يكن لديهم اى عطف على هذا الغريب أن يصبح فى حالة افلاس مرة أخرى ، وعاد فى عام ١٨٥٩ الى السويد وهو فقير مثلما كان حين وصوله الى روسيا منــذ اثنين وعشرين عاما . وصحبته زوجته « اندريت» . وكان الطفل الذى عاش من الثلاثة الذين ولدوا فى روسيا هو أصغر هؤلاء الثلاثة ، وكان اسمه (اميل ١٨٤٣ ــ ١٨٦٤) .

وبقى الاولاد الثلاثة الكبار ، الذين كانوا عـلى دراية بالعمل ، فى المصنع فى بطرسبرج لمحاولة انقاذ مايمكن انقاذه . وفى حين كرس روبرت ولودفيج نفسيهما لاعادة الاستقرار المالى للمصنع .. كان الفريد يبدو فى السنوات القليـلة التى اعقبت ذلك غارقا فى التجـارب الميكانيكيـة والكيمائية التى كانت تشغل باله من قبل ، والتى كانت غالبا مايعترضها مرض أبيه أو الرحـلات التى كان يقوم بها . وكانت النتائج الملموسة الأولى لهـذه التجـارب (التى كانت قد بدات فى ذلك الحـين) ثلاثة اختراعات كان أصلها فى سانت بطرسبرج ، وهى جهاز لقياس الغاز فى عام ١٨٥٧ ، وجهاز لقياس السـوائل فى عام ١٨٥٩ ، ونموذج أحسن للبارومتر أو « المانومتر » فى العـام نفسه ، ومع ذلك فان أيا من هذه الاختراعات لم يكن ذا أهمية عظيمة عامة .



الفصل السادس

استخدام النتروجليسرين

فى بداية العقد السابع من القرن الماضى بدأت تلك الاكتشافات التى تمت فى أوربا فى النصف الاول من القرن التاسع عشر تثمر فى مجال الطبيعيات والكيمياء والميكانيكا . لقد بدأ نبض العصر يدق بسرعة أكبر ، وكان هناك ما يدل على تطورات كثيرة تتزايد فى مجالات الصناعة والبناء والنقل ، ولكن كانت هناك عقبات فى طريق التقدم ، وفى زيادة سرعة النشاط الفنى .. وأدى الطلب المتزايد على الفحم والمعادن الى زيادة الحاجة الى وسائل أفضل لتعدينها ، وكان لابد من طرق افضل للمشروعات الهندسية الكبيرة فى مختلف أجزاء العالم .

وكان ايمانويل نوبل قد أمضى سنوات كثيرة فى اجراء التجارب على الألغام المشحونة بالبارود ، وكان من الطبيعى أن يؤدى هذا الى مشكلة ايجاد مادة متفجرة أكثر فاعلية من البارود الأسود العادى ، وهو المادة المتفجرة الوحيدة المعروفة منذ أكثر من ٥٠٠ عام . وفى عام ١٨٥٥ — وفى « سانت بطرسبرج » لفت عالمان روسيان . هما البروفسير « نيكولاى زينين » مدرس الفريد السابق فى الكيمياء والبروفسير «يولى تراب» ، أستاذ العقاقير ، نظر ايمانويل والفريد نوبل الى مادة النتروجليسرين الشديدة الانفجار ، كمادة ممكنة لشحن الألغام . وهكذا كانت كل مخترعات الفريد نوبل الهامة ذات الطابع المتفجر التى أعقبت ذلك تقوم على أساس هذه المادة ، وكان هذا الحدث تطورا هاما فى حياته .. وتحولا خطيرا فى طريقه .

وكان اكتشاف هذه المادة نتيجة لبحث كبير قام به عدة علماء فى الكيمياء فى أوربا ، ولكن الخطوة الاخيرة كانت فى « تورين » عام ١٨٤٦ على يد « بيلوز » و « اسكانيو سوبريرو » (١٨١٢ — ١٨٨٨) الايطالى ، وهو تلميذ « فون ليبج » وقد أطلق على هذه المادة « بيروجليسرينا » .

ويمكن الحصول على مادة نيترو جليسرين بوضع الجلسرين الخالى من الميــاه فى مزيج بارد من حامض النتريك المركز وحامض الكبريتيك المركز . ولم يتضــح تكوينه الكيميائى وضوحا تاما بالنســبة للمخترع نفسه أو علماء الـكيمياء المعاصرين له . وبعد فترة متــأخرة وضعت القاعدة الـكيميائية لتركيبه وكان العلماء منذ البداية ينظرون اليهــا باهتمام ، ولكنها لم تطبق عمليا . وكان يرجع هذا أساسا الى طبيعتها المتفجرة العنيفة ، والى الأخطار الكامنة فى صناعتها ومعالجتها ، وأيضا الى عدم وجود طريقة التفجير التى يمكن التحكم فيها .. كذلك نجد أن هذه المــادة ـ النتروجليسرين ـ لم تتعــد مرحلة التجارب فى تطور الألغام لدى عائلة نوبل . ولكن كلا من ايمانويل والفريد لم يسكتا ولم يهملا أمر هذا الزيت العجيب اذ أنهما كانا على يقين منــذ البداية من أمكانياته الهائلة فى المستقبل . ثم مضى كل منهما يجرى تجاربه عليه بطريقته منفصلا عن الآخر .

وأقام ايمانويل ـ وكان فى تلك الفترة فى السويد ـ معملا صــغيرا فى بيته فى مقاطعة هيلينبورج القديمة فى ضواحى ستكهولم . ومع ذلك فقد حالت ماليته المضطربة دون أن يجرى تجاربه على نطاق واسع ، وفشلت محاولات الاستدانة عام ١٨٥٨ . ولكن يبدو من المؤكد ، وذلك من مصادر وثيقة ، أن ألفريد عام ١٨٦١ ذهب مرة أخــرى الى باريس ليقوم بالمحاولة من جديد ، ونجح فى أن يحصــل من المؤسسة العــامة للقروض على قرض بمائة الف فرنك لاستغلال النتوجليسرين . وبهذا المبلغ استطاع ايمانويل نوبل أن يبدأ الصــناعة فى هيلينبورج . وهنا يتضح انه فى عام ١٨٦٢ كان أول من اخترع طريقة بسيطة نسبيا لانتاج النتروجليسرين على نطاق المصنع ، على أساس طريقة «سوبربرو» مع بعض التعــــديل . فباضافة عشرة فى المــائة من النتروجليسرين الى البارود الأسود أمكنه أن يصنع مادة متفجرة قوية اســتطاع بين حين وحين أن ينجح فى اشعالها بالنيران ، وقد اعتبرها رائعة لكل الأسلحة النارية وتفجير الصخور . وعلى الرغم من أنه كان محنكا فى هذا المجال ، كما أنه كان رجلا جريئا ذا طاقة ، فانه لم يكن يتمتع بتــدريب عملى حقيقى ولم تثمر جهوده من أجل الحصول على تفجير بطريقــة يمكن التحكم فيها والسيطرة عليها ، وفى هذه الأثناء عاشت أسرته وجيرانه كأنهم على فوهة بركان .

والى أن استدعى ألفريد نوبل من سانت بطرسبرج ليلحق بوالده فى ستكهولم كان فى ذلك الوقت قد اصبح كيميائيا ماهرا محنكا بعد

دراســـاته فى الخارج ، ولــكن لم تظهر اية نتائج ملموسة من تجاربه وبحوثه . وفى خــلال السنوات التى سبقت عودة الفريد مباشرة الى السويد كان يعالج ، فى قوة ، مشكلتين رئيسيتين وهما أن يجد وسيلة ملائمة ، يمكن التحكم فيها من اجــل تفجير هــذا الزيت وان يحولها الى أسلم الأشكال الممكنة دون أن تفقد شيئا من قوة الانفجار الكامنة فيها . وترك له أن يحل هاتين المشكلتين علىمراحل بطريقة رائعة ، ولكن بغير نزاع مع والده الذى كان منحرف المزاج . وسرعان ماحلت المشكلتان على يد الابن ، ذلك لأن حل الفريد نوبل لمشكلة النتروجليسرين لم يكن يقوم على الأساس الذى كان يعمل به والده ، وهو خلط المادتين المتفجرتين ـ البارود والنتروجليسرين ـ ولــكن على أساس فكرته هو ، وهى أن اشتعال النتروجيلسرين كان أهم نقطة وعلى أساس خلق مبدأ جديد وهو أن البارود يمهد الطريق أمام النتروجليسرين .

وهكذا خرج نوبل فى عام ١٨٦٣ ، وكان فى ذلك الحين فىالثلاثين من عمره ، باختراعه الذى كان فاتحة عهــد جــديد وهو « مفجر نوبل المسجل » وذلك بعد خمسين تجربة فى معمل والده ، وهو بيت متصدع فى هيلينبورج .

وتقول براءات الاختراع لعام ١٨٦٤ وعام ١٨٦٥ ان هذا الاختراع قد بنى على أساس أن شــحنة النتروجليسرين السائل المتفجر ، التى تضمها كبسولة معدنية صــغيرة ، تحــدث عن طريق انفجار الشــحنة الصغرى التى تتسرب اليها ، والشــحنة الصغرى تتكون من البارود فى كبسولة خشبية وبين الكبسولتين فتيل موصل .

ولكى يتضاعف الأثر ، غير المخترع تفاصيل كثيرة فى هذا العمــل عدة مرات ، وفى النهاية فى عام ١٨٦٥ وضع مكان الكبسولة الأصلية كبسولة معدنية مشحونة بزئبق متفجر . وباختراع هذه الــكبسولة المتفجرة ظهر لأول مرة مبدأ الاشتعال الأول فى تكنيكية المتفجرات ، وكان هذا شيئا جوهريا فى كل التطورات التى أعقبت ذلك فى هــذا الميــدان . ان هــذا المبــدأ هو الذى جعل استخدام النتروجليسرين والمتفجرات العنيفة الاخرى ، كالمتفجرات المستقلة ، فعالا ومثمرا . كذلك جعل من الممكن دراسة خواصها المتفجرة .

ويجب أن نذكر أن مشاهــير العلماء ، حتى فى القرن العشرين ، قد وصفوا مرارا هذا الاكتشاف ، الذى جاء به نوبل ، بأنه أعظم تقدم فى علوم المتفجرات منذ اختراع البارود . وقد قال «راجنار سولمــان»

وكان الصق شخص بألفريد نوبل فى سنواته الأخيرة ، أن الناس عموما ينظرون الى ألفريد نوبل أساسا على أنه مخترع الديناميت ولكن اختراعه للدانة المتفجرة ، وللاشتعال الأول للمتفجرات يجب أن يوضع ، من الوجهة الاختراعية البحتة وبالنسبة للأهمية التكنيكية ، قبل الديناميت . ولندع المخترع نفسه يقول الكلمة الأخيرة فنورد ما قاله بعد ذلك بعشر سنوات بعد اتمام عدة مخترعات كبيرة له « ولكن العهد الحقيقى للنتروجليسرين كان فى عام ١٨٦٤ حينما انطلقت شحنة من النتروجليسرين الصافى عن طريق شحنة دقيقة من البارود » .



الفصل السابع

نكبة هيلينبورج

من الطبيعي أن تتعرض أسرة مثل أسرة نوبل التى كثيرا ما قامت بأعمال خالدة والتى نشطت بطريقة لا تعرف الكلل أو الملل فى مجال خطير لم يطرق من قبل فى العلوم ، للأحداث والنكبات وسوء التقدير . ومن سوء الحظ أن يكون هذا هو ماحدث بين فترات النجاح التى حققتها لهم السنوات التى أعقبت ذلك . ولكن الكارثة التى حلت بهذه الأسرة وأعمالها فى الثالث من شهر سبتمبر عام ١٨٦٤ كانت أشد الضربات قوة وعنفا .

فقد حدث أن اندثر اندثارا تاما المصنع الذى تقام فيه التجارب على النتروجليسرين فى هيلينبورج ، والذى كان قد أنشىء حديثا ، وذلك بسبب انفجار مروع أدى الى قتل خمسة أشخاص . وكان من بينهم « اميل » أصغر أبناء ايمانويل نوبل ، وكان عمره فى ذلك الوقت عشرين عاما ، وكان قد التحق لتوه بالجامعة . وكان يساعد أباه فى بعض التجارب وقد أظهر اصالة ومهارة كبيرة .

وكان من الطبيعي أن تؤدى هذه النكبة الى اليأس والذعر ، لا فى ستكهولم فحسب بل فى جميع أنحاء العالم أيضا . ولقد قوضت من قوة « ايمانويل نوبل » وصحته ، وذلك بأن تعرض لجلطة دموية بعد ذلك بسرعة . وهكذا ، وفى غمرة مرحلة من التطور ، كانت تنبىء بخير كثير ، حيل بين هذا الرجل المناضل الشجاع وبين العمل بقية حياته التى امتدت بعد ذلك ثمانى سنوات ، وكانت فترة قلق واضطراب بالنسبة لزوجته ، فهى التى جمعت بين اطراف الأسرة وكانت تتلقى المساعدات الكبيرة من أبنائها وعلى الأخص من الفريد ابنها المفضل الأثير لديها ، والذى كان يحضر الى البيت كثيرا . والآن اضطر ، وهو لا يمتلك شيئا مثل الآخرين ، أن يعد نفسه لتحمل العبء وحده .

ومع ذلك لم تتعرض ذاكرة الأب للضرر ، كما أن طاقته لم تصب بأى ضرر أو ضعف . ومن ثم وضع وهو فى حجرته ، عدة مشروعات تدل

على بعد نظره ، وكان بعضها فيه كثير من الخيال الجامح . لقد كان هذا المخترع منذ حداثته وطنيا متحمسا ، حتى انه قبل هجرته الى روسيا شغل نفسه باختراعات صغيرة كان يعتبرها ذات أهمية كبيرة وملائمة للسويد . وقد رفضت السلطات العليا هـذه المخترعات ، وهـذا هو السبب الذى حفزه على الهجرة . وقد كان مرضه الطويل من عام ١٨٦٥ الى عام ١٨٧٢ فترة من النشاط العقلى . وهنـاك ــ من بين أشـياء كثيرة ــ ثلاث لوحات رائعة ظهرت أخيرا ضمن ممتلـكات أحد أحفاده ، وهى تدل على صفاء ذهنه ، وأفكاره الخصبة ، وموهبته الفذة ، وهذه اللوحات مصـورة بالحبر الهندى وألوان المـاء . وكل هـذه تتعلق باختراعاته الخاصة بالألغام واستخدامها كجهاز للدفاع حماية للمنطقة التى يوضـع بها ، وهى تشتمل ــ كمـا يقول ــ « على أفـكار تتعلق بطريقة الدفاع ، الآن وفى المستقبل ، عن بلدنا العزيز ضد عدو قوى ، هذا دون استحكامات تتكلف الـكثير ودون تضـحية كبـيرة بالرجال والعتاد » . وهذه الأعمال بعنوان :

دفاع لا يتكلف كثيرا عن الطرق فى السويد (الألغام البرية)

دفاع لا يتكلف كثيرا عن الأرخبيل (الالغام البحرية)

اقتراح للدفاع عن البلاد ــ هدية العام الجديد لشعب السويد عام ١٨٧١ .

ويجب أن نذكر باختصار آخر عمـل نشر لايمانويل نوبل ، وهو الفكرة الأصلية للخشب الثلاثى الطبقات ، وهو اختراع أعتبر آنذاك مجرد خيال وأوهام ، وبعد فترة معينة وضحت الفـكرة أمام العالم أجمع ، عند ما استعمل خشب الأبلاكاج فى المبانى والأثاث . فقد تنبأ ايمانويل بأن صناعة كبيرة على نطاق عالمى يمكن أن تقام على أساس الألواح المتقاطعة التى تلصق معا بالغراء تحت الضغط ، وقدم وصفا مفصلا لمئات الأشياء التى يعتبر أن من الممكن صناعتها على نطاق كبير . وقد بدأ بأرجوحة الأطفال ، وانتقل الى الأدوات المنزليـة المختلفة والمنتجـات التى يمكن صناعتها بالأيدى .. وانتهى بتابوت الميت ، كما وصف بطريقة مفصلة بناء البيوت ، وصناعة السفن بالخشب المؤلف من دقائق ، وجهازا لانابيب خشـبية تروى الصـحراء من النيل ، وبيوتا خشـبية متنقلة للمناطق التى تتعرض للهزات الارضية ، والمنشآت التى سـترتفع حول قنـاة السويس التى انتهى من حفرها أخيرا ، وعلى ضفاف قناة بنما المزمع

حفرها . وقد أوضح أسباب كل هذه الاقتراحات والأفكار الفنية والتجارية والتنظيمية الضرورية لتنفيذ هذا كله .

ولنشر هذا مظهر آخر فيه بعد نظر . فهذه العمليات ـ كما يقول ـ سوف تخلق وسيلة للعيش لآلاف العاطلين فى السويد ، ومنع حمى الهجرة التى تجتاح البلاد ، وفى الوقت نفسه تحول دون اندثار المواد الخام .

ان هذا العمل مثال رائع على طاقة نوبل وروحه التقدمية وعلى ايمانه بالفكرة وامكانية تنفيذها حتى فى وجه المعارضة .



الفصل الثامن

أول مصنع للنتروجليسرين فى العالم

فى أوائل العقد السابع من القرن الماضى كانت السويد فى منتصف فترة هامة من حياتها ، اذ بدأت تنشىء خطوط السكك الحديدية ، وكان لابد من وجود وسائل أكثر فاعلية وقوة للتفجير حتى يمكن التخلص من الصخور العنيدة الصلبة وذلك من أجل حفر المناجم ، ومن أجل توسيع نطاق الوسائل الجديدة للنقل فى الريف .

وقد نجح ما خرج به ألفريد نوبل فى عام ١٨٦٣ حينما استطاع بالدانة المتفجرة أن يحول النتروجليسرين فى مصنع «سوبربرو» من مادة كيمائية لا تعرف حدودها — وكانت كذلك منذ اكتشافها عام ١٨٤٦ — الى صديق قوى يمكن للانسان السيطرة عليه .

هذا وان التجارب الكثيرة التى أجراها فى مصنعه فى سانت بطرسبورج ، حيث قام بتفجير تحت الماء فى قناة المصنع فى مايو ١٨٦٢ ، وكذلك التجارب التى أجراها فى هيلينبرج وفى المناجم والقلاع السويدية ، كل هذه قد أقنعت المخترع الشاب بأن زيت التفجير كان وسيلة للتقدم ، وبدا له أن تسويق هذه المادة يبشر بالخير .

ولم يسمح للمتاعب والمنغصات الكثيرة ، مثل الألم وعدم وجود الأموال والقضايا ، والعداء العام تجاه ما تقوم به أسرة نوبل الذى دفعت اليه نكبة هيلينبورج ، بأن تثبط عزيمته أو تقوض من مشروعاته وخططه . كذلك لم يتبع — لحسن حظ الأجيال التى تعاقبت بعد ذلك — أية نصائح مثل تلك التى وصلت اليه من شقيقه « روبرت » من سانت بطرسبرج بأن يترك بسرعة كمخترع هذه الحياة اللعينة ، التى ليس وراءها الا النكبات والآلام . والحق ان شيئا لم يستطع أن يقف فى سبيله أو يوقفه عن سيره فى هذا الطريق . وكانت رغبته العارمة آنذاك أن يسترد بأقصى سرعة ما خسرته هذه الأسرة من أعمال ، وأن يعرض فى السوق زيت التفجير مع اضافة مادة متفجرة اليه ، وأن يكتسب ثقة الناس بهذا الاختراع .

وفى الرابع عشر من اكتوبر ١٨٦٣ منحه مكتب البراءات السويدى أول براءة له رقم ١٢٦١ من أجل «طريقة صناعة البارود» . ومن سوء الحظ اننا لا نستطيع من تطبيقات المخترع الشاب أو من البراءة ذاتها أو من الوثائق الأخرى أن نجمع الا معلومات ضئيلة عن طريقة نوبل فى انتاج النتروجليسرين . ومع ذلك فهناك جملة فى براءة الاختراع ذات اهمية كبيرة وهى : « اننى أستخدم النتروجليسرين الذى يركب باضافة جليسرين لمزيج من حامض الكبريتيك وحامض النتريك أو حامض الكبريتيك ونترات الصوديوم أو أى ملح آخر من أملاح البارود » . وهذه هى الطريقة البسيطة التى كانت تختلف بالنسبة للكميات والتفاصيل الميكانيكية للصناعة بوسائل مختلفة كثيرة كان يقوم بها ألفريد نوبل وآخرون طيلة سنوات كثيرة .

وفى جو من الشك فى دوائر كثيرة ، وتحت ضغط خطر جديد على صناعة وتخزين النتروجليسرين فى منطقة آهلة بالسكان .. مضى الى هدفه بحماسة لا تعرف الكلل ، وقد اظهر انه يستطيع أن يعمل بسرعة وأن يصل الى هدفه .

وقد رأت الشهور التى سبقت العام الجديد (١٨٦٥) والتى تلته تتابعا سريعا للاحداث الايجابية التى تقدمت بهذا التطور . ففى اكتوبر من عام ١٨٦٤ نجح فى اقناع مجلس الانشاء التابع لسكك حديد الدولة أن النتروجليسرين الذى صنع طبقا لما أجراه من عمليات وتجارب .. أكثر قوة فى الانفجار من البارود الأسود العادى ، وقد صدق على هذا الاختراع رسميا ونفذ بالفعل فى عمليات تفجير الانفاق التى كانت تتم فى ستكهولم فى ذلك الوقت .

وكان عمل المصنع على نطاق اكبر .. مهما جدا فى ذلك الحين ، ولكن الاتجاه العدائى من الشعب لهذا العمل الخطير الذى يقوم به جعل من العسير عليه أن يضمن منطقة أو حتى مكانا صغيرا لاقامة مصنع ولو لفترة معينة . فلم يكن أحد يريد مثل هذا الجار . وفى خلال شهر واحد كان ألفريد - مستخدما أبسط الاجهزة التى يمكن تصورها - يصنع زيت التفجير على ظهر بارجة مغطاة أرسلها فى بحيرة « مالارين » خارج حدود منطقة ستكهولم الآهلة بالسكان . وكان لابد من الاحتفاظ بهذه البارجة كذكرى صناعية ، ذلك لانها أصبحت مهد الصناعة على نطاق عالمى وثورة ذات أهمية لم نكن نحلم بها .

ووجد الفريد نوبل معضدا واسع الذهن بعيد النظر لهذه الأعمال التى يقوم بها فى شخص ج.و.سميت (١٨٢١ — ١٩٠٤) التاجر فى ستكهولم الذى جمع ثروة فى أمريكا الجنوبية ، والذى استطاع ان يرى آفاقا اوسع من تلك التى فى ستكهولم . واستطاع مع والده «و. سميت» وآخرين أن يقيم أول شركة فى العالم ذات مسئولية محدودة فى هـذا الميدان وذلك فى نوفمبر عام ١٨٦٤ . وفى العام التالى وبعد كثير من النكسات ، تلقت هـذه الشركة — شركة النتروجليسرين المتحدة — تصريحا ببناء المصنع الذى قدم لفترة تزيد على خمسين عاما متفجرات نوبل والبارود المتفجر من كل نوع ، مع الاستمرار فى الزيادة ومضاعفة الانتاج ، وكان ذلك المصنع فى مـكان منعزل ناء يدعى «فنترفيكن» . وكان راس المـال الأولى ١٢٥ ألف كرون ، منها خمسة وعشرون ألفـا للمصروفات الجارية . وتوضح السجلات أن نوبل الشاب لم يكن فى المراحل الأولى مدير الشركة فحسب ، بل كان أيضا مهندس المصـنع والمراسل ومدير الاعلانات والصراف .

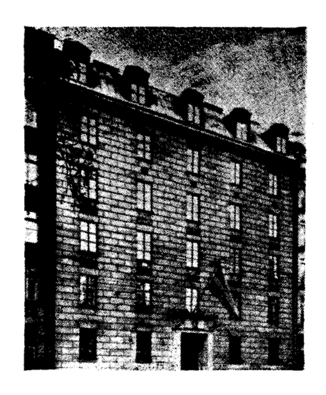
ثم أنه أستدعى صديق طفولته المهندس «الاريك ليدبك» (١٨٣٤ — ١٩١٢) ليشاركه فى المصنع ، وكانت هذه بداية التعاون المثمر الذى ادى بعد ذلك الى انشاء كثير من المصـانع الهـامة فى أجزاء أخرى من العالم ، وصناعة أجهزة جديدة ، وتطوير وسائل جديدة للانتاج فى الارض التى كانت لا تزال عذراء . وكان وراء هذا كله تفاهم متبادل وصداقة شخصية استمرت طيلة حياتهما .

لقد كان العمل والنشاط من أهم المبادىء التى تقوم عليها حياة ألفريد نوبل . وقد تطورت هذه المبادىء فى تلك الفترة الى درجة كبيرة لا يمكن تصديقها . فسافر دون تعب يعرض انتاجه على المشترين فى المحاجر والمناجم . وعن طريق توزيع التوجيهات والارشـادات المفصلة لطريقة استعمال هذه المتفجرات ، وكان ذلك عن طريق البريد — وهذا شىء لم يكن من الأشياء العادية فى تلك الأيام — اعلنت الشركة عن منتجاتها . وعلى الرغم من أن أحداثا خطيرة كانت تقع بين الحين والآخر نتيجة اهمـال العملاء والزبائن ، فان النتائج الباهرة فى شركات التعـدين وفى شق الأنفاق التابعة للدولة التى تحقق فيها الوقت والجهـد ضاعفت من اهتمام الجميع بالنتروجليسرين وبهذه المتفجرات التى أحدثت ثورة .. وأصبحت هذه المتفجرات تناقش باحترام فى دوائر المناجم وفى الشئون التكنيكية ، وعلى التو كانت هناك استفسارات كثيرة حتى من الخارج .

وقد ساعد استخدام النتروجليسرين على حل احدى المشكلات الهندسية الكبيرة فى ذلك العصر ، وهى بناء سكك حديد الباسفيك المركزية على جبال « سيرا نيفادا » . وكانت شركة السكك الحديدية تستخدم النتروجليسرين السائل قبل براءة الديناميت (١٨٦٨) بوقت طويل والحق انهم لم يستخدموها الا فى شكلها السائل . واكتشاف نوبل أن النتروجليسرين يمكن أن يفجر كان فى تقدير هذه الشركة يستحق ملايين الدولارات .

ولقد كان ايمان نوبل باستخدام مخترعاته فى المستقبل فى مشروعات على نطاق واسع ، وفى مدى فائدتها للانسانية كلها .. حافزا له على أن يوسع من خططه ومشروعاته الى أبعد من هذا المصنع الصغير ، والى أبعد من السوق المحلية .





منـــزل أسرة نوبل الاســاسى الاصلى فى شارع ١٤ ستوريجاتان باستكهولم

معهـد نوبل الطبى للامـراض العصـبية والفـــريولوجيا ى ستكهولم

الفصل التاسع
بين النجاح والفشل فى الصناعة الجديدة

كان الفـــريد نوبل يدرك ادراكا تاما كل ما تتضمنه الاحتياجات الجديدة للسوق العالمية . كذلك كان على يقين من أنه من اليسير نسبيا بالنسبة للمنافسين أن يخرجوا الى السوق بأجهزته البسيطة ومنتجاته ، وكان قد خبر التجربة المرة فى قابلية الزيت للتفجير تحت أى ضــغط ومتاعب الانتقال التى تترتب على ذلك . لذلك قرر أن يعطى على الفور براءات دولية لانتاج السائل وأن يصنع فى المستقبل بالقرب من المكان الذى يستهلك فيه ، أو على الأقل فى البــلاد التى يســتخدم فيها . وهكذا ــ بعد أن اختمرت هذه الفكرة فى ذهنه ، وبعد أن منح براءات لانجلترا والنرويج وفلندا ــ بدأ مفاوضات طيبة مــع عدة دول أوربية أخرى ومع الولايات المتحدة . وبعد أن تم ترتيب ذلك ، وبعد أن عهــد بمصنع « فنترفكين » لمساعدين أكفاء « وهما شقيقه روبرت وصديقه الاريك ليدبك » ، قبل فى مارس من عــام ١٨٦٥ دعــوة كريمة من هامبورج من أجل الانتاج المشترك . وقد نتج عن ذلك ذهابه الى هناك وكانت بداية نشاط واسع كبير .

وفى شهر يونيه من العام نفسه وبمعاونة « ولهلم ، وتيود وروينكلر » وهما من تجار الســويد ، والدكتور « ش. أ. باندمان » وهو محام من هامبورج وكانت له اتصالات طيبة مع الدوائر المالية ودوائر المناجم فى ألمــانيا ، أسس نوبل اول شركة أجنبيـــة له وهى شركة « الفريد نوبل وشركاه » .

وبعد ذلك على الفور قدمت كل التسهيلات من جانب المانيا ، كما أن الشئون المــالية أكدت أن العمل فى المصنع يمكن أن يبدأ بداية طيبة بخمسين عاملا ، وقد كان المصنع يقع فى مكان بعيد ملائم .. فى موقع ممتاز فى «كروميل» على «نهر الالب» جنوبى هامبورج ، وكانت فى ذلك الوقت أكبر مركز للاســتيراد والتصــدير . ومن ذلك المــكان كان النتروجليسرين يعبأ عادة فى علب من القصدير ويوزع بسرعة بالعربات

والقطارات او القوارب على الأماكن المختلفة فى المانيا كما يرسل الى النمسا وبلجيكا ايضا والى العملاء فيما وراء البحار فى الولايات المتحدة الامريكية وامريكا الجنوبية ، وبعد ذلك الى استراليا .

ويجب ان نذكر أن اهتمام انجلترا ــ وكانت قد منحت براءة الاختراع فى أوائل عام ١٨٦٣ ــ كان فاترا ، ولم تستورد هذا الزيت المتفجر الا بعد أن قام نوبل بجهود كبيرة وبعد أن امكن توفير المكان الآمن لتخزين هذا الزيت . وكان أول طلب لهذا الزيت من انجلترا من محاجر شمال ويلز ، حيث استخدم اثنان من العملاء تسعة أطنان من الزيت المتفجر المستورد فيما بين عام ١٨٦٦ وعام ١٨٦٨ فقط قبل أن يسرى القانون الخاص بالحد من النتروجليسرين فى عام ١٨٦٩ . وكان هذا يحدث بالرغم من سعره المرتفع جدا . فقد كان ثمن الرطل ثلاثة شلنات وخمسة بنسات على حين كان ثمن الرطل من أية مادة متفجرة عادية أربعة بنسات ونصف بنس .

وبعد أن قدرت جميع الاعتبارات ، كانت البداية الطيبة فى هذا العمل فى البلاد المختلفة ، وبدت جميع هذه الجهود طيبة ناجحة . ولكن على الرغم من العملاء الكثيرين الجدد والتقدم الذى كان يحرز فى هذا الميدان ، تخللت السنوات القليلة التى تلت ذلك بعض الاضطرابات والأمل المشوب بالمرارة ، بسبب المخاطر والمجازفات فى هذا العمل وبسبب شكوك السلطات وبسبب قلة الأموال والمواد الخام. وكان نوبل ومساعدوه يواجهون كل يوم بمواقف تثير الاضطراب والالم كما كانوا يواجهون بقدر كبير من العمل الشاق المضنى .

ولكن حدث ما هو أسوأ من ذلك فيما بعد . فبسبب عدم معرفة العملاء والذين يقومون بنقل الزيت بخواص هذا الزيت المتفجر ، وبسبب تجاهلهم للتعليمات التى تصدرها الشركة ، وكذلك بسبب عدم استقرار المادة من الوجهة الكيمائية مما يؤدى الى حساسية للتفجير عندما تخزن أو تتعرض للتغييرات فى درجة الحرارة ، وصلته الأنباء والتقارير الكثيرة تقول ان تفجيرات مرعبة رهيبة ونكبات مذهلة وقعت فى كل أجزاء العالم . وراح ضحية هذه النكبات اناس كثيرون ، كما قضت على وسائل النقل والمخازن والمصانع ، ونتيجة لذلك تأثرت شركة نوبل وكذلك الأسواق التى كسبتها أخيرا فى العالم . وعلى الرغم من أن هذا الزيت المتفجر قد ثبت أنه اقوى من اى بارود منافس له فى أى مكان فى أنحاء العالم . . الا أن العملاء والرأى العام شعروا بذعر شديد ، كما أن السلطات

فرضت القيود الكثيرة عليـــه . بل ان بعض الدول حظرت استيراده ، وهكذا هددت بخنق الصناعة والقضاء عليها فى « فنترفيكن وكرومل » .. بل وبايقاف العمل فى بناء المصانع التى وضعت خطتها فى النرويج وفنلندا .

وهوجم مصنع الفريد وشركاه ، وهم الذين قدموا هذه المنتجات المهلكة ، بالشكاوى والتهديدات ، الأمر الذى أدى الى تشـديد القيود على الاستيراد . ومع ذلك ففى وقت قصير استطاع صاحب الاختراع أن يجد وسيلة لتبديد هذه السحب العاصفة السوداء ، ولكن قبل أن يحدث ذلك ، وفى الوقت الذى كانت أنباء حوادث التفجيرات تتوالى فيه أكثر من ذى قبل فى ربيع عام ١٨٦٦ ، انطلق نوبل نفسه ، بعـد أن اطمأن الى النشاط التام الذى يقوم به مصنع كرومل ، فى رحلته الثانية الى الولايات المتحدة الامريكية .

وقد كانت تكتيكات نوبل دائما أن يخطط ، ويخترع ويعمل ، وأن يرى المشروع وقـد وقف على قدميه وحينئذ يسرع قدما الى أعمـال جديدة . وقد فعل الشىء نفسه الآن .

وهنا نحب ان نذكر أن براءة صناعة واستخدام النتروجليسرين التى كان نوبل قد منحها لأمريكا بتاريخ ١٤ ــ ٨ ــ ١٨٦٦ تحت رقم ٥٧١٧٥ قد أوجدت نشاطا كبيرا فى الدوائر البعيدة النظر فى نيويورك « وسان فرنسيسكو » . ومن التجارب التى قام بها عملاؤه تبين مدى امكانيات استخدامها واستغلالها . وفى العام التالى بدأت الدسائس ، ومن ثم أثيرت المنازعات حول حقوق الملكية والدعاوى القضائية . ويجب أن نذكر أن ادخال الزيت المتفجر فى السوق الامريكية قد حدث فى أثناء فترة الفوضى التى أعقبت اضطرابات الحرب الأهلية فى وقت كانت فيه حمى البناء والعمل على أشـدها ، وانشاء الطريق الحديدى عبر القارة وفتح آفاق واسـعة لاستخراج الذهب والبترول من المناطق المزدهرة فى الغرب .

وقد دفعته الى هـذه الرحلة ، التى اسـتغرقت ثلاثة شهور فى أمريكا ، حاجته الى المال لمصنع كرومر وضرورة الحصول على حقوقه فى الاختراع من أمريكا . وكان وراء هذه الرحلة أيضا رغبة فى التوسع وقلق دفين . وقد كان هذا بداية لتنقلاته الكثـيرة التى كانت تتعلق بشئون البراءات والعمل الذى شغل أكبر وقت فى حياته والذى أدى لأن يطلق عليه بعد ذلك « أغنى المتشردين فى أوربا » .

ومثل هذه الرحلات ــ بالنسبة لرجال الأعمال فى الوقت الحاضر ــ بسيطة وسريعة ، ولكن العقد السابع من القرن الماضى ، على الرغم من التقدم فى ميادين كثيرة كان عصرا بدائيا بالنسبة للمسافرين . لقد كانت الرحلة فى تلك الأيام عملا شاقا طويلا سواء بالبر او بالبحر . وقد كان اى فرد يسعى الى النجاح فى بلد أجنبى يجد المشروعات الدولية القاسية عبارة عن أدغال كثيفة لابد من المجاهدة والنضال لاختراقها والخروج منها ، وخصوصا اذا كان هذا الشخص مثل الفريد نوبل ، المستقيم المتواضع الذى خبر ذلك كله الى أقصى درجة .

وكانت رحلته الى الولايات المتحدة ذات أحداث كثيرة ، ولكنها لم تتفق مع ما كان يتوقعه وما يطمع فيه . فتصدير النتروجليسرين الى الولايات المتحدة من مصنعه البعيد فى « كرومل » لم يكن لأسباب كثيرة يكفى لمواجهة المطالب المتزايدة . وارسال البضائع والسلع عن طريق البحر مباشرة من هامبورج الى نيويورك كان شيئا بسيطا ، ولكن نقل شىء حساس مثل النتروجليسرين الى سان فرنسيسكو ، أو ميدل ويست ــ كان مخاطرة كبيرة . وقد كان الطريق من هامبورج الى سان فرنسيسكو فى تلك الأيام طويلا وخطيرا وباهظ التكاليف ، اذ كان لابد من السير جنوبا عبر الأطلنطى وحول الكاب أو عن طريق البحر الكاريبى الى الساحل الشرقى لبرزخ بنما . وبسبب عدم وجود أية قناة حينئذ كان لابد من تفريغ الشحنة ونقلها بالعربات أو الحمالين عبر طرق وعرة الى الجانب الغربى حيث يعادشحنها بالسفن لتنقل من ساحل الباسفيك، وكان هؤلاء الذين يقومون بنقل هذا الانتاج يجهلون الخواص الخطيرة له، ومن ثم كانت الحوادث كثيرة جدا أثناء النقل .

كان الاستيراد يجد العراقيل فى مرحلتى النقل والشحن بسبب الحوادث الكثيرة التى كانت تقع ، ولكن الانتاج وجد أيضا معارضة شديدة من جانب رجال صناعة البارود فى أمريكا الذين رأوا أسواقهم التى استقرت وقد بدأت تتعرض للخطر فى فترة كان يمكن أن تزدهر فيها صناعتهم لولا هذه الصناعة الجديدة . وبدأت الحملات الصحفية والبيانات من جانب هؤلاء الرجال وقد قال « هنرى دى بونت » مدير الشركة المسماة باسمه « ان الذى يستخدم هذه المادة وهى «النتروجليسرين» سوف يفقد حياته بسرعة » .

ومع ذلك فقد أدت جهود الفريد نوبل القوية من أجل انتاج هذه المادة على نطاق واسع فى الولايات المتحدة ، الى تأسيس شركة كبيرة عام

١٨٦٦ مع مساهمين من نيويورك برأس مال وصل الى مليون دولار . وحينما عرض على نوبل ربع مليون دولار بأسهم حرة بالاضافة الىعشرين ألفا من الدولارات نقدا ثمنا لبراءة الاختراع .. قبل على الفور . ولكن لأن رأس المـال لن يغطى بسرعة ، وبسبب بعض العوائق التى وقفت فى طريق المهمة الاساسية للشركة وهى بناء مصنع فى نيويورك ، تحولت حقوق براءة الاختراع الى شركة جديدة . وقد قررت هذه الشركة ، وهى « شركة البارود » فى سان فرنسيسكو أن تزود سوق كاليفـورنيا من مصنع محلى بدلا من امداده ، بصعوبة كبيرة ، بسلع مستوردة من كرومل ، كما كان الحال من قبل .

وبعد ذلك بقليل أنشىء مصنـع آخر فى ريتشموند ، وهو الحي الغربى لسان فرانسيسكو ، وهو الآن «هولوف جيب بارك» ، وكان العمال من الصينيين ، ووصل الانتاج اليومى الى نحو نصف طن ، وبلغ سعر الرطل دولارا وخمسة وسـبعين سـنتا . وكانت الصناعـة فى أيدى مهندسين من السويد بعث بهم من كرومل ، وكان الوكيل التجـارى للمبيعات هو التاجر النشيط « يوليوس باندمان » الذى كان يعيش فى كاليفورنيا والذى كان شقيقا لشريكه فى هامبورج .

وكان أول تفجير فى الولايات المتحدة ، بالزيت المتفجر الذى اخترعه نوبل ، فى الخامس عشر من يوليه عام ١٨٦٥ بمادة مستوردة ، حتى قبل أن يمنح نوبل براءة الاختراع للولاياتالمتحدة ، وأصبحتأنباء هذه المادة العجيبة على كل لسـان وفى كل صحيفة . وقـد أراد كل الذين كانوا يحتاجون للمتفجرات أن يحصلوا على السر . لذلك وقبل أن تمضى فترة طويلة كانت هناك صناعات سرية لهذه المـادة فى جميع انحاء البـلاد ، واضطربت الأحوال فى الأسواق القانونية لبعض الوقت .

وفى عام ١٨٦٨ أنشـئت شركة الأطلنطى للبارود لامداد نيويورك والولايات الشرقية بحاجتها من هذه المـادة ، وضمت هذه الشركة اليها شركة كاليفورنيا كشريكة لها . وقد نجحت الشركتان الكبيرتانفى البداية. ولكن بعد أن تبين أن شركة الولايات المتحدة للزيت المتفجر تتضـاءل وتضمحل ، وبعد أن قررت بعض الشركات الحصول على العملاءبوسائل خسيسة ، لم يبد أى أمل فى محاربة ومواجهة هذه الشركات بالوسـائل القانونية ، لذلك تكون اتحاد من عدة شركات . وأصبح راس مال شركة الأطلنطى للبارود ثلاثة ملايين منالدولارات بنسبة ثلاثة فىالمائة للشركات الملحقة والباقى للمساهمين القدامى .

واشتدت المنازعات بين الشركات ، وضاق نوبل بهذا الجو ، وقد كتب لأحد مهندسيه يقول رأيه فى أمريكا : «لقد وجدت الحياة فى أمريكا غير ملائمة . ان السعى العنيف وراء المال يضيع الكثير منه منذ أول مقابلة مع الناس ، ويقضى على الشعور بالكرامة جريا وراء حاجيات فى الخيال والتصور » .

ونحن نجد فى كل ما كتب ، تفاصيل هذه المعركة التى خاضها من اجل الحق والتقدم ، وهذه الكتابات كلها تشكل مادة لقصة مغامرات تبدو فيها الحقيقة أغرب من الخيال .

وبعد ذلك كله نجد نوبل مساهما صامتا مرتابا فى شركات أمريكا حتى عام ١٨٨٥ حينما تأكد من ان كل ما يملكه هو عشرين الف دولار فقط .

لقد ضاع رجال الأعمال الأوربيون وهزموا فى نيويورك بسبب الأساليب المنحرفة للعالم الجديد ، ولكن المخترع كان وهو فى طريقه الى كرومل عام ١٨٦٦ ، تحت تأثير أفكار كثيرة للتغلب على المتاعب والمشكلات التى واجهته .





منزل ألفريد نوبل فى باريس ٥٣ افنيو مالاكوف حيث أمضى فيه سنين كثيرة

معمل ألفريد نوبل فى (بروكسهورت) آخر مكان أقام فيه بالسويد



الفصل العاشر
ديناميت جور

ان سلسلة الكوارث التى حدثت فى تاريخ النتروجليسرين الشديد المراس انتهت بضربة قوية تلقاها المخترع ، وذلك حينما نسف مصنع « كرومل » بسبب انفجار شديد ، فى أثناء اقامة الفريد نوبل فى نيويورك . ولما عاد الى أوربا فى اغسطس من عام ١٨٦٦ كان الموقف حرجا يتسم بالفوضى . ومرة أخرى نجد الفريد نوبل ، المعتل الصحة ، يظهر قوة شخصية بأن أقام صناعته من جديد وجعلها تقف على قدميها على الرغم من المصاعب والمشكلات الاقتصادية والتكنيكية الكثيرة . ولم ينظر فى ذلك الحين ، أو فى تلك الأزمة ، للناحية التجارية للمصنع على انها أهم مهمة أمامه. فبسبب الاحداث المستمرة الكثيرة التى لاتحتمل كان لابد من تغيير سريع جذرى فى طبيعة المادة المتفجرة ، وكان مفتاح المشكلة فى « ثبات » الزيت المتفجر . وقد قال نوبل : « منذ اوائل عام ١٨٦٣ كنت أدرك ادراكا تاما مضار النتروجليسرين بشكله السائل » . لذلك كرس كل طاقاته فى ذلك الحين لايجاد الوسيلة التى يجعل بها هذا المتفجر أقل خطورة واكثر امنا أثناء نقله من مكان الى مكان ، دون ان يفقد قوة التفجر الكامنة فيه الى درجة كبيرة .

وكان فى نيويورك قد جرب وسيلة لذلك باضافة « الكحول الميثيلى » الى النتروجليسرين ، فالكحول يزول بسرعة بغسله بالماء حينمايستخدم الزيت المتفجر ، واعتقد فى بادىء الامر أنه قل حل مشكلة حساسية وخطورة هذا المتفجر . ومع ذلك فهذه الوسيلة من الوجهة العلمية لم تكن دقيقة وكافية ، وعلى الفور حول اهتمامه الى المواد الجامدة او التى تشبه المساحيق ، وحاول فى أول الأمر خلط النتروجليسرين بالبارود الأسود ، وأخيرا حاول ان يجعل النتروجليسرين تتشربه مواد غيرمتفجرة ذات طبيعة لا تؤثر كيميائيا عليه — أى على النتروجليسرين — وأخيرا جدا استقر رأيه على مادة كيسلجور وكان ذلك عام ١٨٦٤ ، وقبل أن تمضى مدة طويلة ردت اليه اعتباره وازالت آلامه ، وأثبتت انها الخطوة التى أدت الى حل المشكلة ..

ومادة « كيسلجور » عبارة عن طينة طبيعية نقاعية موجودة بكميات كبيرة فى بعض الاماكن ، وهى تفتقد التفاعل الكيميائى وهى سامية الى حدكبير ولديهاقدرة على الامتصاص. وفى هذه الأزمةبحث المخترعوضع ثلاثة أجزاء من النتروجليسرين يتم تشربهـا فى جـزء من هـذه المادة « كيسلجور » وذلك لأنها تشكل متفجرا جامدا سـهل الحمـل. وعلى الرغم من أن قوة انفجـار المـادة الجديدة كانت تقـل عن قـوة النتروجليسرين بنسـبة ٢٥٪ الا أن نواحى الضـعف فى هـذا الأخير ـ النتروجليسرين ـ وهى شـكله السائلى وحساسـيته للصدمات ودرجة الحرارة وصعوبة نقله ، قد تضاءلت او زالتبشكل فعال ، وعلاوة على ذلك فان العجينة يمكن أن توضـع فى انبوبة من الورق فتشـكل عصا صغيرة يمكن أن يستخدمها من يريد ويضـعها مباشرة فى الحفر أو الثقوب .

وبعد عدة تجارب ناجحة اجراها بنفسه فى مناجم المانيا ، قدم نوبل اختراعه الجديد فى أثناء عام ١٨٦٧ ومن بين براءات الاختراع فى الدول الاخرى نذكر انجلترا وبراءتها بتاريخ ١٨٦٧/٥/٧ برقم ١٣٤٥ ، والسويد بتاريخ ١٨٦٧/٩/١٩ برقم ١٠٢ ، والولايات المتحدة بتاريخ ١٨٦٨/٥/٢٦ برقم ٧٨٣١٧ .

وأطلق على هذا الاختراع اسم « الديناميت » من كلمة اغريقية معناها القوة .. وقد قال نوبل بهذه المناسبة فى جمع كبير : « ان هذه المادة المتفجرة الجديدة التى أطلق عليها اسم الديناميت ليست اكثر من النتروجليسرين ، واذا كنتقد أعطيتها اسما جديدا فليس ذلك لاخفى طبيعتها ، ولكن لكى أوضح أمامكم خواصها المتفجرة فى شكلها الجديد ، وهى خواص مختلفة اختلافا تاما ، حتى لتتطلب اسما جديدا » .

ومن المعمل الصغير فى كرومل ، وفى خلال فترة من التوتر العصبى الشديد ، قدم الفرد نوبل ، المخترع الذى كان يبلغ من العمر حينذاك ثلاثة وثلاثين عاما ، اختراعا كان فاتحة جديدة ، وربما لم يكن أهم ماقدمه، ولكنه على أى حال كان الاختراع الذى طبقت شهرته الآفاق . وكان أول حل عملى معقول للمشكلة ، وكان أساسا لكل صناعة المتفجراتالكيميائية فى المستقبل .

ولم يكن اكتشاف «ديناميت جور» وليد المصادفة ولكنه كان ، مثل كل عمل قام به نوبل ، ثمرة بحث وجهود مضنية. ومن جهة أخرى نجد أن ماحدث للديناميت وانتشاره السريع الناجح فى جميع انحاء العـالم

يكشف عناصر درامية كثيرة ، كما يزيح الستار عن المتناقضات بين الخير والشر .

وأثار الاختراع اهتماما كبيرا فى جميع أنحاء العالم ، فهذا الديناميت وانماطه التى تطورت اخيرا ، والتى قام بها الفرد نوبل كانت ثورة ذات نتائج غير محدودة وبعيدة المدى ، مباشرة وغير مباشرة ، حتى ليستحيل علينا ان نقدرها . فقد أمكن على الفور البدء فى المشروعات ذات الاهمية الكبيرة فى التعدين والصناعة والمواصلات وهى التى لم يكن احد يفكر فيها من قبل بسبب الوقت والتكاليف ، وذلك كله بعد أن ظهر الديناميت فى الاسواق العالمية . وقد تمت أعمال كثيرة عظيمة فى جميع البلدان نتيجة لهذا الاختراع وفى حياة نوبل ، ويمكن القول بأن عهد التطور الذى بدأ بالبخار قد تلقى دفعة وحافزا جديدا مدهشا من هذه المتفجرات التى اخترعها نوبل. والديناميت فى الوقت الحاضر اسم شامل لأنواع مختلفة من المتفجرات تصل الى أكثر من مائة نوع فيها النتروجليسرين هو العنصر السائد الغالب .

وكان الرائد القديم ، ايمانويل نوبل ، لايزال حيا ، وكان جميلا رائعا بالنسبة له أن يرى عصرا من الامل للافكار التى نادى بها فى حياته عن المتفجرات واستحق — والفضل فى ذلك للنجاح الذى حققه ابنه — أن يتذوق بعض ثمار النصر بأن عرف سنوات قليلة خالية من الضيق المالى والمتاعب المادية ومات عام ١٨٧٢ . ولكن قبل هذا التاريخ ، وفى عام ١٨٦٨ على وجه التحديد ، منح الأب والابن الميدالية الذهبية للاكاديمية الملكية السويدية للعلوم، وذلك عن الاعمال البارزة فى مجال الفن والأدب والعلوم ومن أجل الاكتشافات الهامة ذات القيمة العملية للانسانية ، وقد قررت الاكاديمية أن تمنح الجائزة لايمانويل نوبل ، عن خدماته بالنسبة لاستخدام النتروجليسرين كمادة متفجرة بصفة عامة ، وأن تمنح لالفريد نوبل ، من أجل اختراع الديناميت بصفة خاصة .

ولم ينس نوبل أن النتروجليسرين هو المادة الهامة فى اختراعه ونجاحه — ولذلك اعترف بمكتشفها من الوجهة العلمية وهو « أسكانيوسوبريرو » وذلك بالحاقه كمستشار فى الشركة الايطالية السويسرية حيث ظل يعمل فيها وهو يحصل على مرتب طيب الى أن مات عام ١٨٨٨ ، وقد وضع تمثال نصفى له عام ١٨٧٩ فى مصنع «آفيليانا» وهى المدينة التى كان يعيش فيها فى ايطاليا .

الفصل الحادى عشر

استعمال الديناميت

بعد الاعمال التى اتسمت بالقوة والتى تطلبتها اعادة افتتاح مصنع «كروملِ» والتجارب التى اقترنت باكتشاف «ديناميت جور» بدأت فترة استعمال واستغلال هذه المادة . ومضى نوبل . وهو على يقين من الأهمية الدولية لهذا الانتاج فى المستقبل ، فى التنظيمات التجارية الكبيرة فى عزم ، وان لم يكن فى حماس شديد ، لأنه يعلم من التجربة ان هذه التنظيمات جزء من النضال حينما يوضع انتاج جديد فى السوق الدولية . وقبل أن يمنح براءة الاختراع لأحد كانت صناعة « ديناميت جور » تمضى على أشدها فى المصانع، وتوسعت على الفور صناعة النتروجليسرين فى السويد والنرويج وفنلندا حتى تصنع الديناميت ونهضت على الفور مصانع جديدة .

وكان نوبل قد اعتاد على النكسات ولم تتركه حتى فى تلك اللحظة ، فبجانب المتاعب المالية ، وبالاضافة الى محاولة الآخرين استغلال براءة الاختراع لفائدتهم هم ، كان عليه أن يصارع القيود التى فرضت فى الدول الكثيرة على النتروجليسرين، وكانت السلطات فى هذه الدول تراقب هذه المادة وتخشاها باستمرار .

وأصبح الاهتمام بالديناميت عظيما كما كال الحال من قبل بالنسبة للزيت المتفجر، وذلك من جانب الجميع ، من الخبراء فى النواحى العلمية الى الملاحظين المشرفين . ولكن العملاء كانوا يتسمون بالنزعة المحافظة ، فعلى الرغم من المخاطر ، كانوا يفضلون المادة السائلة التى كانت رخيصة الى حد ما ، اذ كانوا يعتبرونها أكثر فعالية، وسرى فى بعض الدوائر راى خاطىء بأن الديناميت عبارة عن زيت متفجر مخفف .

واذا قرانا الصحف المعاصرة لهذا الكشف الجديد والكتابات التكنيكية تأكد لنا ان الجدل قد اشتهر فى الدوائر العلمية ودوائر المستهلكين فى مختلف اجزاء العالم . وفى خلال العقد الثامن من القرن الماضى استطاع الديناميت أن يسيطر عمليا على السوق، هذا اذا تجاهلنا بعض التقليد غير القانونى .

وقد يبدو ان ارقام الانتاج التى خرج بها نوبل عام ١٨٧٥ بسيطة جدا ، ولكنها تعطينا صورة واضحة للزيادة المطردة .

١٨٦٧	١١ طنا
١٨٦٨	٧٨ طنا
١٨٦٩	١٨٥ طنا
١٨٧٠	٤٢٤ طنا
١٨٧١	٧٨٥ طنا
١٨٧٢	١٣٥٠ طنا
١٨٧٣	٢٠٥٠ طنا
١٨٧٤	٣١٢٠ طنا

واضطر نوبل ، ولم يكن له سكرتير أو محام خاص ، أن يقوم بهذا العمل بنفسه وهو شيء خطير وخصوصا بالنسبة للبراءات الكيمائيــة . لذلك كان يضطر لاضاعة كثير من الوقت . وان طبيعة هذه المادة ، التى كان من السهل نسبيا على الخصوم أن يقلدوها ، كانت تعنى أن يتورط نوبل فى مفاوضات قانونية معقدة مع وضد محامين من هنا وهنــاك ، وكانت هناك منازعات كثيرة أقلقت نفسه ، وقرر أن يحصل على شركاء كثيرين ذوى أهميــــة كبيرة فى تطوير هذه الصــــناعة ، ولكنه أثقل بالكثير من المساعدين الذين سببوا له المتاعب الكثيرة والخسارات المالية .

ان كل طور من أطوار حياة هذا المخترع والمالى ورجل الصناعة كان غنيا فى تفاصيله حتى ان مجلدات يمكن أن تكتب عن كل طور منها . وليس من الممكن فى هذا المجال ان نذكر أكثر من قليل من الذين اشتركوا معه فى العمل فى الدول المختلفة وفى المجالات المختلفة ، وبمضى الوقت كان

وكانت حماية هذه المخترعات من أهم الاشياء فى هذه الصــناعة ، لديه مئات من هؤلاء الرجال الذين قدموا له الخدمات الجليلة لســنوات طويلة فى المجالات التكنيكية والتجارية والادارية فى هذا العمل الكبير. كان هناك كثيرون من ذوى البصــيرة والقدرة والكفاءة من جنســيات مختلفة ، ومن بينهم كثيرون من بلده، فقدوا حياتهم فى هذا العمل الخطير وهم ما زالوا فى شرخ الشباب ، ولـكنه لم ينج أيضـا من الخــونة الأوغاد ذوى النوايا المنحرفة الذين خانوا ثقته وسببوا له خيبة الأمل المريرة.

الفصل الثانى عشر

إقامة صناعة على نطاق عالمى

فى الصفحات السابقة تحدثنا باختصـــــار عن المصانع الأولى فى اسكندناوه وفنلندا وألمانيا كما تحدثنا عن نضال الفريد نوبل العنيف لكى يضع متفجرات النتروجليسرين ، التى اخترعها فى أسواق اوربا وامريكا ـ وقد تم هذا كله قبل بداية سبعينات القرن التاسع عشر. وكان محدد الهدف ولكنه كان يعانى من ظروف مالية مؤلمة ولقد تحسن الموقف بشكل كبير بعد تلك الفترة ، فقد جاء « ديناميت جور » الذى استطاع بسرعة فائقة ان يحوز رضاء الجميع وأن يأتى بدخل كبير للمخترع وبدخل كبير للشركات التى كان ينشئها فى أقطـار كثيرة ، كما جاء برؤوس أموال الاستثمار من جهات كثيرة. ومع ذلك وكما كان يحدث دائما ، كان عليه أن يكافح ويناضل ضد معارضيه وضد المنافسة الخطيرة وضـد الذين كانوا يقلدون صناعته ، ولكى نعطى صورة واضـــحة عن شركات نوبل ومصانعها وأسواقها وجدنا من الصواب ان نقدم تقريرا منفصلا عن كل دولة ومنطقة ، وأن نوجز التطـورات التى نجمت عن ذلك حتى وقتنـا الحاضر .

الشركات الألمانيـــة

فى الفترة ما بين عام ١٨٦٥ وعام ١٨٧٣ اتخذ المخترع مقرا بسيطا له ومعملا خاصا فى «كروميل»،وكان مكتب الشركة فى «هامبورج»ومن ذلك المكان كانت شركة الفريد نوبل وشركاه تبعث بمتفجرات النتروجليسرين بكميات كثيرة لا الى الأسواق الألمانية فحسب.. بل الى الأسواق الاوربية والاسواق الاخرى فيما وراء البحار . وبعد عام ١٨٧٠ اصبحت هـذه الاسواق تزود بالمتفجرات من المصانع الجديدة التى كانت تقام الواحد بعد الآخر فى المكان نفسه .

ولقد تقوضت مصانع كروميل مرتين بسبب الانفجارات عام ١٨٦٦ وعام ١٨٧٠ وأعيد بناؤها واتسع نطاقها عام ١٨٧٦ ، وأعيد تنظيم الشركة الأصلية وأصبحت شركة ذات مسئولية محدودة «لديناميت جور» وكان

مقرها أيضا فى هامبورج . وعندما ازداد عدد العملاء من النمسا والمجر بعد اقامة المصانع الكبيرة فى « زامكى » عام ١٨٦٨ و « برسبورج » عام ١٨٧٣ اتخذت الشركة اسما جديدا لم يكن فيه اسم نوبل ، ولكن سرعان ما تبين خطأ هذا الاسم وأعيدت تسميتها بشركة «الفريد نوبل وشركاه للديناميت » . وانتقل « بول بارب » الفرنسى الى هامبورج من شركة نوبل فى باريس ، وفى السنوات الأربع التالية أصبح مديرا كفؤا هناك ، وفى الوقت نفسه دخل اثنان من مساعدى نوبل فى همبورج الشركة الفرنسية العامة فى باريس وكان هذا مثلا طيبا فى سياسة التبادل التجارى الدولى . وكان راس مال شركة هامبورج فى أول الأمر ثلاثة ملايين ونصف مليون مارك ، كان نوبل وبارب يملكان معظمها والحت عليه العوامل السياسية والادارية ، التى غالبا ما لعبت دورا فى مناشط نوبل الكثيرة الجوانب فى أن ينشىء شركة منفصلة للنمسا والمجر ، عرفت بعد ذلك بوقت قصير بشركة نوبل للديناميت . وكان مقرها فى فينا . ونتيجة للظروف التجارية الطيبة ، ونتيجة لبراءات الاختراع التى كان يمنحها المخترع للدول المختلفة ، ونتيجة لصناعة منتجات جديدة على أساس هذه البراءات ، كان هناك كثير من المساهمين يرغبون فى المساهمة ، ومن ثم كان راس مال الشركة يزداد بسرعة ، فازداد راس المال الى خمسة ملايين مارك . عام ١٨٨٨ ، وتسعة ملايين عام ١٨٩٨ ، واثنى عشر مليونا عام ١٩٠٨ ، وستة وثلاثين مليون مارك عام ١٩١٨ . ثم ارتفع الرقم الى ٢٠٥ ملايين مارك فيما بين عام ١٩١٩ وعام ١٩٢٣ وكان ذلك يرجع بالطبع الى التضخم الذى حدث بعد الحرب العالمية الأولى ، وفى عام ١٩٢٥ وفى العيد الستين للشركة استقر راس مال المساهمين عند ثلاثين مليون مارك .

وكان الدكتور « جوستاف أوف شيلجر » عضوا فى مجلس الادارة وأصبح بعد ذلك مديرا من عام ١٨٨٩ الى ما بعد ذلك بثلاثين عاما أو نحو ذلك . وكل من يعرفه يؤكد العمل الرائع الذى قام به فى الشركة الأم ولمصالحها فى الخارج .

وفى ستينات القرن التاسع عشر وفى سبعينات هذا القرن وجدت شركات كثيرة فى السوق الألمانية تنافس هذه الشركة ، ومع ذلك فقد نجح نوبل عام ١٨٨٦ فى أن يوحد هذه الشركات بالنسبة للأسعار وكون اتحادا شكله من شركاته فى ألمانيا وانجلترا ،ولكن هذه الاتفاقية الدولية سرعان ما تقوضت عند نشوب الحرب العالمية عام ١٩١٤ ، ولكن هذه الشركات فى العام التالى وحدت فى شركة واحدة هى شركة الديناميت فى همبورج ، وفى خلال السنوات العشر الأولى من القرن الحالى ، كانت

هذه الشركة برأس مالهـــــا ، الذى كان يبلغ اثنى عشر مليون مارك ، وبمصنعها ذى الستمائة عامل فى كروميل ، وبشركاتها الفرعية الثلاث فى المانيا ، أكبر شركة للمتفجرات فى القارة الأوربية .

وفى أثناء الحرب العالمية الأولى كان مصنع كروميل ، بعماله الذين وصل عددهم الى ألفين وسبعمائة عامل، وبدافع من الامبراطورية الألمانية، يقوم بنشاط كبير لانتاج المتفجرات والذخيرة التى تستخدم فى الحرب. ووضعت معاهدة فرساى ، ومن ثم هبط انتاج المتفجرات بشكل كبير.

وتأثرت المصانع بشكل سيىء وأصبحت الســـنوات التى أعقبت الحرب كئيبة مظلمة ، ولكن رأس المال والجهد الألمانى كان موجـودا . لقـد كانت المســألة تتعلق بايجـاد منتجـات تفيـــد وقت الســـلم يمـــكن صناعتها بالامكانيـــات المـــادية الرائعـــة وبالمهندســـين والعمال والماكينات والآلات والمعامل التى كانت موجودة . وتحفز كل فرد فى شركة نوبل لضرورة تغيير المصانع حتى تتواءم مع ظروف السلم ،وكانت النتيجة ذات أهمية كبيرة للحياة الاقتصادية للبلاد ولانتعاشـها فى وقت حرج ، كما كانت ذات أهمية للاتجاه العلمى ذاته . وبالاضافة الى معمل كبير للابحاث تم بناء مصنعين جديدين فى كروميل أحدهما للحرير الصناعى والآخر لمنتجات المنسوجات ذات الألياف. وكانت كل التفاصيل الصناعية لهذه الأنواع الجديدة من السلع، التى لعبت فيما بعد دورا فى صناعة المنسوجات ، تقوم على الابحاث الخاصة التى قام بها الفريد نوبل وعلى أفكاره فى خلال السنوات : من ١٨٩٣ الى ١٨٩٤ فى معمله فى سان ريمو. ودخلت المصانع الأخرى فى هذا المضمار لانتاج الفراء والحرير الصناعى والجلد الصناعى والصمغ ، وفى عام ١٩٢٠ انشئت شركة منفصلة لصناعة السينما والأفلام وأشعة «اكس» وأطلق عليها « نوبل فيلم » ج.م.ب.هـ. فى « جوليك » . وفيما بين عامى ١٩١٨ و ١٩٢٤ اشترت شركة نوبل للديناميت معظم الأسهم فى الشركات الالمانية الاربع الكبرى ، وكانت هذه المصانع قد تحولت لانتاج المتفجرات لأجل استخدامها فى الشئون المدنية ولانتاج عدد من السلع الاخرى الهامة فى الحياة الصناعية . ونتيجة للابحاث الكثيرة فى مختلف الفروع تحسن انتاج الشركة فى مجالات كثيرة وجىء بآلات جديدة وأساليب جديدة على الرغم من الظروف الصعبة ، وبروح من التقدم يستحقها ايمانويل والفريد نوبل .

وفى هذا الصدد يجدر بنا أن نذكر تشجيع شركة نوبل ومساعدتها فى تأسيس المكتب المركزى الدائم للبحوث الفنيـــــة العلمية فى « نوبا

بلسبرج » حيث كانت تجرى تجارب هامة ، وحيث كانت الارشـــادات فيما يتعلق بالنواحي الكيمائية والتكنيكية . وفى عام ١٩٢٦ تحالفت شركة نوبل فى المانيا مرة اخرى لا مع مثيلتها فى انجلـــترا فحسب بل مع أكبر شركة صناعية فى ذلك الحين فى المانيا . واتضح أن هذا الاجراء ذو نتائج طيبة للمستقبل، وانتقل المكتب الرئيسى من هامبورج الى «ترواسدورف» بالقرب من « كولونيا » .

وكانت السنوات الهـادئة فيما بين عام ١٩٢٩ وعام ١٩٣٩ فـترة رائعة من الرخاء للشركة التى كانت تضم فى ذلك الحين ثلاثة آلاف عامل فى الشركة الأم ، كما كان رأس مالها ٤٧ مليون مارك ، كانت تعود بفوائد كثيرة على الشركة .

ثم كانت الحرب العالمية الثانية فيما بين ١٩٣٩ و١٩٤٥ . وبعد أربعين عاما من موت ألفريد نوبل وانشاء جائزة السلام اصبح مصنعه فى «كروميل» الذى أنشأه عام ١٨٦٥ للانتاج الخاص بالصناعات السلمية ، واحدا من أكبر مصانع الذخيرة، به تسعة آلاف عامل يعملون من أجل الموت والدمار والقى جانبا بكل شيء يخدم العمل البناء . ومن عجب أن ينجو المصنع من الدمار الى أن كانت نهاية الحرب . . ففى أثناء غارة جوية قام بها الحلفاء فى وقت النهار ، وكان ذلك فى اواخر ابريل عام ١٩٤٥ ، أبيد هذا المصنع بألف قنبلة ثقيلة كانت قوة التفجير فيها تقوم على أسس مخترعات الفريد نوبل . وبعد احدى عشرة ساعة صهر كل شيء حتى التمثـال البرونزى الكبير لألفريد نوبل فى البهو الرئيسى للمصنع ، ولكن التمثال النصفى له والذى وجد بين الحطام كان متأثرا بفعل الرصاص ولكنه كان منتصبا . وقد أقيم فى مبنى الحكومة وما زال هناك يتطلع فى هدوء وبعينين ملؤهما الحزن على مجلس الادارة وأعضائه فى الوقت الحاضر ومنهم بعـد عام ١٩٤٥ ضابط بريطانى . ولم يكن من الممكن بالطبع استئناف الانتـاج فى مصنع كروميل ولكن الشركة الالمانية الأم ، وهى شركة الفريد نوبل للديناميت مضت تعمل بانتظام وهى تتلقى توجيهاتها من «ترواسدورف» ولها مصانع حديثة ومكاتب فى المناطق التى لم تهدم أو التى أعيد بناؤها .

والمنطقة التى كان فيها مصنع كروميل هى الآن عبارة عن منطقـة مليئة بالأعشاب البرية ، يقوم فيها فقط مبنى الادارة دون ان يمســـه أى ضرر أو تلف . ودارت العملية دورتها كاملة وأصبح المكان الآن هادئا كما كان فى عام ١٨٦٥ — حينما قام نوبل الشاب — والاحلام والآمال تنفعل فى نفسه — بمسح المنطقة واكتشافها . لقد أصبحت النباتات الـكثيفة

برية ، وما زال هناك ، من بين أطلال مبـاني المصنع ، المبنى الصـغير ذو الطابق الواحد الذى مضى فيه نوبل بتجاربهحتى انتج الديناميت،والذى قام فيه بصنع أول شحنة متفجرة صغيرة .

وقد تركت هذه الأيام الكبيرة فى ستينات القرن الماضى آثارها فى المدن المجاورة ، فما زالت هناك أسماء سويدية تتردد على كل لسان ، وهى لأحفاد عمال ومشرفين،ذهبوا الى هناك مع نوبل واستقروا فى تلك المنطقة .

وفى خمسينات هذا القرن اقيمت كنيسة فوق المنطقة التى سادها الخراب وذلك على حساب منظمات الاغاثة السويدية ، واصبح هـذا مركزا لمنطقة سكنية منظمة لليتامى واللاجئين من جميع الاجناس .

شركات نوبل فى اسكتلندا وانجلترا والمستعمرات

غالبا ما كان المخترع يقوم بزيارة بريطانيا فى اثناء رحلاته الكثيرة ، وكانت تحكمها فى ذلك الحين الملكة « فيكتوريا » وجلادستون. وكانت هذه هى الدولة التى بحث فيهـا أول الامر عن براءات تحمى اختراعاته، ولـكن الذى حدث بالنسـبة للزيت المتفجـر انه لم يصـنع فى البلاد ولكن تم استيراده من كروميل . لقد كان استغلال الديناميت فى انجلترا أول الأمر عسيرا جدا.ولم يكن صانعو البارود يهتمون به .

وبسبب الحوادث الخطيرة التى وقعت للنتروجليسرين فى كثير من المناطق بالعالم ، لم يثق شعب انجلترا فى أى شىء يتعلق بالنتروجليسرين وصدر قرار من البرلمان عام ١٨٦٩ بمنع صناعة واستيراد وبيـع ونقل النتروجليسرين وأية مواد تحتوى عليه فى داخل انجلتـرا . وبدا لأول وهلة ان هذا القرار ضربة قاتلة للمشروع كله وخصوصا أن المخترع فى تلك المرحلة واتاه سوء الحظ فأجرى أول اتصال له معواحد مناكبر خصومه ، وهو البروفيسور « فردريك ابل » أستاذ الكيمياء . وكان هذا الاخير معروفا بأبحاثه العلمية وكان له احد المخترعات،وقد كرس سنوات كثيرة لتطوير هذا الاختراع . كما كان له مصلحة مالية خاصةفى هـذا الموضوع.وفى خلال اصدار القانون الخاص بالنتـروجليسرين كان هـو المستشار الخبير لكل من الحكومة والبرلمان . وكان طبيعيا أن يرى فى نوبل منافسا خطيرا جدا . لذلك لم يترك أية فرصة ليؤكد وجهـة نظره بأن

الديناميت سوف يكون أكثر خطورة من النتروجليسرين ، وأن الاختراع الذى قام به بنفسه هو الأفضل ، ولكن بعد أن عرض نوبل بنفسه المتفجرات امام مجموعة من الخبراء فى ميرثهام عام ١٨٦٧ ، وبعد أن قام بنفسه بتفسير الاختراع لوزير الداخلية وآخرين ، بدأ المحافظون ـ والسلطات البريطانية والبيروقراطية ـ يخففون من القيود المشددة التى فرضوها وقد أقنعت هذه المحاولات الخبراء المحايدين على الأقل ، وبدا الطريق مفتوحا ولكن عبر اسكتلندا .

ولكن حدث بسبب نفوذ البروفيسير « ابل » أن باءت بالفشل محاولات نوبل المتكررة لايجاد مؤيدين له من الأوساط المالية بلندن من أجل اقامة مصنع للديناميت فى انجلترا ، ومع ذلك فقد استطاع ببعض التجارب الجديدة فى جلاسجو ان ينجح نجاحا لم يكن يتصوره . وتلقى عرضا للتعاون من رجال المال الكبار فى اسكتلندا وكذلك من أصحاب المناجم ، وكان من أبرز هؤلاء « جون دونى » الذى أصبح بسبب جهوده المتواصلة واتصالاته الكثيرة الطيبة بطل قضية الديناميت منذ ذلك الوقت .

واقام نوبل مع الاسكتلنديين شركة الديناميت البريطانية المتحدة فى عام ١٨٧١ ، وكان مقرها جلاسجو برأس مال وصل الى ٢٤ ألف جنيه استرلينى ، وعلى الفور وضعت المشروعات من أجل اقامة مصنع فى « أردير » على الساحل الغربى لاسكتلندا اختاره نوبل بنفسه ، وكان مكانا طيبا أدى الى بشائر وآمال كثيرة وأعمال طيبة فى المستقبل .

ولكى يضع تصميمات المصنع الجديد ـ وهذا أهم ما كان يأمل فيه ـ استدعى صديقه القديم ورفيقه الحميم « الاريك ليدبك » الذى كان يتولى الاشراف على الانتاج فى المصنع السويدى فى « فنترفيكن » منذ عام ١٨٦٥ . وكان « ليدبك » قد ساعد فى وضع تصميمات مصانع الديناميت فى عدة بلاد أخرى ، كما وضع تصميمات اهم الأجهزة التى استخدمت فى هذه المصانع كلها . لذلك كان أكثر الخبراء كفاءة فى هذه الصناعة .

وقد ذكر أحد المهندسين السويديين فى « أردير » أن الفريد نوبل كان فى أحسن حالاته وفى غاية السرور والانشراح حين افتتاح المصنع ، وأنهى خطابه لمجلس الادارة الاسكتلندى بقوله : « أيها السادة ، لقد قدمت اليكم شركة لابد أن تنتج ، حتى ولو كان هناك سوء ادارة من جانب مجلس الادارة » .

وفى بداية العقد التاسع من القرن الماضى أصبح مصنع « أردير » يحتل ثمانية وخمسين فدانا وبه خمسة وأربعون مبنى وعدة مئات من

العمال ، كما اصبح ينتج ما يقرب من الف طن من الديناميت من مختلف الأنواع ، والفا واربعمائة طن من النتروجليسرين . لقد كان مصنعا نموذجيا تطور بشكل ثابت سريع . وقد كان هذا المصنع بالاضافة الى ميزة العزلة ، التى كان يتمتع بها ، يتمتع بنقل بحرى لمادته الخام ولسلعه المصنوعة ، وقد كان هناك خط خاص يربطه بجلاسجو والسكك الحديدية القريبة وسكك حديد كاليدونيا .

وقد كانت قوانين الحكومة ، فيما يتعلق بصناعة المتفجرات ، دقيقة وطبقها نوبل بشدة وبشكل صارم حتى ان المتفجرات كانت نادرة فى « أردير » ونتجة لذلك كانت صناعة الديناميت والجيلاتين المتفجر والمتفجرات الاخرى تقترن بحوادث قتل بين العمال أقل مما يحدث فى مناجم الفحم . وقد روعى فى تخطيط مصنع « أردير » أن يكون بمنأى عن أية حادثة خطيرة قد تقع فى هذه الصناعة كصناعة المتفجرات وكذلك روعيت سلامة العمال .

وقد أدت قيمة النظام والطاعة الى ان يفضل نوبل تشغيل الجنود السابقين .. فكان عدد كبير من العمال فى مصنع أردير والمصانع الأخرى رجالا اعتزلوا خدمة الجيش .

وقد أدت تقريرات الصحف عن الحوادث الخطيرة التى تقع نتيجة للنتروجليسرين ، والتى حدثت فى مناطق متفرقة من العالم،الى كثير من المتاعب بالنسبة للمصنع،على الرغم من انها لم تكن بسبب الانفجارات. وقد حدث فيما بين عام ١٨٧٣ وعام ١٨٩٣ أن رفضت كل السكك الحديدية فى انجلترا ان تحمل متفجرات النتروجليسرين.ومن ثم كانت عمليات النقل من المصنع الى ميناء الشحن ومن ميناء الوصول الى المستهلك ، وهى رحلات كانت هامة جدا فى بعض الاحيان ، تتم عن طريق العربات التى تجرها الجياد . ويقال ان المنافسين اعتادوا غالبا أن يقوموا بتهريب النتروجليسرين الى البلاد حتى يحصلوا عليه بطريقة ارخص . ولذلك سرعان ما حصلت الشركة على أسطولها من البواخر مع قوارب الشحن المخصوصة والمخازن الآمنة . وقد كان الجليسرين والسيلجور يستوردان من المانيا ، أما ملح البارود فقد كان يستورد من شيلى .

وفى الفترة ما بين عام ١٨٧١ وعام ١٨٧٥ قضى الفريد نوبل فترات طويلة فى «أردير» ، ولما خرج فى السنوات التى اعقبت ذلك،باكتشافه الكبير الجديد ــ وهو الجيلاتين المتفجر ــ تم الوصول الى اتفاقية جديدة للحصول على براءة هذا الاختراع . ولهذا الفرض تكونت شركة جديدة

عام ١٨٧٥ وهى شركة متفجرات نوبل المتحدة ، براس مال قدره مائتان وأربعون الفا من الجنيهات . وفى خلال اربع سنوات من الجهود المتواصلة تضاعف رصيد بريطانيا من الديناميت عشر مرات فى القيمة ، وهذا دليل قاطع على اهمية الاختراعات ومدى رواج المنتجات .

واستمر النجاح واصبحت متفجرات نوبل خلال السنوات العشر ، بين عام ١٨٧٦ وعام ١٨٨٦ ، تأتى سنويا بما يتراوح بين اثنى عشر فى المائة وعشرين فى المائة من الأرباح . وثارت قضية مزعجة ضد شركة المانية استوردت ديناميتا مزيفا ولكنها انتهت لصالح نوبل وأصبحت شركة نوبل تسيطر كلية على السوق البريطانية الى ما بعد ذلك بسنوات .

وتضاعف التصدير الى دول كثيرة خارج أوربا ، وخصوصا الى جنوب أفريقيا والى استراليا وشرق آسيا وامريكا الجنوبية ، حيث تكونت شركات فرعية لهذا الفرض .

ولم يقتصر استخدام الديناميت والمتفجرات المتفرعة منه والمتعلقة به على المناجم والأعمال الصناعية الأخرى ، وجدير بالذكر أن نقول ان استخدام النتروجليسرين ، كدواء ، قد اعترف به فى علم الأدوية فى بريطانيا لأول مرة عام ١٨٨٥ ، وكانت اقصى جرعة مسموح بها عبارة عن قرص أو اثنين كل منهما لا يحتوى على أكثر من واحد من مائة من ذرة النتروجليسرين وكان يستخدم فى علاج الذبحة الصدرية وقد حدث أن تناول عامل زراعى زجاجة صغيرة من النتروجليسرين فمات فى الطريق وتجمد . واخذ الناس جسده الى مبنى بعيد ووضعوه بجوار موقد ، حتى يمكن أن يخف تجمده ، ولكن النتروجليسرين تفجر .. وتصدع المبنى كله وتهدم .

وقد اقترح فى الولايات المتحدة ان يستخدم الديناميت فى ذبح الماشية بلا الم .. فقد كانت الطريقة المتبعة فى ذلك الحين تتطلب جهدا كبيرا حتى يمكن القيام بها بمهارة . وكان الأمر فى مجازر المنطقة يحتاج لأن تضرب الحيوانات المرة بعد الأخرى حتى تموت ، وذلك بسبب قلة خبرة العاملين فى هذه المجازر . ومثل هذا الشيء لا يحدث اذا استخدم الديناميت .

وفى امريكا والهند استخدم الديناميت للاسراع بانزال المطر ويقال ان هذا تحقق بنجاح كبير . وقد حدث فى نيويورك أن ادى القحط الى ندرة المطر فى المدينة ، ولذلك ارسل الى

الفضاء ببالون به مائتا رطل من الديناميت انفجر بقوة هائلة ، وقد أعقب هذا الانفجار وابل شديد من المطر . وفى تكساس قامت الادارة الزراعية باجراء عدة تجارب فى جزء من الولاية ، حيث كانت الزراعة مستحيلة بسبب جفاف الجو ، فلم يكن المطر يسقط فى بعض الأحيان لمدة ثلاثة أعوام متواصلة ، وقد تم تفجير كميات كبيرة من الديناميت كل بضع دقائق تنتهى فى العاشرة مساء ، وفى الساعة الثالثة من صباح اليوم التالى قصف الرعد وأعقبه المطر الثقيل، وكان المقيمون فى هذه المنطقة يقولون ان المطر كان شيئا مستحيلا ، وهكذا يتأكد لنا ان المطر يرجع الى المتفجرات .

وفى النصف الأول من تسعينات القرن الماضى بدات انجلترا تنتعش بعد النكبة الاقتصادية التى كانت ملحوظة جدا منذ أوائل سبعينات ذلك القرن . وفى خلال تلك الفترة أثبتت تجارة المتفجرات انها لم تتأثر بالنكبة الاقتصادية للدرجة التى تأثرت بها التجارات الاخرى . وقد كانت سلع هذه المتفجرات ضرورية فى الهدم والبناء قبل الحرب وخلالها وبعدها .

وأصبحت المتفجرات ، حتى فى الفترة التى عاشها الفريد نوبل ، صناعة هامة ، فاستخراج المواد الخام من باطن الأرض كان يعتمد على المتفجرات ، كذلك فان انشاء المواصلات اعتمد على المتفجرات حينما كان لا بد من ازالة العقبات الجغرافية القائمة .

وقد عاش الفريد نوبل ليرى هذا التطور فى جبهات كثيرة استطاعت فى نهاية القرن الماضى ان تشبع احتياجات العالم من المتفجرات بمقدار نحو خمسة آلاف طن سنويا .

الشركات الفرنسية

عرف الفريد نوبل باريس خلال سنوات دراسته حينما كان شابا ، وحينما كان يقوم برحلاته الكثيرة كان غالبا ما يزور فرنسا التى كان يحكمها نابليون الثالث . وكان مغرما بهذه البلاد ، ولذلك حاول أن يدخل مخترعاته هناك فى مرحلة مبكرة . ومع ذلك ووجه فى البداية بعقبة كبيرة ، ذلك لأن الدولة كانت تحتكر صناعة البارود وتبيعه . وبعد أن ظهرت متفجرات النتروجليسرين فى السوق، قالت السلطات ان الاحتكار يجب ان يطبق عليها، كذلك فان السلطات تجاهلت . . بل ورفضت ما قام به نوبل فى باريس وما قام به عملاؤه وذلك حتى عام ١٨٦٨ .

وكان هذا العام مشهودا بالنسبة له ، فقد اتصل بشركة « بارب » وقرر أن يثير اهتمام الابن ، المهندس الموهوب الذى كان قائدا فى المدفعية وهو « بول فرانسوا بارب » (١٨٣٦ ــ ١٨٩٠) بالديناميت . وفى عام ١٨٦٨ خصص « بارب » مائتى ألف فرنك فى مقابل ستة فى المائة للنشاط ونصف الارباح . وقد استمرت هذه المشاركة طيلة حياة « بول بارب » وامتدت لتشمل مناطق أوسع وأعمالا أكبر .

ومع ذلك ففى خلال السنوات الاولى رفضت السلطات كل مقترحات نوبل وبارب من أجل اقامة مصنع للديناميت فى فرنسا . ولكن حدث أن تدخلت السياسات الخارجية فى الموضوع . فقد وقع نابليون فى فخ « بسمارك » واشتعلت الحرب الألمانية الفرنسية عام ١٨٧٠ ــ ١٨٧١ . وفى المراحل الأولى من هذه الحرب وجدت القيادة العامة الفرنسية أن الجنود الالمان قد ركزوا على فكرة استخدام المتفجر الجديد « الديناميت » الذى رفضه الفرنسيون ، وذلك لنسف المعامل الفرنسية والكبارى . وعلى الفور أصدر « ليون جامبتا » وزير الحرب أوامره لشركة بارب ــ باسم الجمهورية الثالثة لا باسم الامبراطور ــ أن تنشىء مصنعا للديناميت وان يتأكد انه قد تم بسرعة ، وهكذا وفى الوقت المحدد فى ربيع عام ١٨٧١ ، وبمنحة من الدولة وصلت الى ستين الف فرنك ، ظهر مصنع نوبل فى فرنسا فى جنوب البلاد فى « بوليل » .

وهكذا كانت هذه الحرب التى يمقتها .. هى التى جاءت بالحظ السعيد لانتاجه ، ولكن حدث بعد الهدنة أن أسرع ، بمساعدة « بارب » وعن طريق اتصالاته الطيبة ، باصلاح الأوضاع ووضع الديناميت فى السوق فى المكان الذى خصص له ، وهو العمل التمهيدى لأعمال المناجم والمواصلات .

وكان للمتفجرات التى ظهرت على شكل قنابل محلية أثر كبير .. اذ أثارت فى البلاد فزعا من أى متفجر جديد . وفى خريف عام ١٨٧١ أصدرت الجمعية الوطنية قرارها بالحظر على صناعة المتفجرات فى المصانع الخاصة ومن ثم أغلقت مصنع بوليل . ولم يستمع أحد الى احتجاجات بارب ، والى طلب التعويض باسم الذين يشتركون معه ، كما لم يستمع أحد الى نداءاته المتكررة حول فائدة الديناميت للصناعة فى وقت السلم ، وبعد عام ١٨٧٥ بدأت منجديد صناعة من أجل استخدامه فى الشئون المدنية .. وحتى هذه الفترة .. كان يسمح فقط بالانتاج من أجل التصدير وذلك فى مصنع مؤقت فى « ليفرون » . وكانت بلجيكا ودول أخرى ومن بينها

تلك المنطقة التى كان الالمان لا يزالون يحتـلونها فى فرنسـا ، هى التى تشترى انتاج هذا المصنع .

وعلى الرغم من وجود مراسلات كثيرة حول موضوعات متعددة فان ألفريد نوبل لم يعبر عن أفكاره بشأن استخدام دول كثيرة للمتفجرات فى الحرب الفرنسية الالمانية كما عبر عنها فى اثناء حرب القرم ، أو فيمـا يتعلق بقضية المتفجرات الهدامة حينما تستخدم فى الحرب فى أى وقت . وقد أمضى فترة كبيرة من الحرب الفرنسية الالمانية فى اسكتلندا مشغولا فى مشروع « أردير » . ومع انه كان يدرك ان الديناميت أصبح يستخدم فى ذلك الحين لأغراض بعيدة كل البعد عما ينتويه .. الا انه شعر بأنه صغير جدا حتى انه لا يستطيع أن يتدخل فى السياسة . وكان يعرف ان أية محاولة لأن يعوق التيارات التى أوجدها بخطوة واحدة وباختـراعه سوف تكون غير مثمرة . لقد اضطر أن ينظر الى الخير مع الشر ويتسامح فى هذه الأساليب الهدامة بسبب الهدف البناء فيما بعد .

وكان الأمر مختلفا بالنسبة لشريكه « بول بارب » . فقد كان ضابطا فرنسيا وكان يهوى أساليب الانتقام فى الحرب كما كان يحب الأموال فوق كل شيء . وحينما توثقت صلته بهذا الرجل الموهوب تكشف له أن بارب يعتبر أن كل الوسائل للحصول على هذه الاشياء ممكنة ، وقد أوجز نوبل هذا فى قوله : «كان صديقا قديرا ومديرا رائعا ولكن بضمير يتمدد مثل المطاط الهندى ، الأمر الذى يؤسف له،ذلك لأنه من النادر أن يوجد مثل هذا الذكاء فى مكان واحد » .

ولقد كان لهذا الشريك نصيب كبير فى شركة نوبل وفى نجاحها خلال العقدين الثامن والتاسع من القرن الماضى، ولكنه مع آخرين من أمثاله أضر، دون توقع ، بسمعة شركة نوبل المزدهرة ، ولكن الكثير كان يجب أن يحدث قبل هذا ، وهو زيادة الصناعة والاقتصاد والتوسع .

التطور السريع فى البلاد الأخرى

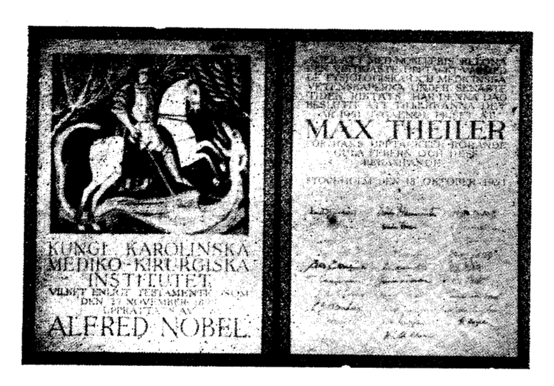
لم تكن القيود والحظر مما يعتبـره شركاء نوبل وبارب عائقـا يقف أمام عملهم الذى يعتبرونه دوليا . لذلك بدءوا حينما أغلقت السوق الفرنسية عام ١٨٧١ ، يحولون اهتمامهم على الفور الى عمـلاء فى دول أخرى .

وكان هؤلاء الشركاء فى رحلاتهم الكثيرة الى وسط أوربا ، التى كانت فى ذلك الحين فى حالة من الاضطراب والثـورة ، يتجولون عبر الحدود يعلنون عن مخترعاتهم ويخططون لها . وكانوا فى بعض الاحيان يعملون معا وفى بعضها الآخر يعمل كل فرد لحسابه الخاص . وقد كانت السنون غنية بالتجربة وبالعمل الذى أنجز وتم ، ولكنها كانت ايضا غنية بالمتاعب والقلاقل من كل نوع . فبين عام ١٨٧١ وعام ١٨٧٢ تم بناء ما لا يقل عن عشرة مصانع فى تسع دول مختلفـــة « اثنان منها فى الولايات المتحدة الامريكية » .. وبدأ العمل فيها بالفعل وكان انتاجها يصـــل الى ثلاثة آلاف طن .

وكان هناك سبعة عشر مصنعا على راسها مصنع نوبل للنتروجليسرين فى « فنترفيكن » فى ستكهولم ، وكان أول مصنع فى العالم يتحول لانتاج الديناميت (فى عام ١٨٦٧ على يد « الاريك ليدبك ») واعقبت هذا المصنع المصانع الاربعة الاخرى ، اثنان منها فى الولايات المتحدة ، ثم كان المصنع الفرعى فى « زامكى » الذى انشأته أول شركة فى هامبورج ليمون السوق المجرية النمسوية . وانشئت المصانع العشرة الاخرى بعد عام ١٨٧٠ من اجـل الديناميت فحسب . وكان فى كل مصنع مساهمون ولـكن اغلب الاسهم كانت فى يدى نوبل . وفى خلال سنوات قليلة اتاح له هذا عن طريق الوعى والشعور الحصيف بالناحية العملية دخلا تجاوز بيع براءات اختراعه فى البلاد المتعددة .

وفى نهاية ستينات القرن الماضى بدأت الدولة السويسرية تضع تصميم « خط سانت جوتارد » بجسور عبر الجبال تصل الى ٣٢٤ ، وبثمانين نفقا عبر الالب . كذلك أنشىء النفق من جوشنين الى « ايرولو » ــ وهذا عمل ضخم عبارة عن ٩٫٣ ميل عبر الجرانيت ، وقد تم هذا العمل فيما بين عام ١٧٧٢ وعام ١٨٨٠ ، وفى خلال هذه الفترة انشأ نوبل وبارب شركة سويسرية اطلق عليها : « شركة نوبل للديناميت » . وقد شقت الشركة طريقها بنجاح كبير .

وقد كانت الدول اللاتينية وهى ايطاليا واسبانيا والبرتغال ، التى كانت تحتـــاج الى مزيد من المتفجرات من النوع الجيد ، تحصل على هــــذه المتفجرات ، خلال السنوات الأولى ، من مصانع نوبل فى النمسا وسويسرا وفرنسا . وكانت الحدود غالبا ما تغلق ، وكانت عمليات التموين تحتاج الى عمليات شاقة خطيرة مثل عمليات الشحن والمتاعب الاخرى ، ولذلك رؤى تكوين شركات وبناء مصانع فى كل بلد ، وهذا ما تم بالفعل .



دبلوم نوبل فى الفزيولوجيا
والطب (علم وظائف الاعضاء)
وقد منحت الى ماكس ثايلر
من جنوب أفريقيا

دبلوم نوبل للآداب الذى منح
للسير ونستون تشرشل



ونحن نشك كثيرا فى أن هذه المشروعات لم تكن لتنجح بسرعة اذا لم يكن بناء المصانع والادارة الفنية خلال السنوات الاولى تحت اشراف المخترع نفسه و «الاريك ليدبك». وهكذا كانت المنشآت الجديدة تتمتع بكل الخبرات المعروفة وبكل اجراءات الأمن والسلامة ، ومن ثم تجنبت التعرض للاخطار غير المعروفة وما يتبعها من متاعب واضطرابات أدت الى نكبات فى المصانع والشركات الأولى .

وفى خلال السنوات العشر التى أعقبت اكتشاف الديناميت (١٨٦٧ ــ ١٨٧٧) حينما كانت المصانع والشركات فى توسع وتقدم كبير، كان الفريد نوبل يحيا حياة قلقة عصيبة املتها عليه قوة الظروف، وهكذا امضى الكثير من الوقت مسافرا متجولا بين البلاد ــ وأرست هذه السنوات اساس نجاحه وثروته ولكنها كلفته القلق والكد الذى لا يكاد يصدقه أحد ، وتركت هذه السنون آثارها على صحته وعلى نظرته للناس والعالم المحيط به .

ولم يكن يمضى يوم واحد دون أن يواجه مشكلات كبيرة هامة ، مثل تموين الشركات وتكوينها والحصول على شركاء يثق بهم ومساعدين للمناصب الادارية والحصول على العمال والمشرفين الأكفاء ، وذلك لاجراءات العمل الذى كان حساسا ، كما كان يحتوى على عناصر خطيرة جدا . وكذلك اقامة مبان جديدة فى المناطق البعيدة مع اتخاذ الاجراءات المشددة للأمن طبقا للقوانين المختلفة لكل دولة ، وكان المخترع يشترك بشغف فى تخطيط المشروع الجديد والبدء فيه ويمضى به الى النجاح.

لقد كانت الكفاءة والنشاط يميزانه اذ كان فى كثير من المناسبات ، يبرهن على أنه رجل أعمال ماهر ومدير ملهم ، ولكن غالبا ما كان يقول انه لم يبتهج لهذا النوع من العمل . فقد كان يرى أن هذا العمل يتدخل كثيرا فى أبحاثه . وهذا هو السبب فى أنه لم يكن له مكتب خاص . والذى لا شك فيه انه كان يشعر بالراحة فى العمل وهو وحده مع أفكاره وتجاربه اكثر مما كان يشعر بها مع الناس والسلطات وأعماله التى تتسع وتزداد. ولقد كانت صحته ضعيفة وعقليته كانت غير عادية ولذلك نجد أن هذه الاشياء الاخيرة ــ وهى الاعمال ــ كانت غالبا ما تكون عبئا ثقيلا عليه .

الفصل الثالث عشر

الذهاب إلى باريس عام ١٨٧٣
اختراع الجيلاتين المتفجــــر عام ١٨٧٥

اتضح من الفصول السابقة ان « ألفريد نوبل » فى بداية سبعينات القرن الماضى كان يملك الشركات والمصانع ومن ثم كانت له مصـــالح اقتصادية كبيرة فى كل أوربا تقريبا وفى أمريكا الى حد ما . ونتيجـــة لرحلاته الكثيرة واقامته الطويلة فى البلاد الاجنبية ، ومعرفته اللغات ، اصبح عالميا . وفى حين نجده يقول عن نفســـه « ان وطنى هو حيث اعمل ، وانى أعمل فى كل مكان » ، الا انه ظل فى اعماقه سويديا محافظا على قوميته طيلة حياته . كانت له أمه الحبيبة فى السويد حيث كانت تروج افكاره وخططه ومشروعاته ـ وحيث كان يذهب كلما امكن ذلك ـ ولكنه لم يتخل أبدا عن جنسيته السويدية .

وفيما بين عام ١٨٦٥ وعام ١٨٧٣ كان بيته ومعمله والمركز الرئيسى لعمله كلها فى همبورج ، وفى عام ١٨٧٣ حينما بدأ كل شىء يتطور وينمو على خير ما يرام وعلى نطـاق واسع ، اراد لعمله أن يـكون فى مركز الحوادث . وفى حين كان يقوم بتنظيم عمله ومشروعاته مع زميله بارب ، وخصوصا أعماله فى أوربا الغربية ، ترك كروميل الى الأبد ، ورحل الى باريس .

وقد كان يحب هذه المدينـة كثـــيرا ، حيث اكتسب انطبـــاعات كثـــيرة فى شبابه وحيث عرف حبه الأول طبقا لما تضمنته القصـــيدة التى نقلناها سابقا من قصة حياته . كذلك كانت باريس فى النواحى التجارية والثقافية وفى نواح كثيرة أخرى .. المركز الحى للقارة الأوربية .

وفى هذه المدينة اشـــترى نوبل الغنى الذى كان يبلغ من العمر آنذاك أربعين عاما ، منزلا صغيرا جميلا . وقد اقامه على طريقة محترمة تليق بمكانته وسنه . وكان بالمنزل حجرات استقبال رائعة وحديقة شتوية

بها مشاتل للزهور التى كان يعشقها ، واسطبلات لجياده ألجميلة، وهى احدى هواياته . وبالاضافة الى ذلك كان هناك بالطبع معمل صغير مزود بكل الأجهزة .

كذلك ــ ولأول مرة ــ أصبح له مساعد خاص ، وهو الكيميائى الفرنسى الشاب « جورج و. فهرنباخ » الذى أصبح فيما بعد أخلص مساعد لنوبل خلال السنوات الثمانى عشرة التالية التى قضاها المخترع فى باريس ، وهى فترة من الخلق والابتكار الهام .

ان كل ابتكار تكنيكى جديد ــ مهما يكن نجاحه ــ انما هو حلقة فى سلسلة طويلة من التطور، وكان نوبل يدرك هذا ادراكا تاما. لذلك مضى فى العمل بطريقة منظمة ليحسن من اختراعاته الكثيرة السابقة . ولكنه فى تلك الفترة ركز اهتمامه على ديناميت جور، اذ على الرغم من نجاح الديناميت وصفاته الطيبة ، فانه كان به بعض العيوب التكنيكية . فقد كان «الجور» غير الفعال يضعف من قوة التفجير، وكان رشح قطرات النتروجليسرين واضحا فى بعض حالات الضغط والرطوبة . وفى خلال السنوات العشر الماضية حاول كثيرون من الفنيين فى مختلف الدول أن يجدوا علاجا وذلك باستخدام مجفف بدلا من الكيسلجور الذى يستخدمه نوبل مكون من مزيج من الهيدروكربونات ومن المواد التى تحتوى على الاوكسجين بالنسب التى تحدث الاحتراق التام عند الانفجار .وقد استخدم هذا المتفجر انجلتره والولايات المتحدة بأسماء متعددة ومازال يستخدم لأغراض خاصة فى الوقت الحاضر . ولكن أسرة نوبل كانت رائدة حتى فى استخدام هذه المادة المتفجرة . فقد عالج ايمانويل مشكلة النتروجليسرين والبارود الأسود منذ عام ١٨٦٢ ، ثم أن أول براءة اختراع لألفريد فى السويد فى عام ١٨٦٣ تصف هذا المزيج بالطريقة التى يستخدم بها ، كما ان براءة الاختراع الانجليزية عام ١٨٨٦ تذكر خلط الكربون والهيدروكربونات مع ملح البارود .

ومع ذلك فان هذه الحلول للمشكلة قد تركت الكثير الذى يمكن ان يسعى اليه الجميع . ومن أدلة ذلك ان النتروجليسرين السائل المتفجر ظل المتفجر الوحيد الذى يستخدم فى مناجم معينة حيث كانت طبيعة الصخور تتطلب انفجارا قويا .

لذلك كان نوبل يناضل ويجاهد بكثير من التجارب ليكتشف متفجرا له قوة النتروجليسرين وصفات الديناميت الذى يسهل تناوله والذى لا يدعو الى الخوف كثيرا .

وكان عام ١٨٧٥ هو العام الحاسم الذى نجح فيه فى ابتكار واختراع الجيلاتين المتفجر ، وهو محلول من « قطن البارود » ذى صفة خاصة ، فى النتروجليسرين .

وقد حدث هذا فى معمل خاص فى بيته ، وقد كان هذا الاختراع ـ مثل اختراعات نوبل الاخرى ـ وليد المصادفة . فقد حدث خطأ أن خلط النتروجليسرين بمحلول كلوديون ، حيث نتج عن ذلك كتلة جيلاتينية ، وقد دهش لذلك كثيرا . ويجب أن نشير الى أن هذه القصة بعيدة عن الصواب . ولكن الاكتشاف كان فيه الكثير من الرومانسيه ، وقد وصف نوبل تتابع هذه الأحداث كما يلى :

لقد فكر من قبل فى استخدام مزيج من النتروجليسرين وقطن البارود ، كما يمكن ان نري من البراءة الاولى لاختراع النتروجليسرين، ولكن قدرة قطن البارود العادى على ان يتشرب النتروجليسرين ثبتانها ضعيفة ، ولم يحاول ان يعد محلولا من قطن البارود فى النتروجليسرين الثابت . ومع ذلك ، فبينما كان يعمل فى معمله حدث ان قطع اصبعه واستخدم محلول السكاكلوديون. وفى الليل كان اصبعه الذى يؤلمه سببا فى انه ظل مستيقظا ، وهكذا اخذ يفكر فى المشكلة التى كانت تشغل فكره : وهى كيف يدمج قطن البارود بطريقة ملائمة مع النتروجليسرين ؟ . وفكر فى انه سينجح اذا استخدم نتروسيليلوز على درجة بسيطة من التحول الى نترات وهو النوع الموجود فى الكولوديون الذى استخدم لتوه . فأسرع الى معمله فى الرابعة صباحا ، ولما وصل مساعده « فهرنباخ » فى موعده ، استطاع نوبل ان يريه الجيلاتين المتفجر ـ وقد حضره طبقا للطريقة العادية فى معمله ـ فى طبق مسطح من الزجاج .

وكانت فكرة مزج أقوى متفجرين موجودين حينذاك رائعة، ولكن كان لابد من جهد كبير قبل ان يعتبر الاختراع ملائما لعرضه فىالسوق. وقد أجرى نوبل ومساعده الفرنسى أكثر من مائتين وخمسين اختبارا ، فى فترة طويلة مع وجود الخطر كامنا فى هذه التجارب . وبعد ذلك أجريت هذه التجارب على نطاق واسع فى المصانع الأربعة الرئيسية التى يملكها نوبل .

وقد أثار الاعلان عن هذا المتفجر الجديد ـ عن طريق براءة الاختراع الأولى لبريطانيا رقم ٤١٧٩ عام ١٨٧٥ وبراءة الاختراع لأمريكا رقم

١٧٥٧٣٥ عام ١٨٧٦ ــ اهتماما كبيرا بين العلماء والمهندسين . ذلك لأن هذا المتفجر ــ الجلاتين المتفجر ــ كان مثاليا فى كثير من الوجوه ، وكانت قوته اكبر من النتروجليسرين الخالص ، كما كان يقاوم الرطوبة والماء ، مما جعله ملائما لان يتفجر تحت المــاء . وبالاضافة الى ذلك كانت تكاليف انتاجه أقل نسبيا .

وسرعان ما ظهر الاختراع الجديد فى السوق تحت عدة أسماء ، ولكن هذا المتفجر كان ، وقد ظل لعشرات السنين بعد ذلك ، أقوى متفجر فى خدمة الصناعة والمواصلات . وكان السبب فى تغيير مظاهر كثيرة على سطح هذه الارض . وفى العام الأول لاكتشافه تم انتاجه فى معظم مصــانع نوبل للديناميت ، ما عــدا بريطانيا التى ترددت لفترة طويلة . وانتظر مصنع « ارديز » وهو أكبر مصنع يمتلكه نوبل حتى عام ١٨٨٤ حينما قال البروفيسور « ابل » الذى قال عنه نوبل انه الداعية الممتاز لقطن البــارود فى انجلترا فى كلمــة كريمة منه « ان الجيلاتين المتفجر هذا اعظم متفجر عرف حتى الآن فى كل وجه من الوجوه » .



الفصل الرابع عشر

شركة نوبل إخوان لانتاج النفط فى روسيا

من الضرورى ، لكى نوضح أن الفريد نوبل على الرغم من أعماله الكثيرة التى كانت تتطلب الكثير من العناية والرعاية والأهتمـام ، أن نتحدث عن شركات اخوته فى روسيا وتعاونه معهم فى صناعة النفط فى روسيا فى العقد التاسع من القرن المـاضى .

ونحن نعلم ان شقيقيه الكبيرين « روبرت ، ولودفيج » لم يعودا الى السويد مع أبيهما عام ١٨٥٩ ، وفى كل من فنلندا وروسيا قاما بمشروعات كثيرة فى اثناء العقد السابع من القرن المـاضى . وفى بداية العقد الثامن وبعد سنوات شاقة عسيرة ، وصلا فيها الى مراحل كثيرة من الصعود والهبوط واستطاعا ان يكونا مقاولين كبيرين فى الأعمـال الميكانيكية القديمة التى كان يقوم بها أبوهما ، واصبحت لهما صناعة كبيرة للآلات والأسلحة فى سان بطرسبرج . وحينما بدأ مصنع لودفيج نوبل للبنادق والأسلحة الصغيرة يخرج أول انتاجه استطاع ان يتمتع بثقة وسـمعة بالنسبة لكل من الامدادات المدنية والعسكرية فى الفتـرة المضـطربة العنيفة أثناء حكم اسكندر الثانى والثالث .

ثم انه ، عن طريق اتصالات روبرت الموفقة عام ١٨٧٣ بمستودعات البترول الغنية فى باكو فى القوقاز ، وعن طريق نشاطه فى الحصول على الامتيازات هناك وبسبب بعد نظر الشقيقين والجهود الكبيرة التى كانا يبذلانها ، والاستغلال الـكبير لهذه المستودعات ، اتخذت أعمالهما مظهرا هاما جديدا .

وبعد أن زود لودفيج ، فى سان بطرسبرج ، أخاه روبرت براس مال يستطيع أن يبدأ به ، مضى روبرت الى باكو ، حيث اقام معمل تكرير للكيروسين بالقرب من مستودعات هذه المـادة ، وكان يعمل فى هـذا المعمل بطاقة كبيرة وفى ظروف صعبة عسيرة . وفى السنوات الخمس الاولى مضى لودفيج يمول هذا العمل براس ماله الخاص ولكن بعد أن تدفق البترول بكميات كبيرة ، واصبح البرافين (الكيروسين) هو المـادة

العامة للاضاءة فى روسيا ، وتزايد الطلب على الانواع المختلفة من البترول وأصبح التوسع ضروريا من أجل المحافظة على مقدرة هذه الصناعة على جلب الربح ومواجهة التنافس الذى ظهر فى ذلك الوقت بشكل كبير .

وقد كان هناك فى منطقة باكو عام ١٨٧٧ مالا يقل عن مائتى شركة صغيرة جدا للنفط يديرها ملاك غير مدربين ، بوسائل بدائية جدا . وقد استطاعت هذه الشركات معا أن تنتج ما يقرب من خمسة وسبعين الف طن من البترول المكرر ، فى الوقت الذى كان ينتج فيه روبرت نوبل الفين وخمسمائة طن ، ومع ذلك ففى ذلك الوقت بدأت بنوك روتشيلد تمول الشركات الكبيرة المجاورة ، وهكذا حصلت على الوسائل التى تمكنها من اتباع اساليب الانتاج ووسائله التى يستخدمها نوبل. وكانت متطورة جدا فى ذلك الحين . وكانت روسيا تحصل على ضرائب تصدير كبيرة عن منتجات البترول ، ولكن لم تكن تحمى الاستيراد ، الأمر الذى ادى الى ظهور شركة «ستاندرد» للبترول فى السوق الأوربية وكان يملكها روكفلر — وكانت فى ذلك الحين تحرز تقدما كبيرا فى العالم. وكان من نتيجة ذلك هبوط أسعار البترول الذى ينتج فى ذلك الوقت بشكل كبير .

وكان لودفيج نوبل ، الذى كان يحسن التنظيم والذى فشل لفترة ما فى محاولاته للوصول الى اتفاقيات بشأن الاسعار مع هذا الحشد الكبير من اصحاب المصانع ، يمضى فى مشروعاته الكبيرة ، وكان يريد أن يدخل المنافسة فى تعقل وعن طريق توسيع نطاق الصناعة ، ولكن ذلك كان يتطلب راس مال كبير . ولكنه كان يتمتع بثقة فى نفسه وبطاقة وبمقدرة كبيرة على العمل الكثير ، وقد مهد روبرت الطريق وتغلب على عقبات كثيرة لا يستطيع الانسان العادى أن يتغلب عليها ، والآن كان على لودفيج أن يظهر كيف يتقدم على الطريق نفسه الى النجاح .

واتفق سبعة أصدقاء فى عالم الهندسة فى سانت بطرسبرج على أن يسهموا ، وقرر لودفيج ان يدخل اخاه الفريد فى الموضوع،وذلك فى أثناء زيارة قام بها لباريس عام ١٨٧٧ ، وهكذا تكونت شركة نوبل اخوان لانتاج النفط عام ١٨٧٩ . وكان مقر هذه الشركة ، سانت بطرسبرج وكان رأس مالها ثلاثة ملايين روبل مقسمة بين عشرة رجال . وكان لودفيج يملك غالبية موجودات الشركة.وكان نصيب نوبل ٣٠/١على حين كوفىء روبرت بمائة الف روبل من الاسهم بسبب اكتشافاته وأعماله

الكبيرة الرائدة التى قام بها . ولقد كانت صحته ضعيفة جدا وكان بصفته مديرا . لا يستطيع ان يتحمل ارهاق العمل فى شركة ذات مسئولية محدودة ، ولذلك نجده يذهب الى السويد فى العام التالى حيث عاش تمالك لقطعة من الارض حتى موته فى عام ١٨٩٦ .

وفى بداية العقد التاسع من القرن الماضى أصبح عبء شركتين كبيرتين — تبعد كل منهما عن الاخرى فى الموقع والسلع المنتجة — يقع على كتفى لودفيج، وبمساعدة المهندسين السويديين الذين هاجروا ، اقام عدة مصانع كبيرة على بحر قزوين مع وجود وسائل طيبة لتوزيع البترول بحرا وبرا .

وتم انتاج زيت البرافين والبترول وكل المنتجات الفرعية للنفط من البترول الخام . كذلك كانت تصنع هناك الأجهزة الضرورية لهذه العمليات والمواد الكيمائية التى تستخدم فى التكرير مثل حامض الكبريتيك والصودا . واقامت الشركة مصانع الغاز والكهرباء التى تحتاج اليها والاشغال الهندسية وكذلك المعامل وكانت انابيبها وقطارات الصهاريج والمستودعات تنقل البترول عبر الأراضى القاحلة الى ناقلات البترول التى تسير بالبخار والتى بنتها السويد ، وهى أول ناقلات فى العالم (عام ١٨٧٨) . وكانت تتردد اساسا على الفولجا وبحر قزوين والبحر الاسود ، وقد قيل « أنه بعد هذه المتفجرات الهائلة نجد أن ناقلات البترول هى أكبر نصر بعيد المدى يدين به العالم لأسرة نوبل » .

ومن الغريب انه فى حياة نوبل واشقائه لم يتم بناء اى مصنع للنتروجليسرين —أى للديناميت— فى روسيا. لقد كانت روسيا تستورد ما تحتاج اليه من المتفجرات ، وكانت كميات قليلة ترد من مصانع الفريد نوبل فى أوربا التى كان لودفيج وكيلا عاما لها عن طريق الشركة الروسية الفرنسية للديناميت فى سانت بطرسبرج .

ويرجع الفضل الى لودفيج نوبل فى ادخال الديناميت للسوق الروسية ، وقد حاضر كثيرا وقام بتجارب كثيرة حتى يعرف الناس كيف يستخدمونه ، وتغلب على معارضة شديدة من الحكومة والهيئات الأخرى وأمكن عن طريق هذه الجهود الصادقة ان يتغلب على المتاعب الهائلة التى تسببها المسافات الطويلة ، والوسائل القديمة غير الملائمة للنقل من مكان الاستيراد الى المناطق الصناعية البعيدة والى المناجم أيضا .

وكان الدخل من شركات البترول كبيرا ، ولكن لودفيج كان من النوع الذى يعتبر تكوين رأس المال وتجميعه أقل اهميـــة من الآلات الدقيقة للشركة والانتاج ذى الجودة الكبيرة والظروف الطيبة للعمال .

ولم تمض فتـــرة طـــويلة حتى ووجهت الشركة الصــاعدة بجـــو عاصــف ، لقــد كان عليهــا ان تكافح الحقــد والكراهيـــة والافتــــراءات ، وحرائق العمــد والاختلاســـات واعمـــال الهدم ، وتحطمت عدة ناقلات كانت الشركة قد بنتها فى الآونة الأخيرة ، كما أن النيران أتت على المصانع فى منطـقة باكو . ومع ذلك فلم يكن هناك شىء يثبط من عزيمة هذا المتفائل ويخيفه ويحول دون أن يقــوم بتحسينات وبناء مصانع جديدة . وقد دفع بنفسه الأموال اللازمةلهيئات الخدمات الاجتماعية لصالح العمال ، واقام المدارس والمساكن والمطابخ والمستشفيات ، حتى الحــدائق والملاعب ظهــرت فى هذه المنطقــة التى لولا ذلك لظلت بطــاحا بلا أشــجار بســبب قلة المياه أو ندرتها ، كما خرج بنظام المــكافآت للعمــال والمــوظفين وهــذا شىء لم يكن معروفا فى روســـيا أو فى أى مكان فى العــالم ، بل انه لم يطبق الا بعد ذلك بخمسين سنة .

وكانت السنوات الاولى فى العقد التاسع من القرن مربحة جدا ، ولكن هذا الدخل الكبير سرعان ما بلعه التوسع المستمر . فقد كانت هناك حصة من ٢٠٪ الى ٢٥٪ تدفع عن الأسهم ، كما كانت المكافآت والمنح تصل الى مليون روبل على حين كانت القروض ذات الســندات تؤخذ وتستخدم فى المبانى الجديدة . وكان كل هــذا يعنى أن الشركة على وشك أن تعانى من قلة رأس المــال الذى يمكن أن توظفه .

وحينما وصلت التقريرات السنوية عن مثل هــذه النفقات وعن المشروعات الكبيرة التى يقوم بها لودفيج الى مســامع الرجل المحنك «الفريد» فى باريس ، بعث الى أخيه لودفيج بكلمات فيها الــكثير من القلق والتحذير . ولقد كان ألفريد معتدلا فى كل شىء ، وكان على الرغم من ثرائه حريصا فى انفاق الأموال . وأخيرا ذهب الى سانت بطرسبرج عام ١٨٨٣ ووجد الأعمال تمضى على خير مايرام فى باكو ، ولكنه اضطر لأن يقسو على المديرين الماليين ، وكانوا من الروس ، بسبب سوء ادارتهم للحسابات . ولقد كان درسا لم يكن من المحتمل ان ينسوه ، فقــد كانوا فى حاجة اليه ، فألغى بعض المشروعات الضخمة وسمح لنفسه بان ينتخب فى مجلس الادارة ، ومنذ ذلك الحين ، بعد أن أصبح حقا مهتما

بصناعة النفط وعد بأن يقوم بما يستطيع من أجل المساعدة اذا كانت هذه المساعدة ضرورية وحيثما تكون ضرورية،ولم تمض فترة طويلةحتى كان هذا هو الواقع .

وأدت الوسائل الجديدة الطيبة للتنقيب الى ظهور كثير من الثقوب فى منطقة باكو وبالاخانى وانبثق البترول الخام من اربعمائة بئر فى مئات المصانع ، وبالاضافة الى ذلك كان البترول المكرر يتدفق الى البلاد من الولايات المتحدة . ونتيجة لذلك كان هناك فى عام ١٨٨٤ وفر كبير وكميات كثيرة حتى ان سعر البرافين هبط الى ثلث سعره فى السنوات السابقة . وأصبح الموقف خطيرا فى المنطقة كلها ، ولكنه كان أخطر بالنسبة لشركة نوبل التى كانت أكبر الشركات اذ وصل انتاجها الى خمسين فى المائة من الانتاج الكلى . وكان لديها مخزون يصل الى تسعمائة ألف طن كما كان عدد عمالها سبعة آلاف .

وكان لابد أن يسير العمل ، ولكن ما فائدة التنظيم الرائع والانتاج الحديث والآلات الجديدة الخاصة بالنقل ، ورأس المال ينفد ويضعف ؟

لقد كانت هناك الصهاريج التى امتلأت للحافة — مائة وعشرة آلاف طن من البرافين — فى حين كان النفط الخام يفرق السدود والحواجز من الآبار الست والعشرين والنافورات الأربععشرة التى تمتلكهاالشركة. وفى الوقت نفسه كان ضروريا احراق ستين ألف طن لعدم وجود مكان ولقلة المواصلات وافتقاد الاسواق . ولم تكن هذه خسارة مباشرة ، بل انها سببت أيضا تكاليف كثيرة ومشكلات تكنيكية خطيرة . وكان الاتجاه العام متوترا ، كما كانت تصرفات العمال المحليين والسكان عدائية . وانتشرت الشائعات عن كارثة فى باكو ، وتأثرت السوق المالية والبنوك فى سانت بطرسبرج والمدن الكبيرة الاخرى .وارتفعت فوائد القروض.

وقد كانت ديون شركةنوبل كبيرة جدا، وقد هدد «ج.أ.جونزبورج» وهو من رجال البنوك فى باريس وسانت بطرسبرج ، بأن يطالب بديون تصل الى أكثر من مليون روبل . كذلك رفض كثير من البيوت المالية والبنوك فى لندن وباريستقديم القروض ، وكان الرفض فى أدب يقترن بالحزم . وكان من بينها بيت « روتشيلد » . والبرقيات الموجودة والخطابات التى بقيت فى تلك الفترة حتى الآن تعطينا صورة واضحة لموقف كان فى الحقيقة دقيقا بالغ الدقة وعسيرا مفرطا فى العسر ، ولكنه كان أيضا مبالغا فيه بسبب الذعر الذى أدت اليه الشائعات . والواضح ان الادارة الفنية

لشركة نوبل ولودفيج على راســـها ، كانت نمـوذجا للمهـارة والجهود والنشـاط ، وكانت تسبق زمنها بوقت طويل ، ولكن المساعدين الروس لم يكونوا فى المستوى نفسـه ، لقد كانت مهمة ادارة مثل هـــذا العمل شيئا كبيرا بالنسبة لهم .

هكذا دخل الفريد نوبل هذا المجال على الرغم من صحته الضعيفة والقلق على أعماله الكبيرة التى كانت فى طريق التطور السريع . ومرة اخرى يعرض نصيحته وخدماته بدون ضجيج او تأخير بعد ان انتقـد بشدة هؤلاء الذين يشرفون على الشئون المالية فى الشركة ، وهنا يقول : « ابدى اعجابى الشـديد بالانتصار الشخصى البارز الذى حققه أخى ، اذ استطاع فى خلال فترة قصيرة أن يقوم بأشياء رائعة من غير تراخ أو خور » ومن ثم أصبح الفريد نوبل بتجربته الكبيرةوبشعوره بالحرص ومعرفته بمدى ما سيحدث للتطور التجارى ـ ذا فائدة كبيرة . وبغض النظر عن كثير من الأبحاث والتحسينات الفنية البحتة فى مجال الصـــناعة قدم أيضا قدرا كبيرا من الاساعدات المـالية . كذلك أمن على موقف الشركة وذلك بأن منحها قرضا قصير الأجل بأربعة ملايين فرنك بنسبة ضئيلة من الربح ، وقدم مبالغ كبيرة لاصدار سندات وأسهم جديدة . وقلت الأرباح بالتدريج من عشرين فى المائة وخمسة عشر فى المائة الى اثنين فى المائة ، وقدم سنداته كضمان لعـائدات الشركة وكرهن لقروض الشركة وكانت مليون روبل فى البنك الأهلى فى روسيا . لقد سلم هـو واخوه لودفيج كل ما يمتلكانه من أسهم انتاج الشركة .

واستطاعا بهذا كله ان ينقذا الموقف ، وبدات عجلة العمل تدور مرة أخرى ولكن هذا كان مثالا واحدا للاحداث التى وقعت فى منتصف العقد التاسع من القرن الماضى ، وفى السنوات الكثيرة التى اعقبت ذلك عانت الشركة صعوبات ومشـــاكل من انواع كثيرة ووقع خلاف شـــديد بين الشقيقين . لقد كانت هناك مقادير كبيرة من الأموال فى خطر ولم يكونا أبدا مرتاحين فى تفكيرهما . فقد كان لودفيج ، باهتماماته المثالية الكثيرة يريد شخصيا ان يمتلك أعماله هذه ويمولها ، وأن يكون مسئولا عنها وأن يشرف عليها اشرافا تاما ، لقد كان يريد ان يكون رب الأسرة فى شركة عائلية من مساهمين قليلين ، واصبح يمقت تكهنات السـوق الماليـــة ورسمياتها التى نتجت عن ذلك حينما تدخل المساهمون من الخارج . كذلك فان تجــربة الفــريد زودته بوجهـــة نظر المخترع ، وبأن أى شخص لا يستطيع أن يكون سيد كل شىء ، وأن الاعمال ـ بعد أن تبدأ

على اسس قوية ــ يجب أن تسلم بثقة لهؤلاء الذين هم على كفاءة ودراية في كل مجال . كذلك فان مسئولية هذه الأعمال عن الادارة التجارية والتمويل يجب أن تقسم بين اكبر عدد من الاشخاص . وكان هنــــاك شيء واحد يشترك الشقيقان في النظرة اليه وهو انهما لم يكونا يحبــان المال من أجل المال . لقد كانا يحبان العمل ولكنهما كانا يحبان نتيجة هذا العمل من أجل ما يمكن ان يخلقه من رأس مال لتمويل الاهداف التي تستحق . لقد ورثا بحق هذه الصفة عن ابيهما ايمانويل . وقد كانا يتمتعان بشخصية نادرة في توجيه رأس المال ككل . ولكنهما اختلفا في تفاصيل انفاقه .

وكتب الفريد نوبل الى لودفيج عام ١٨٣٣ يقول «ان الشيء الوحيد الذي تختلف حوله آراؤنا هو انك تبني أولا ثم تحصل على المال بعدذلك على حين أقول انه من الأفضل في المستقبل أن تجد المال أولا ثم تتوسع بعد ذلك. واذا استثنينا هذا الاختلاف في الخطة،فانني أطالب بالتوسع كما تفعل انت تماما » وكتب لودفيج يقول : « ان الانسان يقف امام رجل الأعمال ورجل الحسابات بقلب جامد وكرامة وتصميم عــلى أن يقوم بواجبه . والمســاعدات التي تقدمها لنا ذات قيمة كبــيرة ، وأتمنى أن يتوقف الناس عن القول ــ كما يفعلون الآن ــ بان شركة نوبل اخوان انما هي شركة لودفيج نوبل » .

لقد كان أولاد نوبل ، مثل أبيهم ، أمناء ومستقيمين وكانوايتصرفون في كل شيء على اساس الاعتقاد بانهم يفعلون الشيء الصحيح الصائب . وفي كل من أعمالهم وأعمال أبيهم تلمح شيئا من عناد وصرامة في اتخاذ موقف من المواقف ــ اذ أنهم يصلون الى وجهة نظرهم بعد تدقيق وفحص شديدين .

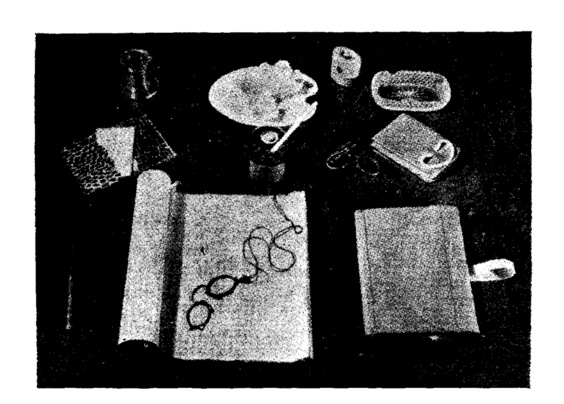
وليس من الممكن في مجال هذا العرض البسيط أن نتحدث عن التاريخ المليء بالأحداث والذي أعقب هذه الاعمال الهندسية التي قام بها الأب ومع ذلك فنحب أن نذكر أن كلا من الاعمال الهندسية التي قام بها الاب عام ١٨٤٢ ، والاهتمامات الرائدة للبتــــرول من جانب الأبناء تطــورت ونمت وأصبحت عالما كاملا من الصناعة والأعمال في ظل توجيه سديد من الأجيال المتعاقبة لعائلة نوبل ١٨٩٠ ــ ١٩١٧). وفي فترة قصيرة من السنوات في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الحالي ، زاد انتاج البترول في شركات نوبل في باكو على انتاج الولايات المتحدة .

وحينما انتهت امبراطورية القياصرة وتقوض النظام الاجتماعي كله في روسيا على يد الثورة الشيوعية في العقد الثاني من القرن الحالي ، لم تستثن اعمال نوبل المزدهرة بالطبع . فقد صادر الحكام الجدد وامموا هذه الأعمال ، والثروات التي تصل الى ملايين كثيرة والتي كانت تتعلق بهذه الأعمال . وهبط الانتاج بشكل خطير في السنوات الأولى ، ولكنه انتعش في العقد الرابع في ظل الحكم الجديد ، وأصبح مرة أخرى بفضل تخطيط هذين الأخوين البعيد المدى ـ عاملا هاما في الاسواق العالمية . ومع ذلك فان البترول في بادىء الأمر راح يزود البلاد ويشبع حاجياتها المتزايدة .

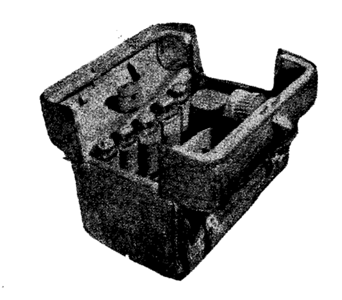
وفي عام ١٩١٨ كان على جميع أفراد أسرة نوبل ان يتخلوا عن كل شيء يمتلكونه ، وبعد متاعب كثيرة خرجوا من روسيا كمشردين . وكانت هذه هي نهاية أعمالهم في بلد قدموا له خدمات كثيرة قيمة طيلة ثلاثة أرباع قرن .

ونذكر في هذا المجال ما قاله الفرد نوبل يوما : «كنت اعرف حينما كنت في سن العاشرة ان العدالة ما هي الا كلمة تستعمل على سبيل المجاز ، ان العدالة تحمل بين جوانبها العفن والفساد » .





مكتب الفـــريد نوبل
وعليه بعض حاجيـاته
الصــغيرة وهو معروض
حاليا فى جناح نوبل
بمكتبة نوبل فى الاكاديمية
السويدية



حقيبة السفر الخاصة
بالفريد نوبل

الفصل الخامس عشر

تكوين شركات الائتمان الدولية

يوضح ما بين أيدينا من معلومات أن ألفريد نوبل لو كان فى سن الأربعين أو نحو ذلك حرا فى أن يفعل ما يشاء ويتصرف كيفما يريد ، لكرس كل وقته للمعمل والتحسينات التكنيكية للاختراعات التى يقوم بها . وكان لا بد أن يكون هذا على حساب مشكلات كبيرة تتعلق بالتنظيم ، الأمر الذى كان لابد منه للاستثمار الناجح ، ويمكن أن يرجع لشريكه « بول بارب » الفضل فى أنه لم يجعل ذلك يحدث ، لقد كان منظما على نطاق كبير ، وذا روح تجارية وثابة يمكن أن تحرك الجبال ، وكان هذا شيئا بارزا هاما فى خلال السنوات العشر الأولى لمقام نوبل فى باريس ، فقد كانت شركات نوبل فى ذلك الحين تواجه منافسة كبيرة من الشركات التى بدات ــ بعد أن دهشت لأرباح شركات نوبل ــ تنتج أنواعا جديدة من المتفجرات ، كذلك كانت هناك منافسة قبل ذلك بين مصانع نوبل نفسها ، وذلك فيما يتعلق بالأسواق التى كانت لا تزال حرة ، وخصوصا فى الدول خارج نطاق أوربا حيث لم يكن الانتاج المحلى قد بدأ بعد . ومعنى هذا أن نوبل فيما بين عام ١٨٧٣ وعام ١٨٨٥ ــ وبتشجيع من بارب ــ كان يحاول دائما أن يحقق التعاون والتوفيق بين المصالح المتعارضة ، وأن يخلق شركات أكثر نظاما ودقة .

وقد حدث فى باديء الأمر أن تكونت شركات خاصة فى البلاد المختلفة لكى تتولى ادارة المصانع من الشركات ذات المسئولية المحدودة التى انشأتها وادارتها بالفعل فى البداية .. أما فى فرنسا فان كل براءات الاختراع الخاصة بنوبل ، وكذلك المصنع فى « بوليل » تحولت عام ١٨٧٥ الى شركة جديدة باسم الشركة العامة لصناعة الديناميت وانتاج الكيميائيات ، وكان مقرها فى باريس ، برأس مال قدره ثلاثة ملايين فرنك وحينما انشيء مصنع آخر فى البون عام ١٨٨٤ ازداد رأس المال الى اربعة ملايين فرنك .

أما المصانع السويسرية والايطالية فقد تولت ادارة شركة نوبل للديناميت فى « ايسلتين » ، وأدمجت الأسواق البرتغالية والاسبانية بتأسيس شركة الديناميت الاسبانية فى « بلباو » .

وفى عام ١٨٧٥ — فى خلال فترة من النشاط الصناعى بعد الحرب الألمانية الفرنسية — انشىء مكتب دولى للاستشارات التكنيكية يهتم بكل الأعمال التى تتعلق بالديناميت ، واطلق على هذا المكتب اسم : نقابة الأعمال الخاصة بالديناميت ، وقام نوبل بتعيين « الاريك لويك » السويدى — وكان أكبر خبير فى صناعة الديناميت آنذاك — رئيسا لها .

وكانت محاولة التوفيق والتعاون بين المصانع الالمانية المستقلة ومعها مهمة دقيقة شائكة ، فقد كانت هذه المصانع تتنافس فيما بينها بشكل قاس عنيف ، لذلك درست أشكالا كثيرة للاتفاقيات الخاصة بتجميع الانتاج والارتباطات التجارية ، وتم تثبيتها لتأمين مصالح شركات الديناميت الالمانية الانجليزية من جهة ، والشركات التى تعمل فى الدول اللاتينية من جهة أخرى .

وأدمج الكثير من الشركات على هذا النحو فيما أطلق عليه شركات الائتمان ، الأمر الذى لم يكن معروفا آنذاك فى أوربا . وكانت أول شركة من نوعها للائتمان فى العالم .. هى شركة « أويل ستاندرد » التى تم انشاؤها عام ١٨٨٢ بادماج شركات البترول الخاصة بمنظمة « جون . د . روكفلر » فى الولايات المتحدة الامريكية .

واسفرت هذه الجهود ، التى بذلت لحماية هذه المصالح والتعاون بينها عام ١٨٨٦ ، عن منظمة من شركتين شاملتين للائتمان — الشركة الأنجلو ألمانية — والشركة اللاتينية ، وهى المنظمة الأولى من نوعها فى أوربا — وكانت كل منها أساس التطورات الصناعية والتجارية الكبيرة فى المستقبل .

شركة الائتمان الأنجلو ألمانية :

وكانت شركة ائتمان نوبل للديناميت المتحدة — ومقرها فى لندن ورأسمالها مليونان من الجنيهات — تشتمل على خمس شركات فى جلاسجو وكولونى وهامبورج ودرسدن بالاضافة الى الشركات الفرعية التى كانت تشرف عليها هذه الشركات الخمس ، وقد أطلق على الشركات الأربع فى ألمانيا اسم الاتحاد الالمانى . وبعد ذلك اضيفت خمس شركات اخرى أطلق على ثلاثة منها فى أمريكا الجنوبية اسم الشركات الامريكية ، ثم أطلق على هذه الشركات الخمس ، بالاضافة الى شركة نوبل للمتفجرات فى جلاسجو ، اسم « الشركات غير الألمانية » .

وكان من بين المساعدين الكثيرين فى هذه الأعمال الكبيرة ــ بغض النظر عن « بول بارب » ــ الرجل الانجليزى « هنرى دى موزنتال » . فقد ارتبط بهذه الاعمال وتقلد مناصب ادارية كثيرة بنجاح كبير .

وفى عام ١٨٩٧ ــ أى بعد عام واحد من موت نوبل ، حينما ضمت شركات الائتمان شركة الكيميائيات والمتفجرات الاسترالية فى ملبورن الى شركاتها غير الالمانية ــ استطاعت الشركة بهذا العمل أن تضم القارة الخامسة فى هذه الشبكة التى تشرف عليها ، وكان هذا شيئا مهما من وجهة نظر التسويق .

وعلى الرغم من العناصر المتنافرة والآراء المتباينة القوية التى كانت تسيطر على الشركة الانجليزية الالمانية ، فان هذه الشركة استطاعت أن تحصل على أرباح كثيرة من الاتفاقيات التى أبرمتها طيلة خمس وعشرين سنة . ولكن بنشوب الحرب العالمية الاولى سيطرت سياسة القوى ،التى كثيرا ما تدخلت وبشكل رهيب قاتل فى شئون نوبل ، وأطبقت بيديها الرهيبتين على كل الاتصالات والعلاقات التى كانت تحاول أن تعبر الحدرد .. ويبدو أن الديناميت أكثر تفجيرا أثناء الحرب منه فى أى وقت آخر ، وفجأة توقفت شركة الائتمان عن أن تكون شركة دولية ، وفى عام ١٩١٥ قسمت أرصدتها بين المساهمين فى البلاد المختلفة ، وتلقى المساهمون البريطانيون أسهما فى شركة نوبل للمتفجرات بدلا من أسهمهم فى شركة الائتمان . وقد احتفظت هذه الشركة بحقوقها فى الشركات الفرعية فى انجلترا والمستعمرات . وكما حدث فى ألمانيا ، أجبرت الحكومة المصانع البريطانية على أن تجعل الانتاج كله للحرب ، وهكذا أصبحت عاملا حاسما فى قوة الدفاع والقتال التى تمتعت بها الامبراطورية فى أثناء الحرب . وتمزقت شبكة اتحادات الشركات الدولية التى استطاعت بالاتفاقيات المربحة التى عقدتها فيما بينها وبين نفسها أن تخدم الصناعات السلمية فى كل ركن من أركان العالم . وبقيت مصانع المتفجرات ــ التى تقوم على أساس نفس البراءات الخاصة بالديناميت و « البالستيت » ــ فى كل بلد . وكان كثير منها ملك نوبل كلية . وظهر موقف غريب بسبب تصرفات الأقدار كما حدث بالنسبة للشركات الدولية الأخرى ــ لقد كانت شركة نوبل فى انجلترا وفى كل الدول الاخرى المتحالفة ــ ومن بينها أمريكا ــ تشعر بأن من واجبها أن تسيطر على كل وسيلة تحت تصرفاتها ، وكذلك المصانع ومراكز الابحاث ، لمحاربة شركات نوبل فى ألمانيا والدول الاخرى القوية فى وسط أوربا والعكس بالعكس . ولم تكن الشركات فى أى معسكر تعرف متى ستؤدى وسائل الدمار هذه الى

القضاء عليها وعلى كل ما تمتلكه . وكانت الخسارة للجميع فادحة ــ ولم تكن شركات نوبل أقلها خسارة . ونذكر عن هذه الفترة المظلمة فى تاريخ البشرية أن الذى تسلم جائزة نوبل للسلام فى السنوات بين ١٩١٣ ، ١٩١٩ هو الصليب الاحمر الدولى .

وبعد الهدنة مباشرة فى عام ١٩١٨ قام البريطانيون بعمل مجيد اذ أدمجوا كل صناعة للمتفجرات فى بريطانيا ــ وشركة نوبل كنواة لها ــ فى وقت من الكساد القاسى العنيف . لقد ادمجت شركاتها جميعا بالاضافة الى الشركات المنافسة ــ وتصل جميعا الى ثلاث وعشرين شركة وكلها تشترك فى المصالح وتتبـاين فى الرؤوس المفكرة فيها ــ فى شركة كبيرة للائتمان . . وهى شركة تجارة المتفجرات المتحدة ، وقد قال مؤرخو الشركة « ان هذا يعتبر أهم تطور فى تاريخ صناعة المتفجرات فى بريطانيا » .

ومع ذلك فبعد عدة سنوات وجد ــ كما حدث فى شركة هامبورج فى عام ١٨٧٧ ــ ان اسم نوبل « ماركة » صناعية للجودة ذات قيمة تجارية كبيرة ، ومن ثم كان رصيدا تاريخيا وتقليديا . . حتى أن شركة الأئتمان لم تستطع أن تتركه أو تستغنى عنه . ولذلك تغير اسم الشركة عام ١٩٢٠ الى شركة صناعات نوبل المتحدة ، برأس مال قدره ثمانية عشر مليـون جنيه . وبعد ذلك بوقت قصير أنشىء مقـــرها فى بيت نوبل العظيم فى « بكنجهام جيت » فى لندن .

وفى العقد الثالث من القرن الحالى ضمت عملية الادماج سبع عشرة شركة بريطانية كبيرة فى صناعة المتفجرات والتجارات الملحقة بها ــ مع شركات فرعية ومصانع ذات انتاج لاحصر له ، حتى انه فى السنوات الأولى كان هناك أربع وخمسون شركة فى هذا الادماج مع ثلاثة وتسعين مصنعا فى بريطانيا وممتلكاتها . وكان هذا يعنى أن هذه الشركة الائتمانية كانت تشرف على صناعة :

١ ــ كل المتفجرات الحربية والمدنية ومعظمها يقوم على أســاس براءات نوبل واختراعاته ، مع كل المحقات الكثيرة المختلفة .

٢ ــ كمية كبيرة من المنتجات الخام والرئيسية ، مثل الأحماض والأملاح والجليسرين وأنواع البارود وكثير من المواد الكيميائية الصناعية الأخرى .

وبالاضافة الى ذلك ، كانت الشركة ـ فى داخل نفسها ـ تتعامل مع الحديد والصلب والمعادن الأخرى ـ وكذلك الآلات والموتورات والأوراق والمنسوجات والجلود الصناعيـة والورنيش والطلاء ـ بالاضـافة الى المنتجات التى كانت قد بدات تشق طريقها فى الاسواق بسرعة كبيرة وهى الألياف الصناعية والبلاستيك .

وعلى الرغم من أن شركات نوبل الصناعية قد أصبحت عملا كبيرا، فانه لم تمض فترة طويلة حتى بزغ فجر عهد جديد، فقد تميز منتصف العقد الثالث من القرن الحالى بالمنافسـة الدولية السريعة فى هـذه الصناعة . وكان هناك عدد من الشركات الانجليزية البارزة ، ولكنهـا محافظة فى الوقت ذاته ، لم تعمل على حماية نفسها فى الوقت المناسب عن طريق اتحادات الشركات أو نحو ذلك كما فعلت شركة نوبل البريطانية للائتمان . لذلك تعرضت للمنافسة الحادة القوية من ألمانيـا ومن بلاد اخرى . فهناك اندمجت صناعة الكيميائيات الثقيلة ـ التى كانت فى تلك الفترة من الكساد تحتاج الى مخرج أو منفذ لطاقتها وأسواق جديدة لمصانعها السابقة للاسلحة ـ فى شركة كبيرة جدا هى شركة « أ . ج . فارين » ، وكانت شركات نوبل فى المانيا ـ التى انفصلت عن شركة نوبل الانجليزية الالمانية للائتمان عام ١٩١٥ ـ على علاقة طيبة بشركة « أ . ج فارين » التى اغرقت انجلترا بسلعها الممتازة الكثيرة من الكيميائيات والبضائع التكنيكية ، وحينما بدأ هذا ـ على الرغم من الاحتياطات التى اتخذتها انجلترا ـ يؤثر حتى فى الأسواق الخاصة بصناعات نوبل داخل الامبراطورية . . كان لابد من اتخاذ اجراءات مشددة دقيقة .

وكانت نتيجة هذه الاجراءات باختصار هى أن مصانع نوبل أدمجت فى عام ١٩٢٦ فى شركة أكبر وانضمت الى الشركات الثـلاث الانجليزية الكيميائية الكبيرة .

وبهذا العمل ـ وهو تكوين شركة الائتمان هذه التى اطلق عليهـا شركة الصناعات الكيميائية الامبراطورية المتحدة ـ تضاءل التنافس ، وتم الحصول على فوائد أخرى كثيرة من بينها التعاون مع شركة « أ.ج. فارين » فى المانيا .

ويأخذنا هذا كله فى الوقت الحاضر

فالمعروف بلا جدال أن شركة الصناعات الكيميائيـة الامبراطورية المتحدة ـ بمنتجاتها التى لا حصر لها ، وبأبحاثها الخاصة البارزة فى « قسم نوبل » فى المصنع الذى اقامه الفريد نوبل فى « أردير » وفى

أسكتلندا ــ كانت ذات اهمية كبــيرة فى كثير من النواحى للكومنولث البريطانى ولبقية العالم كذلك ، فىأوقات الحرب والأزمات وفى السلم ، ولقد كانت أعمال الشركة ، وهى هامة جدا للعلوم والصناعات ، تنفذ فى بعض الأوقات فى ظروف صعبة عسيرة .

ثم ان الفترة فيما بين عام ١٩٣٩ وعام ١٩٤٨ ، التى اشتملت الحرب العالمية الثانية ، شاهدت التحول الى صناعة الأسلحة ــ كما حدث فى الفترة ما بين عام ١٩١٤ وعام ١٩١٨ ولكن فى ظروف أسوأ ــ عندما عاشت ــ كما كانت ــ فى سجن من الزجاج استطاعت منه فقط أن تلقى بالحجــارة على هؤلاء الذين هاجمــوها . وجاء النصف الاول من فترة السنوات العشر التالية (١٩٤٩ ــ ١٩٥٣) بالكساد والقيود ونقص راس المال والسلع ، ولكن الشركة استطاعت أن تتغلب على هذه العقبات بروح عالية ورثتها عن نوبل . ان تاريخ شركة الصناعات الكيميائية الامبراطورية المتحدة جزء من تاريخ الكومنولث .

والشركة الآن شجرة ذات فروع كثيرة ومثمرة ، ازدهرت من بذور وضعها ألفريد نوبل فى أوائل العقد السابع من القرن المــاضى . فاسمه موضع احترام وتقدير كبير من الشركة وفى تاريخ أبحاثها (١٩٥٥) تجد مكتوبا ما يلى :

« ان قسم نوبل ، يفخر باسمه وتاريخه كما يفخر بمؤسســة ألفريد نوبل . ان أمير المخترعين كان رجلا ذا عبقرية نادرة كما كان غزير الافكار وحصيفا واعيا فى المسائل التجارية بالاضافة الى انه كان مثاليا . ولا يزال ينبثق منه الكثير من الايحاء والالهام للأبحاث التى تجرى فىأردير . واذا نظرنا الى تدفق ابحاث المتفجرات وتطورها ككل ــ وليس فى مكان بعينه ــ فحينئذ يمكن أن نجد المصدر الحقيقى لهذا النهر فى المحاولات التى بذلها نوبل شــخصيا ، منذ عــام ١٨٦٢ فما بعــد ذلك ، لاســتغلال النتروجليسرين » .

شركات الائتمان اللاتينية :

فى العقد التاسع من القرن الماضى تأثر العالم كله ، بطريقــــة او بأخرى ، بالثورة الصناعية المستمرة ، وقد كانت الارض ممهدة ومعدة فى أوربا لهذه الثورة بسبب الثورة الفرنسية والاصلاحات والحركات الجذرية فى بلاد كثيرة . ولعبت الحرب الأهلية فى الولايات المتحدة دورها فقد قدمت مخترعات العصر البذور ، واصبحت المحاصيل النامية واضحة

فى ذلك الحين فى التحول العالمى من الأساليب البدائية للانتاج الى تكنيك اكثر دقة فى الصناعة .

وكانت المتفجرات عاملا مساعدا مناسبا فى هـــــذا التطور . وكان العصر ملائما لهؤلاء الذين يستطيعون أن يستفيدوا من الموقف الاقتصادى ولكن كان هناك ــ كما هو الحال دائما ــ حاجة للطاقة ورأس المال ، وفوق كل هذا تعاون فى الوحدات الكبيرة حتى تنجح .

وقد رأينا كيف أن ألفريد نوبل ، مع مساعديه الأكفاء ، خرج ليحقق هذه الأهداف ، وعمل على التعاون بين شركاته فى الأسواق البريطانية والألمانية ، كما رأينا نتيجة ذلك من تطور . ولنبعد الآن ــ بعد هذه النظرة السريعة على العالم الحديث ــ الى مقر نوبل فى باريس :

بعد ان أكمل نوبل أبحاثه وتجاربه على اكتشافه الهام الجديد ، وهو الجيلاتين المتفجر (عام ١٨٧٥) ، أقام معملا كبيرا حديثا فى « سيفران ليفرى » خارج باريس وشرع فى هـــذا المــكان ــ فى هدوء وسلام ــ فى المضى بأبحاثه والاستمرار فيهــا ، وقد كانت عزيزة عليــه أكثر من معظم الصفقات المربحة ، ومع ذلك ، فقد ظهر بالحاح الجانب التجارى والتنظيمى لعمله واكد نفسه على حساب تجاربه وأبحاثه . وعاد « بول بارب » ــ الذى كان لأكثر من ثلاث سنوات يشرف بنجاح ونشاط على اعادة تنظيم الشركات الالمانية والنمسوية ــ من هامبورج الى باريس فى عام ١٨٨١ . ولم يتوان عن القيام باعادة النظر فى الأعمال الفرنسية .

وكانت شركة « نوبل ــ بارب » للانتاج ــ وهى الشركة العامة التى تأسست عام ١٨٧٥ ــ تقوم بتصدير المتفجرات والمواد الكيميائية الصناعية الى جنوب وغرب أوربا من مصنعها فى « بوليل » الذى كان يعمل فى ظل اتفاق مربح مع الحكومة الفرنسية . وقد كانت شركة بارزة كبيرة . ففى خلال السنوات العشر (١٨٧٦ ــ ١٨٨٦) لم تستطع فحسب .. أن تدفع أقساطا طيبة من أرباحها الكبيرة دون أن تقترض ، وتضـــاعف من رأس المال ــ الذى كان أربعة ملايين فرنك ــ وأن تجمع احتياطيا قدره عشرة ملايين فرنك .. وانما استطاعت أيضا أن تؤدى تكاليف مصانعها كلية وبالاضافة الى ذلك بدأت تساعد فى تمويل الشركات الأخرى فى الدول اللاتينية ، وقد كان هذا عملا رائعا للتضامن فى كل الجبهات .

وعلى الرغم من المخاطر الكثيرة التى كان يتضمنها الانتاج .. فقد ثبت أن من اليسير الحصول على عمال للمصانع ، وكانت الأجور طيبة ــ اذا

قورنت بأجور المصانع الأخرى ـ وكانت شركات نوبل فى المقدمة فى ذلك الوقت بالنسبة للاجراءات الخاصة بسلامة العمال وبالنسبة للخدمات الاجتماعية للعمال . ومعنى هذا أنه لم تحدث اضرابات أو ايقاف للعمل فى مصانع نوبل فى خلال حياته ، بل لم يحدث ذلك فى فترات الأزمات .. حينما كان هذا هو الحال فى الشركات الصناعية الأخرى .

ومع ذلك فقد ظهرت منافسة غير طيبة بين شركات نوبل فى البلاد المختلفة فى المنطقة اللاتينية الواسعة ، وكان لابد من تعديل سريع .. وهكذا قرر نوبل وبارب فى عام ١٨٨٧ أن يجمعا فى اتحاد للشركات شركة الانتاج الفرنسية والشركة العامة مع الشركات الاسبانية والبرتغاليـــة وكل الشركات الايطالية والسويسرية ، بما فى ذلك الشركات الفرعية . وبعض هذه الشركات الأخيرة كان موجودا فى مناطق تنمية وتسويق رائعة فى اوربا وأمريكا الجنوبية والوسطى .

وهكذا نجد أن الشركة الائتمانية التى أصبح اسمها الرسمى « الشركة المركزية للديناميت » تجاوزت مقرها فى باريس بمدى بعيد وأصبح رأسمالها ستة عشر مليون فرنك . وأصبح بول بارب مديرها الادارى ، وعين ألفريد نوبل رئيس شرف .

وكانت هذه الشركة ، التى ضمت الشركات جميعا ، تشرف على المواد الخام والأسعار فى الدول التى تعنيها . وبهدف الوصول الى مزيد من الضمان والأمن .. أقيم اتحاد عام لتنظيم الأسعار والمناطق مع الشركة الانجليزية الالمانية التى أشرنا اليها من قبل .

وبالانتهاء من كل هذه الترتيبات اعتقد نوبل أنه سوف يستطيع فى النهاية أن يحقق الهدف الذى طالما تاق اليه ، وهو أن يحرر نفسه من عبء الادارة الثقيل المضنى على أساس أن يستطيع ، وهو فى معمله ، أن يكرس كل وقته للتجارب . لقد كان عليه أن يقهر عوالم جديدة قبل أن يشعر بأنه سوف يعتزل .

أما أهـــداف بارب فكانت من نوع آخر ، ففى هـــذه الشركات الائتمانية وجد فرصا كثيرة للنفوذ الشخصى والمجـــد والثراء المتزايد ، وكذلك فرصة النجاح السياسى ، وقد تحققت فى البداية آمال الرجلين اللذين يختلفان فى الهدف .. ولكن بغير الدرجة أو الطريقة التى كان يتمناها كل منهما .. فان القدر كان يدخر لهما مشروعات أخرى .

فقد تطورت الشركتان ــ الانجليزية الالمانية التى توجه من لندن ، واللاتينية التى توجه من باريس ــ الى كتل صناعية فى السنوات التى اعقبت ذلك مع زيادة كبيرة فى المصانع الجديدة والفروع ، واصبحت صناعة المتفجرات ومنتجاتها الفرعية عاملا هاما فى تخطيط المشروعات التكنيكية فى العالم أجمع . وكانت هذه هى الحال بعد ظهور مخترعات نوبل الجديدة وهى الجيلاتين المتفجر عام ١٨٧٥ ، والبالستيت عام ١٨٨٨

وكما هو واضح من تاريخ الشركة الانجليزية الالمانية نجد أن منتجات نوبل ــ التى كانت تتأثر بسهولة بالموقف السياسى ــ قد استخدمت بعد موت نوبل تحت أسماء براءات مختلفة لانجاز مواد الحرب فى الحربين العالميتين الرهيبتين فى القرن العشرين . ومع ما هذا من أسى وأسف .. فانه يبدو أن قدرا حتميا لحق بكل المنتجات والأعمال فى تجارة المتفجرات منذ أن وجدت .

وقد يتعجب القارىء ويتساءل عما حدث لشركات الانتاج النشيطة فى الدول اللاتينية بعد الحرب ؟؟ وما هو موقفها اليوم ؟؟ ان التقرير القصير التالى سوف يقترن بما قيل عن الوقت الذى وقعت فيه هذه الأحداث الكبار .

ففى عام ١٩٢٧ تغير الاسم من « الشركة العامة » الى « شركة نوبل الفرنسية » ، وازداد رأس مال المساهمين الى واحد وعشرين مليون فرنك ــ وبعدها تحولت بعض الشركات تدريجيا وبنجاح كبير الى الصناعات الجديدة الحالية التى تبشر بمستقبل طيب ، وهى منتجات الحرير الصناعى والبلاستيك التى ترتبط ارتباطا تاما بتجارة المتفجرات ، وبعد ثلاثين عاما (عام ١٩٥٦) اشترت الشركة أغلبية الأسهم فى ثلاث شركات فرنسية كبيرة هى : الشركة العامة المتفجرات ، وشركة البلاستيك ، وشركة اخوان زيمى « للتعدين » ولذلك أصبح رأس مالها ثلثمائة مليون فرنك .

وفى العام التالى اندمجت شركة نوبل الفرنسية مع شركة كبيرة مماثلة هى شركة « بوزل ماليترا » وأصبح اسم الشركة بعد الاندماج « شركة نوبل الفرنسية بوزل » التى أصبح راس مالها عام ١٩٦٠ ثلاثة مليارات وثلاثمائة وثلاثة وثمانين مليون فرنك ، وتضم الآن ثمانية عشر مصنعا هاما فى فرنسا والجزائر وتونس ، وتعمل فى خمسة ميادين : التعدين الكهربى (مصنعان فى سافوى) ، والتحليل الكهربى (باريس

وتولوز وليون) والكيميائيات الصناعية (روين وسانت كونتين) والمتفجرات والاملاح (وهران — الجزائر) .

ومن عام ١٨٨٧ وطيـــلة سبعين عاما احتفظت الشركة المـركزية للديناميت بمكانتها على أنها الشركة الموجهة ، برأس مال يتزايد باستمرار، وفى عام ١٩٦٠ استطاعت أن تحصل على أغلبية الاسهم لا فى شركة نوبل بوزل ، التى أشرنا اليها ، فحسب .. بل فى الشركات الرئيسية فى الدول اللاتينية الاخرى ، مثل شركة نوبل الاسبانية للديناميت وشركة نوبل الايطالية السويسرية للديناميت ، والشركة السويسرية للمتفجرات .

ويمكن أن نرى حاجـة الشركة الى الاهتمام باحدى المواد الخـام لمصانعها ، وهو الجليسرين فى حين أنها الآن تتمتع بأغلبية الأسهم فى الشركة الفرنسية للجليسرين برأس مال يصل الى سبعمائة وأربعة وعشرين مليون فرنك فى مارسيليا « وفوسيين » . كذلك فان هذه الشركة بدورها تتمتع بالاغلبية فى الشركة الصناعية لصناعة المضادات الحيوية برأسمال قدره ثمانمائة وخمسون مليون فرنك .

واسهمت الشركة المركزية أيضا فى شركة الصناعات الكيميائيـــة الامبراطورية البريطانية ، واصبح لها أسهم كثيرة فى شركات أخرى منها شركة الدوكو (رأس مال قدره ٧٩٦ مليون فرنك) وشركة ! ازوريل » (رأس مال قدره ٨١٩ مليون فرنك) .

وأخيرا يمكن القول بأن الشركة المركزية لا تزال تمتلك أغلبيـــة الأسهم فى الشركات الكبيرة الثلاث للديناميت ، وهى « ارندونك » فى بلجيكا و « كوشركس » فى مراكش و « ى . س . و . أ » فى غينيا .



الفصل السادس عشر

المصانع والانتاج .. الخ

المؤكد أن ذكر بعض الارقام يمكن أن يعطينا صورة أوضح لتطور مصانع نوبل . ففى عام ١٨٦٧ ، وهو العام الذى تم فيه تسويق الديناميت كان هناك أحد عشر طنا تصنع منه فى مصانع فنترفيكن فى السويد و « ليساكرا » فى النرويج و « كروميل » فى المانيا ، وكانت هى المصانع الوحيدة الموجودة فى ذلك الوقت ، وبعد عشر سنوات تجاوز انتاج العالم من أنواع الديناميت المختلفة ، من ستة عشر مصنعا ، خمسة آلاف طن . لقد ازداد الطلب والانتاج بشكل كبير ، وانعكس نجاح شركات نوبل فى الأرباح الكثيرة والتوسع والاستقرار الاقتصادى خلال العمل الشامل الدقيق لهذه المنظمة . وكان اسم نوبل اسما يشار اليه فى أعمال التمويل الكبيرة من بداية العقد التاسع من القرن الماضى ، وكانت أسهم شركات نوبل ـ بأرباحها الكثيرة ـ مطلوبة جدا كاستثمارات .

وفى الوقت الذى مات فيه نوبل فى عام ١٨٩٦ كانت هناك شركات نوبل الكبيرة فى عشرين دولة ، أما المتفجرات وملحقاتها فقد كانت تصنع حسب براءة اختراعه فى مئات المصانع فى جميع انحاء العالم .

وقد وصل الانتاج فى عام ١٨٩٦ الى ستة وستين ألفا وخمسمائة طن من ثلاثة وتسعين مصنعا . وبعد خمسة عشر عاما ، فى خلال سنوات السلام الأخيرة قبل الحرب العالمية الأولى ، ارتفعت هذه الأرقام الى ثمانين ألف طن من خمسين مصنعا فى أوربا ، ونحو خمسة وعشرين مصنعا فى أجزاء أخرى من العالم ، وقد قدر عدد العمال الذين يعملون فى هذه المصانع بخمسة عشر ألف عامل .

وفى الفترات التى تلت ذلك كانت أرقام الانتاج لا تزال مرتفعة ، فمثلا فى عام ١٩٢٩ ـ بين الحربين العالميتين ـ كان الانتاج مائة وسبعين الف طن . وقد قال خبير فى الديناميت : « بما أن كيلو جراما واحدا من الديناميت يفجر ، فى المتوسط ، ثلاثة أمتار مكعبة من الصخور ، ففى تلك الفترة يكون ما يقرب من خمسة ملايين متر مكعب من الصخور التى

تفتتت ، كان يمكن أن يبنى حائطا ارتفاعه متران وسمكه متران .. يدور مرتين حول خط الاستواء » .

وقد كانت المتفجرات وملحقاتها والمنتجات المتعلقة بها والتى كانت تصنع فى المصانع التى يمتلكها نوبل قبل ان ينتهى القرن الماضى تشتمل على الذخيرة ، من كل الأنواع والمعادن والسبائك مثل النحاس الأصفر والنحاس الأحمر والنيكل على شكل شرائح وانابيب وأسلاك .. الخ .. ويستخدم فى سلع مثل القصدير والخراطيش والكابلات والأسلاك العازلة ، وكذلك الجليسرين المكرر وحامض النيتريك والنتروجليسرين والنتروسيليلوز والمتفجرات المختلفة الكثيرة التى تقوم على أساس هذين الانتاجين ، مثل الديناميت والجيلاتين المتفجر والبالستيت والكورديت Cordite ثم الأسمدة وأشياء كثيرة أخرى ، وكان عدد هذه الأشياء يتزايد باستمرار وكان يتكاثر مرات كثيرة فى السنوات التى أعقبت موت ألفريد نوبل .

وكان اول تفجير منظم ناجح فى العالم لزيت النتروجليسرين المتفجر على يد « نوبل » فى مايو من عام ١٨٦٢ تحت الماء فى قناة صغيرة تدفقت عبر أراضى مصنع أخيه لودفيج فى نيفاكا فى سانت بطرسبرج ، وكان أول من صنع الديناميت فى الولايات المتحدة « جدسون » فى كاليفورنيا فى الخامس من اغسطس عام ١٨٦٧ تحت اشراف شريك نوبل ، وهو السويدى « تيودور وينكلر » الذى بعث به من هامبورج على أن يعمل وكيلا للاعلانات . وبالكمية التى انتجت حينذاك — وكانت بضعة أرطال — قام بأول تفجير للديناميت فى امريكا فى العاشر من أغسطس عام ١٨٦٧ . ومن أحد المصادر الامريكية المسئولة عرفنا انه فى عام ١٩٥٧ — أى بعد ذلك التاريخ بتسعين عاما — وصل الانتاج من ٣٦ مصنعا فى الولايات المتحدة الى اكثر من أربعمائة الف طن فى هذه البلاد وحدها ، وكان يتم تفجير ثلاثمائة طن من الديناميت فى اليوم . وكان يتم تفتيت الف وخمسمائة مليون طن من الصخور والحديد الزهر والمواد الأخرى فى العام فى الولايات المتحدة ، وذلك بمساعدة المتفجرات الحديثة .

وكانت اكبر صفقة من متفجرات الديناميت لنفس العميل — وقد بدات فى حياة نوبل — هى الثلاثين الف طن التى استخدمت لحفر قناة بنما فى ١٨٧٩ — ١٨٩٠ و ١٩٠٣ — ١٩١٤ .

وكان أكبر انفجار لمتفجرات النتروجليسرين فى عام ١٩١٣ . وذلك حينما انفجرت الباخرة البريطانية « الوم شين » ـ التى كانت فى طريقها الى بنما ، وكانت تحمل ثلاثمائة طن من الديناميت فى نهر «باتابسكو» فى بالتيمور فى الولايات المتحدة الامريكية .

وقد تم تفجير أكبر شحنة من المتفجرات لأغراض البناء فى عملية واحدة فى بداية العقد الخامس باستخدام مائة وخمسين طنا من ديناميت الجيلاتين فى أثناء انشاء معبر مائى فى جزيرة كاتالينا فى كاليفورنيا فى الولايات المتحدة .. حيث أمكن فى ثلاث دقائق تفتيت نحو مليون طن من الصخور الصلبة .

وهكذا تدخل الديناميت والنتروجليسرين ـ كما استخدمه ألفريد نوبل ـ بقوته الهائلة وأهميته ومجالات استخدامه التى تزداد يوما بعد يوم ، فى حياة الانسان وعمله ، وغالبا ما كان يعود عليه بالنفع الكبير ، ولكن أحيانا ما كان يتعرض بسببه لأضرار بليغة .

ومهما يكن من أمر ، فان هناك أماكن كثيرة فى العالم عملت يد ألفريد نوبل على اعادة تشكيلها وتغييرها كلية ، لا بقوة الديناميت . ولكن عن طريق تخطيط وبناء المصانع لصناعة هذا الديناميت وتطوير المنشآت واثارة النشاط والعمل فيما كان قبل ذلك أرضا خربا لا حياة فيها وأكثر مثال على ذلك منطقة « اردير » الاسكتلندية ، ففى أقل من عشر سنوات تحولت المنطقة من أرض رملية معزولة غير مسكونة وبلا امدادات المياه حيث لم يكن هناك فى عام ١٨٧١ ـ وهذا ما يقوله نوبل بنفسه ـ أى غذاء حتى للارانب .. الى مدينة صناعية ذات أرض طيبة وامدادات للمياه والكهرباء والأعمال الغازية ، وفى خلال السنوات الخمس عشرة الى أعقبت ذلك .. تطورت الى وحدة من أكبر مراكز المتفجرات فى العالم ، وأصبحت تزود العالم بعشر احتياجاته ، وهذا شىء عظيم .. قدر لنوبل أن يعيش حتى يراه بنفسه .

وقد سميت مدينتان مزدهرتان ظهرتا حول مصانع نوبل باسمه ، واحدة فى كندا والثانية فى كاليفورنيا . وهكذا نجد أن المبانى والمنشآت والميادين العامة والشوارع التى تحمل اسم نوبل تذكرنا فى كثير من مدن العالم بالعمل العالمى الكبير البعيد المدى .. الذى قام به المخترع السويدى وعائلته ..

الفصل السابع عشر

اختراع البالستيت عام ١٨٨٧

مغادرته باريس والذهاب إلى سان ريمو عام ١٨٩١

احتلت مشكلة تحسين البارود المفجر القديم جزءا كبيرا من تفكير أسرة نوبل فى مرحلة مبكرة جدا . وقد كان خليط البارود الذى اخترعه ايمانويل يستخدم لشحن الألغام ، ومن ثم كانت الأسرة ترمى الى تطويره ليصبح وسيلة للدفاع العسكرى ، ومع ذلك فان الجهود التى بذلها ألفريد فى الفترة الأخيرة كانت ترمى الى اختراع متفجرات تستخدم فى الشئون المدنية يمكن أن تكون ذات فعالية بقدر المستطاع . وقد تقدمت مخترعاته عن طريق الزيت المتفجر والمتفجرات التى كانت تحتوى على البارود الأسود ــ ثم الى الديناميت الذى لم يكن يحتوى على مثل هذا البارود . وقد كان ألفريد فى هذا المجال ــ باختراع الجيلاتين المتفجر ــ متفوقا رائعا .

وقد تحدث نوبل ــ فى محاضرة كانت موضع نقاش كبير بعنوان « المتفجرات الحديثة » القاها على الخبراء فى لندن عام ١٨٧٥ ، كان يرمى من ورائها الى الدعاية والاعلان للديناميت ــ عن مزايا البارود الأسود ومساوئه .. فقال : « ان هذا الخليط القديم يتمتع بمرونة عجيبة تسمح باستخدامه فى أغراض ذات طبائع مختلفة . وهكذا فهو فى المنجم مطلوب لكى يفجر دون دفع ، وفى البندقية يستخدم لكى يدفع دون تفجير . وفى الرصاصة يستخدم للغرضين معا . وفى الأعمال النارية يحرق دون تفجير . والضغط الذى يمارسه فى هذه العمليات المتعددة يختلف بين أوقية « أكثر أو اقل » للبوصة المربعة فى أعمال الصهر ، وبين خمسة وثمانين ألف رطل للبوصة المربعة فى الرصاصة . ولكنه يفتقد الكمال فى كل من هذه المجالات ، والعلم الحديث ــ وهو مزود بأدوات أفضل ــ يقضى بالتدريج على مجالاته القديمة » .

وقد كانت الحكومات الأوربيــة الكثيرة فى العقد التاسع من القرن المــاضى ــ بسبب الموقف الســياسى ــ تتوق لأن تحصل على شحنات

تفجيرية عسكرية أكثر قوة وأقل دخانا ، وذلك للقذائف العسكرية والطوربيدات وأنواع العتاد الأخرى . وبما أن الديناميت الذى اخترعه نوبل لم يكن يرمى الى هذا الغرض ، ولم يكن مناسبا لهذا الاستخدام .. لذلك كان الكثيرون من الكيميائيين فى أجزاء كثيرة من العالم يعالجون هذه المشكلة بأبحاثهم ، ولكن أثنين منهم ــ كما سوف نرى ــ سببا لنوبل الكثير من المتاعب ، ذلك لأن هذا المتفجر الذى لا دخان له كان من الأشياء التى يفكر فيها أيضا ، وتظهر السجلات والصحف الموجودة فى معمل «شيفرات» فى باريس ــ وكان هذا هو المعمل الذى يقوم فيه نوبل بنشاطه ــ انه فى عام ١٨٧٩ كان مشغولا بهذا المتفجر ، وكان يعمل على أسس تختلف اختلافا تاما عن تلك التى كانت الدوائر العلمية والمطبوعات تعتبرها الأسس الوحيدة الممكنة التى يمكن أن تؤدى الى نجاح التجارب . وبعد ثمانى سنوات من البحث وعن طريق مادة « السيلولويد » وصل نوبل الى هدفه ومبتغاه .

وعن طريق براءات اختراعه من عام ١٨٨٧ الى ١٨٩١ فى كل الدول الكبيرة أعلن عن اختراع مادة متفجرة بلا دخان والتى أطلق عليها اسم « البالستيت » . وكانت تحتوى على أجزاء متساوية من النتروجليسرين والنتروسيليلوز كما قال نوبل . وكان من مميزات هذه المادة الجديدة أنها تولد قوة أكبر ولا تترك أية رواسب ، وكذلك فانها تكاد تكون بلا دخان ، وعلاوة على ذلك كان يمكن خزنها الى فترة طويلة كما أنها كانت رخيصة .

لذلك سرعان ما أثار هذا الاختراع على الفور اهتماما كبيرا وخصوصا فى الدوائر العسكرية ، وفى حكومات كثيرة كانت تخشى أن تضعف طاقاتها الحربية عن طاقات الدول الأخرى نتيجة لمثل هذه المخترعات . وكان لابد لهذه المادة ، التى لا دخان لها ، أن تحدث تغييرا جذريا فى التكتيكات . وفى كثير من الحالات شعر نوبل بأثر هذا الاهتمام .

وقد رفضت شركة البارود الفرنسية ــ وهى هيئة البارود وملح البارود التى قدم نوبل لها أولا براءة اختراعه ــ هذا الاختراع ، ذلك لأن المسئولين فيها شعروا بأن انتاجهم يغطى حاجياتهم ، وفى الوقت ذاته قام البروفيسور الكيميائى الفرنسى « ب.م.أ. ڤييل » ــ بعد جهود كبيرة على أسس ومبادىء مختلفة عن تلك التى أتبعها نوبل ــ باكتشاف متفجر يكاد يكون بلا دخان ، وذلك عام ١٨٨٥ ، واستطاع ــ بسبب صلاته القوية بالدوائر السياسية ــ ان يدخله الى الجيش والبحرية . وحينئذ قال

نوبل كلمته المشهورة : « ان البارود الضعيف مضافا اليه نفوذ قوى ، أفضل — بالنسبة للحكومات — من البارود القوى الذى يفتقد عنصر النفوذ القوى الهام » .

وكانت أول حكومة تتقبل « البالستيت » هى الحكومة الايطالية ، ومن ثم انشئت ادارة للمصنع لانتاج هذه المادة فى « افيليانا » مقر نوبل فى ايطاليا ، ووقع فى عام ١٨٨٩ عقد لتسليم ثلاثمائة طن منها . وبعد ذلك على الفور أرادت الحكومة الايطالية أن تحصل لنفسها على حقوق صناعة « البالستيت » .. وهكذا سلم نوبل براءة الاختراع للحكومة الايطالية بثمن قدره نصف مليون ليرة .

ولقد كان نوبل يعمل ويعيش فى فرنسا ، ولذلك لم يكن هذا العمل بدون نتائج بالطبع . فقد كان ذوو النفوذ — من الذين هم على صلة بهيئة البارود وملح البارود التى كانت تحتكر هذه الأعمال تقريبا فى فرنسا — يتتبعون لفترة طويلة بالريبة وسوء النية تجارب نوبل على هذه الذخيرة فى منطقة قام بتأجيرها من الحكومة فى « سيفران ليفرى » ورأى الجميع فى « البالستيت » منافسا خطيرا لانتاج « فييل » ومخترعاته ، وتدخلت السياسة واثيرت المشاعر الفرنسية وبدأت حملة صحفية عنيفة ضد نوبل . واتهم صراحة بالتجسس وبسرقة الأسرار من معمل أبحاث هذه الهيئة وهو لا يبعد عن معمله بكثير . وفى سورة الغضب الأولى هددت السلطات نوبل بالسجن . وقام البوليس باغلاق معمله . وسحبت السلطات التصاريح الخاصة بأن يمتلك هذه المواد وبأن يقوم بالتجارب ، وحرم عليه صنع « البالستيت » فى مصنع الديناميت فى « هونفليز » حيث وضعت المواد التى تمت عليها التجارب تحت الحراسة .

ولا يمكن أن تلام السلطات الفرنسية لأنها كانت تراقب بشدة مواطنا أجنبيا — مهما تكن شهرته — لأنه كان يقوم بتجارب على المواد الحربية داخل البلاد ويبيعها لدولة أجنبية كانت تنتمى الى التحالف الثلاثى . ولكن التهم التى وجهت لهذا المخترع بالتجسس وسرقة البراءات ... الخ .. لم يكن لها أساس . وكان كل المسئولين يعرفون ذلك ، ولكن الهجوم فى الصحف وأعمال الاضطهاد استمرت وكانت تغذيها الدوافع السياسية .

ونتيجة لذلك قرر نوبل — وقد تألم لهذا الذى حدث — أن يغادر البلاد والمدينة التى شعر ، طيلة ثمانى عشرة سنة ، أن له فيها بيتا وحياة

وكان هذا أحد المواقف الحاسمة الأخرى فى حياته وكان للخطوات التى اتخذها آثار بعيدة المدى استشعرها الجميع .

وبعد أن قام بزيارة شقيقه روبرت فى السويد ومصانعه فى «افيليانا» و « أردير » و « كرومل » لعقد اجتماعات تتعلق بالتنظيمات المختلفة المقبلة ، أسرع عائدا الى باريس وقرر أن يغادر بيته وذهب الى ايطاليا عام ١٨٩١ بعد أن اخذ معه كل معدات المعمل وأدواته التى لم تصادر وبعض أشياء شخصية من بينها صورة لأمه بالألوان رسمها اندرز زورن . وأقام فى ڤيللا أثثت حديثا ذات حديقة كبيرة فى « سان ريمو » على « ريفييرا دى بوننت » وتمنى أن يساعد الجو هنا على علاج البرد المزمن الذى كان يعانى منه ويشفى الصداع الذى أصابه من جراء النتروجليسرين وكذلك أعراض « الاسقربوط » . وقد أطلق على هذه الفيلا الجميلة ذات شجيرات البرتقال والنخيل والتى تقع على البحر المتوسط « عشى » ، وحينما قال له صديقه « جوستاف أو نشليجر » المدير الادارى لشركة هامبورج : «أن العش يجب أن يضم طائرين لا طائرا واحدا .. أطلق نوبل على الفيلا اسم فيللا نوبل ـ وظلت هكذا حتى اليوم .

وقد يبدومن هذا القول أن ابتعاد نوبل تم فى طرفة عين، ولكن ليست هذه هى الحقيقة .. فبابتعاده عن باريس ترك بيئة شاهدت طورا هاما فى حياته ، بيئة قام فيها بمحاولات وتجارب كثيرة . وعلى الرغم من أنه قام بكثير من الرحلات فى أثناء السنوات التى قضاها فى باريس ، فان معمل « سيفران » كان من أحب الأماكن الدائمة التى يعمل فيها ، ففى هذا المعمل تمت التجارب الكيميائية الأخيرة ، وكذلك الأعمال التى تتعلق ببراءات ما لا يقل عن خمسين اختراعا واستغلالها . وفى باريس عرف كل وجوه الحياة العملية ، كما عرف النجاح والأرباح الكثيرة ، كذلك عرف الدعاوى المؤلمة والاختلاسات فى الشركات والتقارير الخاصة بالنكبات والكوارث بسبب المنتجات فى أثناء صناعتها أو نقلها فى مناطق مختلفة من العالم ، وقد شهدت الأيام التى قضاها فى باريس تنظيم الاتحادات الكبيرة للشركات ، والمساعدات التى قدمها لشركة انتاج النفط فى أثناء محنتها المالية المؤلمة ، ثم أعمال « بارب » غير القانونية من وراء ظهره ودون علمه ، وقد ظهر هذا كله بعد موت «بارب» وسبب للمخترع نوبل خسارة كبيرة ، ووضعته فضيحة « بنما » فى موقف حرج خطير .

أما بالنسبة للمسائل الخاصة البحتة .. فقد حملت السنوات الخمس الأخيرة فى باريس الكثير من الألم والمتاعب لهذا الرجل ، فقد ماتت والدته،

التى كان يحبها كثيرا ، فى عام ١٨٨٩ . وقد حزن عليها حزنا بالغا . كذلك كان أخوه « لودفيج » ـ الذى ارتبط معه فترة طويلة والذى ساهم فى أعماله بجزء كبير من ثروته ـ وقد مات فى عام ١٨٨٨ وقد أنهكه العمل المضنى المتواصل .

وخرجت الصحف العالمية ـ التى كانت تخلط بين قطب البترول لودفيج وملك الديناميت ألفريد ـ تنعى هذا الأخير بطريقة متعارضة . وكانت الصحف الفرنسية أقلها موضوعية وأكثر تقدا فى لهجتها ـ ولا شك أن حكاية « سيفران » كانت لا تزال حية فى الذاكرة ، وهكذا رأى ألفريد نفسه وقرأها فى صحف العالم وعرف حكم العالم ورأيه على شخصه وعمله ، وكان معظم النعى يعطى صورة خاطئة وتفاصيل غير حقيقية .

وقد كان موقف الدولة الفرنسية بالنسبة لمسألة « البالستيت » شيئا بسيطا فى مجموعة الآلام والمتاعب التى عاناها نوبل ، وكل ما خبره وقاساه فيما بين عام ١٨٨٦ وعام ١٨٩١ كان يمكن أن يحدث حيثما وجد، ولكن هذه الأحداث تعطينا فكرة واضحة وصورة جلية عما يستطيع أن يقوم به الرجل ، وعما يستطيع أن يتحمله فى شجاعة وجلد على الرغم من اعتلال الصحة وضغط العمل . وهكذا كان رجلا متعبا مكدودا يبلغ من العمر ثمانية وخمسين عاما . ذلك الذى غادر العاصمة حيث تشكل الكثير من أفكار عمله وحيث كان قريبا من الحياة الفكرية ، وحيث قابل كثيرا من العقول المعاصرة ذات الأفكار الكبيرة فى الميادين المختلفة .

واذا تحدثنا عن البيت والراحة بالنسبة لألفريد نوبل ، فلا ريب أنه كان يعتبر بيته فى باريس هو البيت الحقيقى له . فقد شاهدته مكتبته وحديقته يمضى فى هواياته فى وقت الراحة البسيط . كذلك يجب أن نذكر أنه كان يحب من وراء ستار فتاة فى شقة ليست بعيدة عن بيته الذى يعيش فيه أعزب ، وذلك طيلة ست سنوات . وقد اعتنى بها فى اسراف شديد ، وبلا نظر لآلامه حاول أن يقدم لها بعض التهذيب على أمل أن يستطيع أن يجعل منها شريكة حياته . ولكن كان هذا حلما سخيفا لم يلبث أن تصدع فى السنوات الأولى التى قضاها فى « سان ريمو » بسبب قطيعة بينهما . وكانت هذه الحادثة قمة ألمه وأساه فى ذلك الوقت ، وتحمل النكبة فى صمت وفى عزلة عميقة فى زحمة الثراء وأعماله التى كانت على نطاق عالمى .

الفصل الثامن عشر

"بارب" وفضيحة بنما

بعد أن عرفنا مدى اشتراك « بول بارب » فى النشاط الهام المتعدد الجوانب الذى كانت تقوم به شركات نوبل فى العقد الثامن والعقد التاسع من القرن الماضى ، لا بد أن نقول ان العبء الذى تحمله نتيجة عمله ، كمدير ومنظم فى جبهات كثيرة كان ينسحب فيها نوبل نفسه ، قد شغل وقته كله . ولكن هذا لم يكن صحيحا . لقد كان سياسيا وكان من القوات الراديكالية ولبضعة شهور كان وزير الزراعة فى حكومة « روفييه » واذا كان هذا يعنى انه استطاع أن يكون على صلات طيبة فى الدوائر العليا من أجل شئون أعماله . الا أنه انحرف أيضا فى مغامرة سيئة نتيجة لأعمال غامضة تتسم بالمجازفة . فبسبب تعطشه للنفوذ والسلطان ، وخصوصا بعد عام ١٨٨٠ ، غالبا ما كان يتصرف بطريقة كانت تتناقض بشكل فاضح مع أخلاقيات نوبل وأفكاره السديدة ومنطقه الرزين .

وقد كان « بارب » يهتم اهتماما بالغا بمشروع قناة بنما الذى سبب الكثير من المتاعب فى السنوات التى تدور حول عام ١٨٩٠ . ومات «بارب» فجأة فى ذلك العام وانغمس نوبل فى بحر من المتاعب ، وعرف أن بارب — مع بعض كبار الموظفين فى خدمة الدولة — قد تورط فى أعمال للرشوة عرفت باسم فضيحة بنما ، وبالاضافة الى ذلك قامت مجموعة من المديرين على صلة وثيقة بهذا الرجل « بارب » فى شركة الديناميت الفرنسية ومن وراء ظهر نوبل بتوريط الشركة فى مضاربات خاصة بالجليسرين ، وانتهى هذا الى صدمة . وعلم بها نوبل فى أثناء زيارة له قام بها لهامبورج ، واعتقد لفترة من الفترات أنه قد خسر كلية وضاع ضياعا تاما نتيجة لالتزاماته المالية فى هذه المعاملات التى تمت بدون معرفته . ومن حسن الحظ أن الخسارة فى المضاربات الخاصة بالجليسرين كانت قليلة أكثر مما كان يظن . وتصرف بسرعة كما كان يعمل فى شبابه . وغطى الخسارة بقرض للشركة أسهم فيه بنفسه وقام بتغيير كل أعضاء مجلس الادارة فى الشركة العامة ، وعين مديرا لها الرجل المشهور ذا السمعة الطيبة « بول دى بوى » الذى لم يكن سياسيا ،

وارتفع رأس مال الشركة فى ذلك الوقت الى عشرين مليون فرنك .

وبالنسبة لهذه الأحداث المؤسفة نجد أن مراسلات نوبل للعاملين معه تعتبر مثالا لوضوح آرائه والسخرية اللاذعة فيما يتعلق بوجهات نظره فى الناس والسياسة والدولة . كذلك توضح هذه الخطابات أن الخسارة الفادحة التى منى بها والتى وصلت الى عدة ملايين من الفرنكات لم تؤثر فيه كما أثر فيه غدر الذين اشتركوا معه ، والعفونة الأخلاقية التى تفشت بين المسئولين فى الدولة .

وكانت اعادة تنظيم الشركات الفرنسية عملا كبيرا عظيما .. ومع ذلك لم يكن له صدى كبير فى نفس نوبل الذى كان أمامه الكثير من متاعب العمل والأزمات وكان يتوق ــ كما كان يتوق من قبل كثيرا ــ الى أن يترك عالم المال والتجارة ويكرس كل وقته للابحاث فى معمله ، وقد أوضحت رسائله فى تلك الفترة هذه الفكرة بوضوح تام ، فقد قال : « اننى تعبت من تجارة المتفجرات حيث يتعثر الفرد باستمرار بسبب ما يقع من أحداث وبسبب القيود والروتين والذين يدعون العلم ، وبسبب الخداع والغش والمضايقات الأخرى . اننى أتوق للهدوء واتمنى أن اكرس وقتى للبحث العلمى . الشىء الذى يعتبر مستحيلا ، اذ يأتى كل يوم بمضايقات جديدة . اننى أتمنى أن أعتزل العمل ــ كل أنواع العمل ــ انه لمن المؤلم لى أن أتصرف بأمانة وصدق وأعمل للسلام فى عش ملىء بالوحوش الضارية المفترسة . وليس هناك من سبب لأن أثقل بهذه الأعباء التجارية الكثيرة ، التى أعرف عنها أكثر قليلا من الرجل الذى فى القمر . لقد كانت الشركات الأمريكية والسويدية والنرويجية تعمل وتربح دون أن ترهقنى بمسائلها ولا أعرف السبب فى أن الشركات الأخرى لم تفعل الشىء نفسه » .

وقبل أن يذهب نوبل الى « سان ريمو » فى عام ١٨٩١ رفض ــ وهو يتنفس الصعداء بلا شك ــ عضوية كل مجالس الادارة فى شركات الديناميت ، ومع ذلك فقد ظل حتى موته يحتفظ بنفوذ كبير داخل هذه الشركات ، لا كمساهم كبير أو بسبب شخصيته المستقيمة النظيفة والاحترام الذى يتمتع به فى كل الدوائر فحسب .. بل بسبب الثقة التى كانت تتمتع بها أعماله المستمرة كمخترع ، ولكن بدا أن طبيعة نشاطه فى الحياة وابعاده ، يتحمل المتاعب والقلق والضيق . فلم تتحقق ابدا آمال هذا المخترع فى الهدوء والسلام .. حيث يمكن أن يتفرغ لأبحاثه . لقد كان العكس هو ما يخبئه القدر لهذا الرجل فى الفترة الباقية من حياته .

الفصل التاسع عشر

قضية الكوردييت

أثار البالستيت ـ وهو المتفجر الذى اخترعه نوبل بلا دخان ـ الكثير من الاهتمام فى كثير من الدول وخصوصا بين الدول الكبيرة ، ولكن هذا الاهتمام لم يكن طيبا فى انجلترا ، فالارتباطات التى كانت بينه وبين هذه البلاد جعلته يأمل فى أن يستغل مخترعاته بنجاح فى هذه البلاد ، ولكن حدث أن وقف عدوه القديم ، البروفيسور أبل ، فى وجهه مرة أخرى وبرغم الخلافات التكنيكية التى عالجها نوبل بحكمة ووعى شديد أصبح الخبيران على وفاق تام ، وطيلة عشر سنوات أو نحو ذلك تبودلت بينهما الخطابات فيما يتعلق بالمسائل الفنية التكنيكية ، وكثيرا ماتقابلا فى لندن أو باريس ، كذلك كان نوبل على اتصال وثيق بالبروفيسور « جيمس ديور » وهو عالم كبير فى الطبيعيات .

وفى عام ١٨٨٨ قامت الحكومة البريطانية بتعيين اللجنة الخاصة بالمتفجرات لبحث الاكتشافات الجديدة ، وخصوصا ما يتعلق منها بالمتفجرات العسكرية ، ولتقدم الى وزارة الحرب ما تقترحه من تعديلات وتحسينات فنية فى هذا الميدان « وقد كان من بين أعضاء هذه اللجنة البروفيسور « أبل » والبروفيسور « ديور » وقد اتصل بنوبل وطلب منه أن يقدم للجنة فى اخلاص كل المعلومات الممكنة عن اختراعه الجديد وطريقة التطور به ، وفى ثقة تامة وبنية خالصة فعل نوبل ذلك ، ومن خريف عام ١٨٨٨ الى خريف ١٨٨٩ زود اللجنة بعينات ومعلومات كاملة عن تكوين « البالستيت » وطريقة انتاجه ، ودرست اللجنة هذه التفاصيل واستطاع « أبل » أن يغير قليلاً من المواد التى يتكون منها « البالستيت » وأصبح المتفجر الجديد يحتوى على ٥٨٪ من النتروجليسرين ، و ٣٧٪ من النتروسليولوز ، و ٥٪ فازلين مخلوط بمحلول « الأستون » وأطلق على هذا المسحوق اسم « كورديت » .

وسرعان ما حصل هذا الاختراع على براءة اختراع فى انجلترا وعدة دول أخرى ، وحصلت الحكومة البريطانية على براءة اختراع فى انجلترا ، أما باقى الدول فقد احتفظ المخترع ببراءة اختراعاتها التى باعها بعد ذلك

للحكومات المتعددة بأرباح كبيرة ، وبسبب سمعة البروفيسور « ابل » واتصالاته الشخصية الطبية احتفظ بسرية براءة الاختراع حينما كان « نوبل » يجرى الكثير من تجاربه وأبحاثه . وتم ـ بتوصية من لجنة الدولة ـ ادخال « الكروديت » فى الجيش الانجليزى والبحرية مع تمتع « أبل » و « ديور » بحق استخدامه ، وحينما قدمت شركة نوبل للمتفجرات ـ التى حصلت على براءة البالستيت ـ هذا المسحوق لوزارة الحرب ظهرت أعمال « أبل » و « ديور » واتضح كيف تطور (الكورديت) ورأت الشركة فى ذلك نكوصا لبراءة الاختراع ، واحتجت على هذا العمل وفشلت المحاولات لمعالجة الأمر وديا مع الخصوم . وعلى الرغم من أن نوبل حاول جاهدا أن يثنى الشركة عما اعتزمته .. فانها قررت أن ترفع الأمر للمحكمة ، وتمت تسوية الموضوع عن طريق القضية الودية بين الطرفين .

واتخذ هذا العمل ، الذى قدم فيما بعد فى محكمة الاستئناف ومجلس اللوردات « ١٨٩٥ » وأثارت القضية الكثير من المشاعر وناقشتها الصحافة البريطانية بشكل عنيف وكانت النتيجة أن المحاكم جميعا حكمت ضد الشركة وضد نوبل ومطالبه من أجل تعويضات من انجلترا .

وكان عليه أن يخبر الذين يتعاملون معه فى انحاء العالم المختلفة بهزيمته ومن ثم كانت خطاباته فى تلك الفترة مليئة بالتعليقات المؤلمة وتدل على مرارة عميقة فى نفسه .

وفى خلال السنوات العشر التى أعقبت اختراع نوبل الأخير ، وهو « البالستيت » ، أدخل المسحوق الى بلاد كثيرة أهمها ايطاليا والمانيا والنمسا والمجر والسويد والنرويج ، أما انجلترا واليابان وبعض دول أمريكا الجنوبية فكانت تستخدم « الكورديت » ، على حين فضلت فرنسا وروسيا والولايات المتحدة استخدام مسحوق « النتروسليولوز » الذى يقوم على أساس اكتشاف « فييل » . وقد تلقى نوبل من الدول التى قررت أن تصنع « البالستيت » لجيوشها وأساطيلها البحرية كميات كبيرة من المال طيلة سنوات كثيرة ، أما شركة نوبل للمتفجرات فى انجلترا والتى بدأت تنتج « الكورديت » للدولة وللتصدير .. فقد دفعت عائدا على هذه الصناعة لنوبل ، وبهذه الطريقة حصل المخترع على بعض التعويض عن اختراعه حتى فى انجلترا على الرغم من انه تعويض محدود .

الفصل العشرون

مخترعات نوبل فى تسعينات القرن الماضى

على الرغم من أن ألفريد نوبل كان قد استقر رسميا فى سان ريمو فى عام ١٨٩١ .. الا أن هذا لم يكن يعنى أنه فى خلال السنوات الأخيرة من حياته (١٨٩١ — ١٨٩٦) قد ركن الى الراحة واكتفى بأكاليل الغار التى توجت هامته ، وقضى وقته فى هذا المصيف الجميل على البحر المتوسط .. فالأماكن التى كان يبعث منها بخطاباته الكثيرة توضح أنه حتى تلك الفترة لم يكن يهدأ أو يستقر بسبب ماتتطلبه أعماله من جهد. فكثيرا ما قام بزيارة الكثير من العواصم الأوربية والأماكن التى كان له فيها مصانع وشركات . وكانت باريس وحدها تحظى بخمسين فى المائة من زياراته وبأطول فترة يمكن أن يقضيها . انه بالرغم من المعاملة التى لقيها فى باريس على يد الدولة والصحافة .. كان مرتبطا بالعاصمة الفرنسية بروابط كثيرة ، وتجنب بقدر المستطاع التورط فى أية منازعات سياسية أو تجارية ، ولكن اذا حدث أن دخل احدى هذه المنازعات فانه لم يكن يخشى شيئا ، وكان يسرع باستخدام لسانه وقلمه ، كذلك كانت لديه المقدرة على أن يختفى اذا كانت الحوادث التى يعتبرها غير ذات أهمية تهدده فى أبحاثه وأعماله وأن مذكراته وكراساته الممزقة لتدل على أن هذه الأشياء كانت تصاحبه وترافقه فى كل رحلاته ، وأنه كان يقبل على أعماله بنشاط أينما كان .. فى القطار .. أو فى زورق .. أو فى حجرته بالفندق .

وكانت أصداء فضيحة « بارب » و « بنما » قد خمدت ، كما انتهت قضية « الكورديت » التى أثارت الكثير من الآلام ، وتطورت الاعمال الكبيرة للمخترع بشكل طيب وعادت عليه بدخول كبيرة ، كذلك فان المديرين الجدد والشركات التى تعمل وحدها بطريقة مستقلة قد رفعت عن كاهله الاعمال الثقيلة ، وخصوصا فى تلك الفترة التى ترك فيها أعمال مجالس الادارات .

ومع ذلك فان هذا الرجل ، الذى بلغ الستين من عمره ، والذى جعل من « سان ريمو » مقرا له ، وكانت تمزقه الأحداث التى مرت فى

حياته .. ومع ذلك كله .. وعلى الرغم من انه كان متعبا .. فانه شعر بأن هناك الكثير الذى يجب أن يحققه . وكانت هناك مشكلات تتطلب حلولا بالحاح شديد ، وهى التى دفعته الى أن يمضى فى العمل . وقال فى ذلك الوقت « اننى أعمل فى تقطع .. اننى أترك الموضوع لفترة من الفترات ثم أعود اليه مرة أخرى . وكنت هكذا غالبا ، ودائما ماكنت أعود الى أى شىء واشعر اننى سوف أنجح فيه فى النهاية » وهذا شىء يتميز به نوبل.

ولم يكن « جورج فهرنباخ »الكيميائى الذى كان موضع ثقة نوبل يريد أن يترك باريس . لذلك سمح له نوبل بأن يعتزل بمعاش ، وقام بتعيين « ج هيوبيكيت » الانجليزى ككيميائى كبير فى المعمل الجديد الذى بناه فى حديقة فيللا سان ريمو ، وزوده بالأجهزة الألمانية الحديثة .

وفى عام ١٨٩٣ عين عنده « راخبار شولمان » السويدى (١٨٧٠ — ١٩٤٨) الذى كان يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاما ، والذى كان خبيرا فى المتفجرات عاد لتوه من أعماله التكنيكية فى الولايات المتحدة الامريكية، واتضح أن هذه كانت خطوة هامة جدا . فلم يصبح شولمان الموهوب المتواضع النظيف واحدا من خاصةأصدقاء نوبل — كما قال نوبل نفسه — فحسب .. بل أصبح بعد ذلك المنفذ الوحيد لوصية نوبل . كذلك استطاع الرجل ان يتغلب على مشاكل وعقبات كثيرة وقفت فى طريق انشاء مؤسسة نوبل . ثم انه أيضا كرس حياته لأعمال نوبل فى المجالات المتعددة .

وفى سان ريمو — حيث قام نوبل ببناء مكان لتجاربه الخاصة بالمتفجرات والأسلحة النارية — مضى العمل بضغط مرتفع طيلة خمس سنوات . وهنا وضع أساس عدة اختراعات هامة لم يستطع نوبل أن ينجزها فى حياته وقد أكملها آخرون ، وكانت ذات اثر كبير فى أحداث كثيرة بعد ذلك .

وقد تم فى هذا المعمل آخر اكتشاف خرج به نوبل فى ميدان المواد المتفجرة ، وهو مسحوق لا دخان له يعتبر تطورا « للبالستيت » لأغراض خاصة . وسرد تفاصيل هذا الاختراع يعنى المضى فى تفاصيل تكنيكية عن المدفعية والمقذوفات الداخلية ، لذلك يكفى أن تقول هنا ان هدف هذا المسحوق ، هو زيادة سرعة المقذوفات دون زيادة أعلى درجات الضغط داخل السلاح .

ولم تكن اهتمامات نوبل كمخترع تقتصر على المتفجرات ، فلقد كان يتمتع بدرجات كبيرة من الخيال الذى يعتبر من الصفات الرئيسية للعبقرية المخترعة الحقيقة . كانت لديه حاجة لأن يبعثر أفكاره العظيمة من حوله . وكانت هذه الافكار تغطى الموضوعات المتنوعة الكثيرة ـ مثل الكيمياء التطبيقية والكيمياء الكهربائية والبصريات وعلوم الآلات والمدفعية والبيولوجيا والفسيولوجيا ـ هذا اذا ذكرنا مجالات العلوم التكنيكية والطبيعية . وفى بعض الأحيان ـ كما كان يحدث لأبيه ايمانويل ـ كانت هذه النزعة الأصلية تتحول الى خيال .

وبمرور السنين حول ألفريد نوبل الكثير من هذه الأفكار المختلفة الى براءات .. وفى نهاية تسعينات القرن الماضى وكنتيجة مباشرة لأبحاث القذائف . اهتم نوبل أكثر وأكثر بالجانب التكنيكى من الأسلحة النارية . وقد جذبه هذا الميدان على أنه مشكلة عقلية ، كما كان يقول دائما للخبير شولمان ورفاقه الآخرين ، وفى الوقت نفسه وبسبب كراهيته للعنف والحرب .. أصبح عدوا لدودا لاستخدام هذه المخترعات .. وقد كتب فى ذلك الوقت يقول :

« أتمنى من جانبى أن تذهب كل الاسلحة وملحقاتها الى الجحيم ، فهو المكان المناسب لعرضها واستخدامها » ومع ذلك فان أعماله النظرية والعملية فى تلك السنوات الاخيرة أسفرت عن تحسينات كثيرة فى هذا الميدان .

وقد بذل جهودا كبيرة فيما يتعلق بفكرة كان يعشقها منذ الايام المبكرة من حياته ـ فقد ورثها عن أبيه ـ اذ حاول أن ينتج ما يمكن أن يكون بديلا للمطاط والجلود من المواد الخام التى تتعلق بصناعةالمتفجرات، كذلك تطور بأنواع « الورنيش » الذىيقوم على أساس «النتروسيليولوز» الذى يتحلل فى عدة محاليل شبه متبخرة . وفى خلال هذه المراحل التجريبية لهذه المخترعات فى المعمل فى « سان ريمو » وبعد ذلك « بجور كبورن » فى السويد تم اكتشاف الكثير من المحاليل الجديدة للنتروسيليولوز .

وعلى الرغم من أن قليلا من التقدم قد أحرز فى حياة نوبل ، فان اهتمامه المبكر لصناعة المطاط التركيبى قد أثارت البحث والعمل على صناعة المطاط الصناعى والجلود .

كذلك هناك استخدام آخر للنتروسيليولوز الذى اهتم به نوبل فى المراحل الاولى من حياته ، وهو صناعة الحرير الصناعى . لقد أجريت

التجارب فى هذا الميدان مع المهندس السويدى «ر.و. سترلينرت» فى معمله فى سان ريمو ١٨٩٣ – ١٨٩٤ . وفى عام ١٨٩٦ حصل على براءة اختراع يؤدى الى ايجاد شعيرات الحرير الصناعى . وقد تطورت هذه الفكرة فيما بعد على يد الكثيرين من اتباعه . وأصبح الحرير الصناعى – الذى عرف لعشرات السنين بأسماء تجارية مختلفة – سلعة منتشرة على نطاق عالمى فى الوقت الحاضر بأشكال لاحصر لها ، ودائما بأسماء جديدة . وصنعت سلع الحرير الصناعى منذ بداية هذا القرن فى مصانع كبيرة فى ألمانيا وانجلترا وايطاليا وفرنسا . وكانت شركات نوبل قد ارتبطت بهذه السلع فى اتحادات الشركات وقد ساعد نوبل بعضها بالافكار أو رأس المال .

كذلك انهمك ألفريد نوبل فى تجارب لتحسين الفونوغراف والتليفون والبطاريات الكهربائية وانتاج أحجار كريمة وشبه كريمة « الكورندوم ، والياقوت الأحمر والأزرق .. ألخ » من الألومنيوم ، وقد ساعدت كل هذه الاعمال الكبيرة المخترعين فى الفترات التى اعقبت ذلك على أن يحلوا الكثير من المشاكل بعد أن ظهرت امكانيات ومعدات أفضل .

كما وقف نوبل الى جانب مشروعات كثيرين من المخترعين ورجال الصناعة ويمكن أن نذكر هنا بعضا منها :

فقد رأينا أنه – فى تعينات القرن الماضى – قدم مساعدات فعالة الى شقيقه « لودفيج » حينما كان هذا الأخير يعانى الكثير من المتاعب فى صناعة النفط فى روسيا وهو لم يقدم مساعدات مالية فحسب. ولكنه فى مناسبات كثيرة خرج أيضا بتحسينات تكنيكية تخدم هذه الصناعه والتجارة . فقد كانت الفكرة الاصلية لنقل البترول فى أنابيب من مصدره الى ميناء الشحن فكرته هو ، كذلك فان الكثير من التعديلات والاصلاحات فى التكرير والتقطير بالنسبة للبترول الخام وفى استغلال البارافين «كغاز للاستصباح» كانت تقوم على أساس أفكاره وتجاربه . وحينما نصح أخاه عام ١٨٨٢ بأن يستخدم موتورات الانفجار بدلا من قاطرات البخار فى سفن معينة. . كان يقول بفائدة أخرى لمنتجات بترول شركة اخوان نوبل كوقود .

وفى عام ١٨٩٥ قام مع المهندس السويدى « رودولف ليليجكفيست » بتأسيس الشركة الكهربائية الكيميائية فى « بنجتسفورز » وكان هذا هو المصنع الأول من نوعه فى السويد لهذه المنتجات واصناعة المواد الكيميائية الصناعية والطبية والتى تطورت بعد ذلك الى صناعة كبيرة

رائدة ذات مصانع فى « بوهس » وكان نوبل يثق كثيرا بهذا المهندس السويدى ولذلك عينه فى وصيته من بين المنفذين لها .

كذلك كان مهندسان سويديان قد خلقا تاريخا صناعيا باختراعهما . وقد تلقى هذان المهندسان أول مساعدات مالية من نوبل . والمهندسان هما : « بيرجر جنجستروم » (١٨٧٢ — ١٩٤٨) وشقيقه « فردريك » (الذى ولد عام ١٨٧٥) وقد كتب نوبل عنهما قائلا : « انه لجميل أن يعمل الفريد مع أشخاص ذوى مقدرة هائلة وتواضع حقيقى كهذين المهندسين » .

وفى عام ١٨٩٠ استدعى « ج.ا. جوهانسن » وكان فى ذلك الحين عالما شابا يتوقع لهمستقبل طيب ، وأصبح بعد ذلك أستاذا فى معهدكارولين فى ستكهلم ، ووكل اليه تجربة تتعلق بتحويل الدم لمدة ستة شهور فى معمل سيفران « فى باريس ، وكانت هذه فكرة جديدة اهتم بها نوبلكثيرا ، وقال وهو يحث « جوهانسن » على هذه المهمة أنه يفكر فى اقامة معهد باسمه للابحاث الطبية التجريبية ، ذلك لأننا يمكن أن نحصل على نتائج غير متوقعة اذا أمكن تنفيذ هذه الأمور » . وقد حفزه العمل والتحادث مع جوهانسن لأن يقدم خمسين الف كرون (وهى وحدة العملة السويدية) من الاموال التى تركتها له أمه ، لمعهد كارولين لانشاء مؤسسة كارولين أندريت نوبل للأبحاث الطبية التجريبية فى كل فروعها ولنشر هذه الأبحاث واستخدامها ، وقد أخذت هذه الأفكار فى الاعتبار حينما كان يوضع دستور مؤسسة نوبل وقوانينها الفرعية وحينما كان يؤسس معهد نوبل للطب .

وكان يمكن أن يكون شيئا غريبا لو أن أفكار نوبل الكثيرة الجوانب لم تهتم بالطيران . ففى عام ١٨٩٦ ساعد نوبل فى تمويل مشروع العالم السويدى « ا. اندريه » للوصول الى القطب الشمالى فى « منطاد » يمكن قيادته . والسبب الذى دفع نوبل لأن يسهم بهذا الشكل الكبير فى هذا العمل يستحق أن نذكره .. فقد كتب يقول : « اذا وصل أندريه الى هدفه ، أو وصل الى نصف المسافة فقط .. فان هذا العمل العظيم نفسه سيكون شيئا يثير الخيال ، وسوف يؤدى الى أفكار جديدة واصلاحات جديدة ، وفى هذا أيضا أريد أن أخدم قضية السلام ، ذلك لأن كل اكتشاف جديد يترك وراءه آثارا فى العقل الانسانى تجعل من الممكن أن نقدم للاجيال القادمة مزيدا من العقول التى سوف تستطيع أن تثير الأفكار الجديدة للحضارة » .

ولكن هذا لم يكن كل شيء .. فكل عمل من أعمال نوبل كان يسبق عصره ، ومن مراسلاته فى بداية العقد الأخير من القرن الماضى يبدو انه كان مهتما بالمسح وعمل الخرائط عن طريق التصوير الجوى . غير انه لم يكن هناك طائرات تملك وسائل لتحقيق هذه المهمة وقتئذ ، ولذلك اقترح نوبل استخدام المناطيد أو الطوربيدات الجوية لهـذا الغرض .. ويمكننا أن نقرأ تنبؤا بما تقوم به الآلات فى الفضاء ، وذلك حينما نقرأ خطابا بعث به الى « شولمان » قبل موته بأربعة شهور حيث يقول : « اننى سوف أرسل منطاداً صغيرا مع باراشوت وكاميرا وساعة صغيرة . وعند ارتفاع ملائم سوف ينفصل المنطاد أوتوماتيكيا عن الباراشوت الذى سوف يهبط آنذاك بالصورة فى الكاميرا .

كذلك تنبأ نوبل بأن الحركة الجوية فى المستقبل لن تتطور عن طريق المناطيد والسفن الجوية ، ولكن عن طريق طائرات سريعة تدفعها المحركات. وفى عام ١٨٩٢ ــ قبل أن يقوم اخوان رايت بأول محاولة للطيران فى « كيتى هوك » بعشر سنوات ــ كتب يقول : « الحق ان الطيران يثيرنى ولكن لا يجب أن نفكر فى حل هذه المشكلة عن طريق المنطاد ، فحينما يتمتع الطائر بسرعة فائقة فانه يستطيع أن يتغلب على الضغط بحركة خفيفة من جناحيه .. ان المسألة ليست مسألة سحر . ان ما يستطيع أن يقوم به الطائر يستطيعه الانسان ، انه لابد من الواح طافية تنـدفع للامام بسرعة هائلة » . وكتب مرة أخرى يقول : « بما أن الكهرباء تدور حول الأرض فى ربع الثانية فقد احتقرت الأبعاد التافهة لعالمنا . واهتمت كثيرا بجسم صغير جدا هو الذرة . أما شكلها وحركاتها ومصيرها ، كذاتيـة وكخلية تسهم فى حياة العالم ، فانها تحتل تفكيرى أكثر مما يجب » .

ويقول « شولمان » مساعد نوبل وصديقه بعد أن يعدد الجـوانب الكثيرة لنشاط نوبل : « وعلاوة على ذلك فان التطور التكنيكى يقوم على كل النشاط والافكار التى يقول بها المخترعون المختلفون بالنسبة لحل المشكلات ــ بغض النظر عما اذا كان هذا العمل فى كل حالة خاصة سوف يثمر بطريقة مباشرة أم لا . ولهذا السبب فان اهتماما كثيراً قد أثير فى الأوقات الأخيرة بتـاريخ التكنولوجيا والمخترعات ، ولا شك أن هـذا التاريخ ــ مثل كل تاريخ ــ يعطى مجالا أوسع لسير التقدم والتطور ، ومن ثم تكون لدينا الدلائل الهامة عن الحاضر والمستقبل » .

وقد كتب نوبل نفسه يقول : « اذا كان لدى ألف فكرة فى العام ، وتبين لى أن واحدة منها فقط هى المثمرة .. فاننى أكون مرتاحا جدا » .

الفصل الحادى والعشرون

العودة إلى السويد وشراء شركة بوفورز والنهاية فى سان ريمو

انقضى اليوم الحادى والعشرون من اكتوبر عام ١٨٩٣ ــ وهو العيد الستون لميلاد ألفريد نوبل ــ دون أية تحيــات رســمية .. ومذكراته وصحيفة معمله تذكر أنه فى ذلك اليوم ــ وكان يوما مليئا بالعمل مثل سائر الأيام الأخرى ــ انكب على تجارب « لاطلاق الأسلحة فى صمت وبلا صوت » وازالة التشويش المزعج من « الفونوغراف » ، وانه كان يفكر فى شراء مصانع « بوفورز » السويدية لأعمال الحديد .

ومما هو جدير بالذكر أن هذا الرجل الذى قام بهذه الأعمال الكبيرة لم يكن يريد أية جلبة أو ضوضاء من حوله . كذلك يجدر بنا أن نقول أن أفكاره كانت تتحول بوضوح الى وطنه الأم .. حيث يمكن أن تقدم له مصانع « بوفورز » ما كان يسعى اليه طويلا .. مكانا أطيب وأكثر دواما واستقرارا لتجربة أعماله .

وليس هناك من شك فى أن هذا الرجل العالمى الذى قال ان بيته حيث يعمل ، والذى كان يملك ثلاثة بيوت مريحة فى سان ريمو و « أردير » وباريس ، كان وحيدا برغم ثروته ، كمــا كان يشــعر بأنه لاينتمى الى مكان ما . لقد كانت له معارف كثيرة واتصالات لاحصر لها بالنســبة للعمل ، كما كان له معجبوه فى الدوائر العلمية والتجارية ، ولكنه كان يتمتع بقليل من الصداقات الودودة المتينة . وكانت أمه التى يحبها ، وشقيقه لودفيج ، قد ماتا منذ بضع سنوات وكانا ألصق اثنين به ، كذلك مات « بول بارب » المنظم النشيط الكبير ، وكان مع بعض رفاقه الفرنسيين الكبار قد خانوا ثقة نوبل قبل ذلك بفترة ليست بالطويلة ، أما المرأة التى حمل لها كل حبه فقد ضاعت من مجال آماله وانقطعت العلاقة بينهما فى ظروف مؤلمة .

وعلى الرغم من أن نوبل صرح فى مناسبات كثيرة بأن « الانسان لا يصنع صداقات جديدة فى آخر حياته » .. الا أنه عرف الكثيرين فى سان ريمو وفى باريس ظل يقوم بزيارتهم فترات طويلة ، وقد كان يستمتع

بهذه الصلات الجديدة ــ وبالاضافة الى « راجتار شولمان » وهو أهم أصدقائه فى الفترة الأخيرة .. كان هناك الكثيرون الذين كان يستمتع بصحبتهم ، وكان هؤلاء جميعا من الصفوة المثقفة فى البلاد . وفى السنوات الأخيرة وجد « ناثان سودربلوم » صديقا طيبا عزيزا .

وطيلة عشر سنوات .. كان نوبل يتردد كثيرا على صالون « مدام جوليت آدام » المشهورة ، حيث كان يجتمع الكثيرون ممن يهتمون بالآداب والعلوم والسياسة ، لمناقشة المشاكل التى تؤرق العصر .

ومع ذلك .. فان نوبل فى السنوات الأولى من العقد العاشر للقرن الماضى ــ وكان حينذاك فى سان ريمو ــ كان يفكر فى الاتصال بالسويد وبالدوائر السويدية والعودة الى وطنه .. حيث لم يكن له مقر ثابت منذ أن رحل فى سن التاسعة عام ١٨٤٢ ، بغض النظر عن الفترة فيما بين عام ١٨٦٣ وعاام ١٨٦٤ــ حينما كان يقوم بتجاربه فى هيلينبورج . وقد كان مقره الجديد فى سان ريمو ــ على الرغم من أنه يفيد صحته ــ ذا عيوب كثيرة عاقته عن عمله .. فكل الأجهزة والكيميائيات ــ حتى أقل الضروريات ــ كانت لا تأتى الا من المانيا ، كذلك كان من العسير الحصول على عمال من البلاد القريبة ، ثم ان الناس الذين كانوا يعيشون فى الفيللات المجاورة كانوا يشكون من القلق الذى تسببه لهم تجربة هذه الأعمال النارية التى يقوم بها .

وبدأ نوبل يفكر فى تدبير مكان آخر لعمله ــ ويمكن فى هذه اللحظة أن نقول ان رجلا له كثير من المصانع فى جميع انحاء العالم ، أمامه الاماكن الكثيرة التى يمكن أن يختار من بينهما . ولكن الامر لم يكن بهذه البساطة فلقد كان لا يرتاح الى انجلترا بسبب قضية « الكورديت » ، كذلك لم يكن يرغب فى العودة الى المانيا ــ وكان يحكمها وليام الثانى ــ وذلك بسبب القلق السياسى الداخلى والاتجاه العسكرى العنيد .. هذا على الرغم من أن هناك امكانيات كثيرة ترضى حاجته وتشبع مزاجه العلمى . لقد شعر فى تلك الفترة ــ على الرغم من غيابه الطويل عن بلاده ــ انهلايزال مواطنا سويديا . وان طريقته فى العودة الى بلاده تكشف لنا عن شخصيته . ان أى فرد آخر فى مكانه .. كان لابد أن يشترى منزلا كبيرا أو مقاطعة حيث يتمتع بفترة طيبة جدا ، ولكن نوبل لم يكن كذلك ، لقد اشترى مصنعا جديدا وهو مجال جديد كبير للعمل . وكان هذا المصنع « بوفورز » وأصبح نوبل مالكا ذا شهرة عريقة فى السويد ، وكان غرضه أن يواصل تطوير الأفران الحرارية وأعمال الصلب .

ولكن الجو الشتوى فى الشمال ، كان له تأثيره السيىء على صاحب المصنع ، وعلى الرغم من أن طاقاته قد حفزتها الأعمال الجديدة وامكانيات التطور .. فان صحته لم تكن على ما يرام ، لذلك كان يقوم فقط بزيارة المجموعة الجديدة من المصانع ويوجهها بنشاط كبير فى شهور الصيف والخريف من السنوات القليلة التى أعقبت ذلك .. وكانت آخر سنوات له.

وقد اظهرت التجارب المختلفة الكثيرة التى أجريت فيما بين عام ١٨٩٤ وعام ١٨٩٦ والتى كانت تقوم على أساس افكار نوبل أنه كان يسبق عصره بخمسين عاما .. فقد أجريت التجارب على أنواع جديدة من المتفجرات وطلاء البنادق والأسلحة والفتيل والشحنات الدافعة للقذائف والصواريخ ، وسبائك المعادن الخفيفة وانتاج البوتاسيوم والصوديوم بالتحليل الكهربى . والحرير الصناعى والمطاط التركيبى ، والتقاط الخرائط من الجو .. الخ . وقد أصبح الكثير من هذه الأنواع الجديدة التى أوردنا تفصيلا عنها .. اساس تطورات هامة فى مجالات كثيرة بعد موت نوبل .

وكانت مصانع « بوفورز » سويدية ، وكانت صناعة مواد الحرب هدفها الرئيسى ، وأصبح الفريد نوبل فى تلك الفترة سويديا تماما ، وانصبت أفكاره كلها على الدفاع . وقد كتب يقول : « اذا كان هناك فرع من فروع الصناعة يجب أن يستقل استقلالا تاما عن امدادات الخارج .. فهو الدفاع وبما أن هناك مصانع ذخيرة فى السويد .. فمن المؤسف الا نجعلها تتقدم وتخطو ، اننا نتقبل الأوامر حتى نعيش ، ولكن هدفنا هو ان نخلق والا نسير على خطوات أجداد أجدادنا » .

وفى كل عمل أداره نوبل على مسئوليته .. كان يطلب العمال المهرة والمواد الخام والمنتجات ، وكان يفعل الشىء نفسه فى «بوفورز» . ويكفى أن نقول ان توليه مصير مصانع « بوفورز » فى ذلك الوقت كان نقطة تحول فى تطور المصنع كله . فقد توسع فى المبانى وكذلك أدخل الأجهزة والآلات والأساليب الحديثة ، وزاد الانتاج بسبب هذه العمليات الجديدة، وفى الوقت نفسه كان الموقف المالى للشركة سليما ، وذلك بسبب استثمارات رؤوس أموال جديدة ، وقدم نوبل مليونين ونصف مليون كرون » فى شكل أسهم . ويمكن أن نقول ان التطور الضخم الذى أحرزته هذه المصانع .. قد أرسى قواعده نوبل نفسه فى العهد الذى تولى فيه شئون هذه المصانع .. لقد كان دقيقا فى مطالبه .. واضحا فى غرضه ، ودائما ما كان يبدو فى عجلة من أمره .

ولكن هناك حدودا لكل شيء . فطيلة عشرات السنوات كانت عقليته التى لا تكلوطاقته التى لا تهدأ ، تدهشان الذين حوله ، وبدا أن عزيمته وتحمله لا يمكن أن يتغلبا على ضعف الجسد الواهى الذى استخدمه صاحبه فترات طويلة بلا رحمة أو شفقة .

وقضى نوبل آخر صيف له وخريف ـ ١٨٩٦ ـ مع « شولمان » يوجه الاعمال الهائلة فى مصانع « بوفورز » و « بجوركبورن » وفى شهر سبتمبر مات أخوه « روبرت » وشعر بالتعب فذهب الى الجنوب وفحصه اخصائيون فى باريس . وقيل له انه يعانى من الذبحة الصدرية وان عليه أن يرتاح .

وكانت وصيته قد كتبت عام ١٨٩٥ فى الفترات الأولى من مرضه وأودعها فى بنك فى ستكهلم ، المدينة التى ولد فيها ، ووجد من الضرورى أن يناقش الوصية مع واحد أو اثنين من خاصة أصدقائه ، ومن بينهما ايمانويل ، ابن أخيه لودفيج ـ وكان فى ذلك الحين مدير شركة النفط فى سانت بطرسبرج ، وكان يزور باريس فى ذلك الوقت .

وأثار كلام الأطباء أعمالا أخرى غير عادية فى مثل ذلك الوقت والتى لاتشير الى أن نوبل كانت تؤرقه أفكار موت قريب ، فقد أشرف شخصيا على تفاصيل فيللا عائلة « شولمان » التى كانت تبنى فى ذلك الوقت فى حديقة « سان ريمو » وباع جيادا عربية فى سان ريمو ، واشترى فى باريس ثلاثة جياد جديدة .

وانهمك فى أعمال أدبية ، اذ حاول أن يكمل احدى مسرحياته التراجيدية ومسرحية أخرى له تسخر من قضية «الكورديت» التى كانت تؤلمه ، واذا كان هناك من تعليق على هذه الأعمال فهو أنها كانت تنقل أفكار هذا المخترع الفلسفية المريرة المليئة بالسخرية عن الحياة والناس ، بالاضافة الى ذلك كتب نوبل عشرات الخطابات من بينها خطاب الى « شولمان » يقول فيه : « من سخرية القدر أتعاطى النتروجليسرين داخليا ـ انهم يسمونه (تريبترين) حتى لا يزعجوا الصيادلة والناس » .

وكان آخر خطاب كتبه الى شولمان نفسه بتاريخ سبعة من ديسمبر عام ١٨٩٦ فى سان ريمو حيث كان قد وصل قبل ذلك بأسبوعين . وكان الخطاب يتعلق بمسحوق متفجر جديد من السليلوز ، وينتهى بقوله : « من سوء الحظ أن صحتى ضعفت مرة أخرى حتى أننى كتبت هذا

الخطاب بصعوبة كبيرة . ولكن حينما أستطيع الكتابة فسوف أعود الى هذه الموضوعات التى تهمنا .

صديقك المخلص

« نوبل »

ولكن نوبل لم يعد الى الموضوعات التى كانت تشغل باله وتثير أفكار هذا الرجل النشيط الذكى ، وظل الخطاب موضوعا على مكتبه لم يبعث به ـ فبعد ساعات قليلة من كتابة هذا الخطاب فاجأه نزيف مخى أنهى حياة حافلة كبيرة فى الساعة الثانية من صباح العاشر من ديسمبر عام ١٨٩٦ بعد نضال كبير عظيم .

وقد كتب شولمان يقول : « كانت الساعات الأخيرة من حياته مأساة كبيرة ، لقد تحقق ما كان يتوجس خيفة منه ، والذى أعرب عنه فى خطاباته الكثيرة . لقد اضطر أن ينهى أيامه « محاطا بالخدم فحسب دون أن يكون هناك صديق عزيز تغمض يده الرقيقة عينى ويهمس فى أذنى بكلمة طيبة صادقة حنون » وقد عانى القلق الكثير حتى أنه منع من النهوض ، كذلك فقد القدرة على الكلام والتفكير الا بلغة طفولته ، ولكن الخدم سمعوا كلمة « تلغراف » وأبلغ الخبر لأبناء اخوته ايمانويل وهالمر ، وكذلك أبلغ شولمان ولم يصل أحدهم فى الوقت المناسب ، وهكذا مضى الرجل وحده كما عاش وحده .

وهكذا ترك العالم هذا الرجل دون أن يحس به أحد . ولكن لأنه ترك الملايين دون ورثة مباشرين ، ولأنه كتب وصيته بطريقة غير عادية .. بدأ نضال جديد على الفور .. نضال من أجل هذه الملايين .



الفصل الثانى والعشرون

الـوَصـيّـة ..

ان قصة وصية نوبل وتنفيذها تحتاج الى مجلدات ، ولكن يمكن هنا أن نرسم الخطوط العريضة لها . ففى خلال السنوات العشر الأخيرة من حياة نوبل كتب ثلاث وصايا تختلف كل منها عن الأخرى . وقد الغت الوصية الأخيرة فى عام ١٨٨٥ الوصيتين الأولين (١٨٨٩ و ١٨٩٣) .

وقد كان للتحسن البطىء فى فتور عزيمة المخترع الكبير ، والذى اتضح بعد عام ١٨٩٤ ـ أسباب كثيرة .. منها ارتياحه اذا استطاع فى النهاية أن يقطع علاقته مع « صوفى . هـ » ويؤمن مستقبلها ، واقتناعه بسان ريمو ، وشراء مصانع « بوفورز » فى السويد وترتيباته هناك ، وكذلك ارتياحه الى مساعده الجديد « راجنار شولمان » ولقد كان شولمان معه كل يوم ، ولذلك فان ملاحظاته تعتبر أفضل تسجيل للوقت الذى وضع فيه نوبل الوصية الأخيرة وقد كتب يقول :

« ان الاتصالات الجديدة التى أحدثها نوبل مع مواطنيه فى السنوات الثلاث الأخيرة من حياته ، وقراره الخاص بممتلكاته جعلت حياته تتوازى ، كما جعلته يشعر بالراحة على الرغم من النوبات القلبية الكثيرة التى كانت تداهمه ، لقد وجد هدفا جديدا فى الحياة ، واستطاع ان يحقق حلمه بأن يجد بيتا بعيدا عن ضوضاء المدن . كذلك وجد مجموعة جديدة من الأصدقاء كان يتعاطف معهم كثيرا ، كما خفت حدة شعوره بالعزلة ، ثم اننى أثناء اتصالاتى الشخصية به فى السنوات الأخيرة لم الاحظ أبدا أية نوبات عصبية تعتريه ـ وكانت دائما ما تعتريه فى سان ريمو .. وقد شاهدتها بنفسى كثيرا » .

وقد أعلنت الوصية التى كتبت باللغة السويدية ووضعت فى بنك فى ستكهولم فى شهر يناير عام ١٨٩٧ ، وهى تقول : « أنا الموقع ادناه ، ألفريد نوبل ، أعلن بعد تفكير ناضج مكتمل وصيتى الأخيرة فيما يتعلق بالممتلكات التى يمكن أن أتركها بعد موتى : ان كل ما يتبقى لى سوف يعالج على النحو التالى ، أما رأس المال فسوف يستمر على يد الذين

أوصيتهم بالتنفيذ فى شركات التأمين وسوف تشكل صندوقا توزع أرباحه سنويا على شكل جوائز للذين قدموا - فى العام الأسبق - خدمة كبيرة للانسانية ، وهذه الأرباح تقسم الى خمسة أجزاء متساوية تقسم على النحو التالى : أحدها للشخص الذى يكون قد خرج باختراع هام او اكتشاف فى ميدان الطبيعيات ، وجزء للشخص الذى يخرج بأهم اكتشاف فى الكيمياء أو تطور فى هذا الميدان ، والثالث لمن يكون قد قام باكتشاف هام فى مجال الفسيولوجيا أو الطب ، والرابع للشخص الذى ينتج فى ميدان الأدب ابرز عمل ذا اتجاه مثالى ، والجزء الخامس لمن يكون قد قدم أكبر الأعمال والخدمات لتحقيق الصداقة والود بين الدول من أجل تخفيض الجيوش أو ازالتها ومن أجل العمل على السلام ونصرته . وجوائز الطبيعيات والكيمياء تقدمها الأكاديمية السويدية للعلوم ، وجوائز الفسيولوجيا أو الطب يقدمها معهد كارولين فى ستكهولم ، وجوائز الأدب تقدمها أكاديمية ستكهولم .. أما جوائز السلام وأبطاله .. فتقدمها لجنة من خمسة ينتخبهم البرلمان النرويجى .

وانى لآمل الا يوضع أى اعتبار - عند تقديم الجوائز - لجنسية المرشحين لها ، ولكن الذى يستحقها هو الذى يتسلمها ، سواء أكان من اسكنديناوه أم لا » .

وقوبلت الوصية بالنقد اللاذع الذى بلغ حد العنف ، وكان هذا النقد موجها لأفكارها والمبادىء التى وضعتها والعيوب التى اعتبرت انها تجعل الوصية غير قانونية ، وناشدت الصحف استئناف هذه الوصية والوصول الى تسوية تعطى الحق للورثة والمنشآت التى ذكرت فى الوصية فى أن تحصل على ممتلكات نوبل ، وقيل انه ليس عملا وطنيا أن يغفل سويدى مصالح بلاده من أجل النشاط الدولى ، وانه من المستحيل على مقدمى الجوائز من السويد أن يقوموا بعملهم بارتياح ورضا ، وسوف تعرضهم لمحاولات الافساد . كذلك فان تعيين النرويجى لمنح جائزة السلام سوف يسبب خسارة كبيرة لمصالح السويد وعلاقاتها مع دولة أخرى فى الاتحاد . هى النرويج . التى كانت علاقتها معها متوترة فى ذلك الحين .

وكانت الثروة التى جمعها نوبل - بالمستويات المعاصرة - كبيرة جدا .. بلغت ما يعادل مليونين من الجنيهات الاسترلينية « ٣٣ مليون (كرون) سويدى » ، وفيما يلى التوزيع الجغرافى لأرصدة نوبل حسب الدول التى توجد أو توضع فيها :

السويد	٥٧٩٦١٤٠ر٠٠
النرويج	٩٤٤٧٢ر٢٨
المانيا	٦١٥٢٢٥٠ر٩٥
النمسا	٢٨٨٧٥٤ر٢٠
فرنسا	٧٢٨٠٨١٧ر٢٣
سكتلندا	٣٩١٣٩٣٨ر٦٧
انجلترا	٣٩٠٤٢٣٥ر٣٢
ايطاليا	٦٣٠٤١٠ر١٠
روسيا	٥٢٣٢٧٧٣ر٤٥
المجموع بالكرون السويدى	**٣٣٢٩٣٧٩٢ر٢٠**

وساد القلق فترات طويلة . وبقى الكثير الذى يجب ان يسوى ، ومرت سنتان قبل أن يتم كل شيء . فقد صدر قرار الحكومة فى ٢٩ يونيه عام ١٩٠٠ بوضع دستور مؤسسة نوبل وقوانينها الفرعية مع الترتيبات الخاصة التى تتعلق بتوزيع الهيئات السويدية المختلفة للجوائز التى أقرها نوبل .

وقد كتب شولمان يقول : « وانتهى النزاع الطويل . ويمكن أن نعتبر النتيجة التى تم الوصول اليها مرضية ، وذلك على ضوء تجارب السنوات الماضية . ومهمة منح جوائز نوبل واجب ، ومؤسسة نوبل فى وحدتها رصيد كبير للبلاد ، لذلك فلا داعى للتكهنات التشاؤمية حول الأخطار والمتاعب التى ستنجم عن تنفيذ هذه المسئولية التى أولانا بها الفريد نوبل .. على العكس لقد ساعدت على معرفة الحضارة السويدية والنرويجية والاسكندنياوية واحترامها » .



الفصل الثالث والعشرون
دراسة قصيرة موجزة لشخصية الفريد نوبل رجل المتناقضات

ليس من اليسير أن نعطى وصفا صحيحا ـ ومختصرا فى الوقت ذاته ـ لشخصية الفريد نوبل المعقدة ، لكى نجد الفريد نوبل على حقيقته وراء كل الأفكار المنظمة ـ والتى كانت تخطىء كثيرا ـ والتى ظهرت مطبوعة لأكثر من ستين عاما .

ان هذه المهمة عسيرة جدا ، فليس على قيد الحياة الآن الا عدد قليل ممن كانوا يعرفونه حقا . كذلك كان ألفريد نوبل كتوما يحتفظ بأسراره لنفسه ولم يحتفظ بمفكرة شخصية .. ومن جهة أخرى فان ألفريد نوبل كتب فى حياته الكثير من مراسلاته عن مسائل كثيرة مختلفة ، ومن المحتمل أن يكون قليلون فحسب .. هم الذين تركوا وراءهم مثل هذه الوثائق الهامة المتنوعة ذات الطبيعة التى تنير أمامنا السبيل الى هـذه الشـخصية .. انها وثائق تضـم مـادة غزيرة ، وقد أحتفظ بها فى « أرشيف » مؤسسة نوبل ، وبعضها موجود عند بعض أقاربه .

والدراسة المطولة لهذه المـادة تثـير فى نفوسنا انطباعات تجعلنا كاننا أمام منجم من الذهب ، يضاف الى هذه الصورة العامة .. تلك المناقشات والمراسلات مع أصدقائه . بذلك فان المقتطفات التى نحصل عليها من الذين أرخوا لحياة ألفريد نوبل مثل البروفسور هنريك شوك ، وصديق نوبل الحميم رجنار شولمان تسد ما فى هـذه الدراسـة من ثغرات . واذا أضفنا بعد ذلك رأى الخبراء فى هذا الميدان أو ذاك ـ فاننا نستطيع ـ بأقل تقدير ـ أن نأمل فى الحصول على صورة موضوعيـــه صادقة للمخترع الانسان الذى فجر الديناميت ، وانه ليبدو أنه انسان متعدد المواهب .

ولو حاولنا أن نصفه بصفات الخير أو الشر ، أو حسب الأضواء والظلال ، فان هذه المهمة لن تكون عسيرة ، ذلك لأن الدارس الواعى لنوبل ليس فى حاجة لأن يمضى بعيدا بحثا عن عبارات ملائمة ، ولكن من بين الصفات التى اجتمعت لدينا حتى الآن نجد أن هناك بعض العقد

التى لابد ان تحل ، كما أن هناك بعض الأقــوال الخاطئة التى يجب أن تستبعد ، والألغاز الكثيرة التى يجب أن تحل أيضا قبـــل أن نستطيع القول بأن العقد يضم أحجارا ذات قيمـــة حقيقية ، وحينئذ يجب أن نقول بأن مختلف الخبراء ينظرون الى الأصالة بطرق متباينة .

وقد أشرنا فى مقدمة هذا الكتاب الى أن كل الدلائل تشير الى ان انفريد نوبل كان رجل متناقضات الى درجة كبيرة .

وعلى الرغم من انه كان ضعيف البنية ، معتل الصحة طيلة حياته فانه استطاع أن يقوم بأعمال عظيمة وحقق انتصارات كبيرة . ليس من السهل تصديقها . فمن الفقر والمتاعب فى حياته الأولى . استطاع ان يخلق ثروة اذ استغل ، بعزيمة لاتكل ، الأفكار التى تدفقت فى سيل متواصل من عقله ، وقد حيل بينه وبين التعليم الحقيقى ومع ذلك استطاع ان يحل بعقليته المتوقدة مشكلات علمية معقدة . وقد عاش معظم حياته فى المـدن الـكبرى ولكنه كان يحب العزلة والهدوء ، ومع انه كان مخترعا ورجل صناعة فى ميدان المتفجرات والأسلحة . الا أنه كره العنف والحرب وكان صديقا مخلصا حميما للسلام . ويجب أن نعرف ان هذا لم يحدث فى الفترات الأخيرة عام ١٨٧٦ حينما قابل بيرثانون سوتمر ، أو عام ١٨٩٥ حينما قرر أن ينشىء جائزة السلام ، بل كان ذلك منذ حداثة سنه ، فلقد أعرب عن هذه المشاعر فى حديثه وكتاباته طيلة حياته .

وبسبب القلق الذى كان يعتريه فى وضوح تام ــ والذى ربما كان سببه ضعف صحته ــ وبسبب نشاطه المتعدد الجوانب . أصبح عالميا ، اذ اعتبر العالم كله منذ أيامه الاولى حقلا لتجارب أعماله .. ولكنه كان يحترم بلده وظل وفيا لها حتى النهاية ، ومع أنه كان من أكبر الراسماليين فى عصره . الا أنه قال انه يحمل آراء اشتراكية الى حد ما . وكان ذا طبيعة مسالمة ، ومع ذلك فان قوة الأحداث قد جعلت منه المصدر البرىء للمنازعات والخلافات العنيفة التى تورط فيها على غير ارادة منه . وقد أظهر ألفريد نوبل صفات كثيرة من صفات الشـــاعر الخيالى الحالم ، ولكنه فى الوقت ذاته كان يتمتع بوعى وادراك رجل الأعمال ، فقد كان يرى الحقيقة ويعرفها ، كما كان بعيد النظر يقدر الأمور تقديرا تاما ، ثم انه كان قليل الكلام ، منعزلا فى حياته اليومية ، متحفظا فى سلوكه تجاه الأجانب ، ومع ذلك فقد اثر تأثيرا كبيرا فى عصره كما وجد الهامه ونتائج تفكيره وأعماله صدى فى كل أنحاء العالم . وكان دقيق الملاحظة وغالبا ما شعر بخيبة الأمل والشكوك والريبة حتى وهو لا يزال شابا

غض الاهاب ، وذلك كله بسبب ما كان يراه . لقد كان العالم يحتوى على الكثير الذى لم يستطع نوبل أن يتقبله . وقد قال فى أحد المرات : « ان الحقيقة قضت بشكل قاس على مبادىء قلبى الشاب » . ولا شك فى أن هذه النظرة كانت لها جذورها فى سنوات طفولته المبكرة ، ذلك لأن صحته المعتلة ــ حسب كلماته التى أوردناها فى القصيدة التى يتحدث فيها عن نفسه ــ قد جعلته غريبا فى عالمه الصغير ، كما جعلت منه شخصا « يشاهد رفاقه ، وهم يلعبون فى سعادة ، بالكثير من الأسى والتفكير العميق » . ثم كان ما كان من تجاربه المؤلمة مع أصدقائه والتى عمقت من هذا الاتجاه فى نفسه .. وأصبح الطفل النامى مفكرا خجولا يعيش فى معمله يهتم بأشياء كثيرة ولكن لا يثير شىء دهشته . وكان فى نواح كثيرة متشائما كثير الشك لا يستطيع أن يحقق لنفسه السعادة وهدوء البال ، ولكنه فى الوقت نفسه كان صديقا للانسانية يعترف بالضعف الانسانى ، كما انه كان انسانا يمنح بكرم وهو مؤمن بمستقبل الانسانية وتحسنها . ولكنه فوق هذا كله كان بحاثة ومثاليا ورائدا . ومن الممكن أن نربط عمله وكتاباته بما قاله عنه بغير قصد عدد من الذين عاصروه من الرجال والنساء الذين كانوا يعرفونه أو كانوا على صلة ببعض نشاطه . وقد جاء ما قالوه عنه فى أحاديثهم وكتاباتهم . مما يعطينا صورة متماسكة لمظهره وشخصيته تقوم على افضل اساس ممكن .

ولم يرث ألفريد نوبل شيئا من سمات والده أو مظهره الخارجى القوى أو سلوكه الذى كان يتسم بثقته فى نفسه . لقد كانت ملامحه فى شبابه تشابه ملامح وجه أمه النحيف ، وقد كان نحيفا أسمر اللون مثلما كانت أمه . والصور التى بين أيدينا ــ والتى أخذت له فيما بين سن الخامسة والعشرين وبين سن الثلاثين .. أى قبل الأحداث الهامة فى حياته وقبل أن تظهر له لحية تغطى جزءا من مظهره ــ ترينا شابا ذا طلعة حلوة تبدو فى عينيه العميقتين نظرة ذكية ثابتة ولكنها حزينة .

ولكن اذا قابلنا الفريد نوبل فى سن الخامسة والخمسين حينما كان متربعا فوق قمة شهرته ونشاطه ، وحينما كان قد اقام طويلا فى باريس .. فاننا نراه رجلا ذا خطوات ثابتة قصيرة تدل على انسان يمشى فى عجلة لكى يحقق هدفا معينا . وكان رجلا مرح الطلعة ولكنه كان جادا متوسط الارتفاع ، كما انه كان ينحنى قليلا الى الأمام . وكانت جبهته عريضة وكان ذا لحية سوداء أنيقة تحد الاطار الخارجى لوجه

شاحب فيه من الشخصية أكثر مما فيه من النظرات الطيبة . وكان هناك تعبير قلق يغلف ملامحه ، ولكن حدة هذه الملامح كانت تخفيها عينان زرقاوان تحت حواجب كثيفة .. واذا عانى من قصر النظر فانه يضع منظارا على انفه المستعلى ، وكانت تربيته حسنة ، ولم يكن يلبس ملابس تصنع على أحدث طراز ، بل كان رداؤه بسيطا عمليا وجيد النوع مثل كل شيء يحيط به . وليس هناك من شيء يشير الى أنه كان مشهورا او رجلا غنيا جدا ، وكان كثيرون من الأجانب ينظرون اليه لأول وهلة على انه شخص غبى لا أهمية له .

وكان ينجنب الصخب ولكنه لم يكن كذلك بين أصدقائه .. فقد كان يبدو مطمئنا هادئا ينصت فى هدوء ويتودد الى الجميع ولا يقيم اية فوارق اجتماعية بينه وبينهم . وكان الناس يألفونه بسبب سلوكه ، ولكنهم كانوا يلاحظون انه مجموعة من الأعصاب المتوترة التى يجب أن تكبح بتهذيب النفس .

وقد كان صوته الأجش قليلا يحمل فى بعض الأحيان لهجة حزينة وفى بعضها الآخر لهجة ساخرة ، وكانت له تعليقات رائعة مهما يكن موضوع الحديث ، وكان ينتقل بسهولة ويسر من لغة الى أخرى من اللغات الخمس التى كان يتحدث بها بطلاقة . وحينما كان يثير أى اعتراض ــ وغالبا ما كان يحدث ذلك ــ كان يدعمه بحجج تظهر أو تدل على انه قد قرأ كثيرا وعلى انه مطلع اطلاعا تاما . ولم يكن يهمه أن يصدم الناس ويثيرهم . وكان فى عينيه بريق يستخدمه أحيانا فى نظرات غاضبة حتى يستمتع بأثر هذه النظرات ووقعها على الناس .

وكان ألفريد نوبل يرحب بمن يريد زيارته للمتعة والاستنارة أو للكتابة عنه . أما الشخص المغرور الذى يقدم عليه فى خيلاء وزهو فانه كان يلقنه درسا قاسيا قبل أن يطرده فى أدب وصرامة . وفى خلال الفترة التى عاشها فى باريس ــ من سن الاربعين حتى سن الثامنة والخمسين ــ كان على ثراء كبير وكان فى استطاعته أن يفعل ما يشاء وما يريد ، ولكنه لم يكن يشترك فى الحياة الصاخبة فى العاصمة . وقد وصف المدينة فى شبابه بقوله : « انها محيط من المتع الحسية تكسرت فيه عواصف الحمق والعاطفة واجتاحت أمامها الكثير من الحطام اكثر مما استطاع أن يفعل البحر المالح الثائر .. انها صورة يرتد عنها الانسان فى كثير من الضيق والاشمئزاز » . ومع مرور السنوات أعاد النظر فى رأيه فى باريس والذى قال به فى شبابه ، ولكنه طيلة حياته كلها كان

يحتفظ بكراهيته ومقته الشديد لمثل هذه البيئات التى تضر بالمجتمع والتى يحركها الاثم وعدم المسئولية والحب المتلهف للمتعة .. مهما يكن المجتمع الذى تظهر فيه مثل هذه البيئات . ثم انه كان يمقت الوضاعة والصغار فى الطبيعة الانسانية والمعاملات الخسيسة فى السياسة ، والغش فى الأعمال ، والحيل الوضيعة التى تستخدم لتسلية الجماهير .

وكان ألفريد نوبل رجلا معتدلا فى كل شىء . وبين حين وحين كان يجلس الى جماعة تضم أصدقاء من العلماء والمثقفين ، ومع ذلك كان ينأى بنفسه عن المجتمعات كما كان يكره من أعماقه الاعمال الاجتماعية .

وفى بيته الأنيق فى « أفينيو مالاكوف » كان يسعى اليه الكثيرون من الناس فى موضوعات كثيرة ، وكانوا يمتعونه فى بعض الأحيان . وغالبا ما كان يضيق بهذه الزيارات اذا كانت غير هامة أو مقلقة . وكان يقيم فى هذا البيت الأنيق حفلات غداء شهية لأقاربه من السويد وروسيا ، ولاصدقائه الحميمين ولمديرى الشركات ومعارفه من رجال الأعمال من جنسيات مختلفة من كل أركان أوربا . وقد شهد كثيرون من هؤلاء ـ ومن بينهم هنرى دى موزنيتال من لندن ، وجورج مالك روبيرس ، و س.و. لندولم ، وهما مديرا مصانع « أردير » وجوستاف أف شليجر من هامبورج ـ بجو الثقافة والعلم والود الذى كان يسود هذا البيت على الرغم من عدم وجود زوجة فيه . وقد قال أحدهم ان المضيف نفسه كان شحيحا جدا .. ولكنه كان يجد متعة فى الدعوات واعداد المائدة . وكانت حياته اليومية دقيقة جدا ولكن ضيوفه لم يكونوا يفتقدون شيئا ، والتعليمات المكتوبة وقوائم البيت ودفاتر البيت لا تترك شكا فى ذلك . وكان ألفريد نوبل يسير على غذاء معين طيلة حياته . ولم يكن يدخن ولم يشرب الخمر أو المشروبات الروحية . كما انه لم يلعب الورق أو أية لعب أخرى . كذلك لم يعزف على أية آلة موسيقية ولم يرقص ايضا . فلم تكن له اذن موسيقية وكذلك الحال بالنسبة لأشقائه .. ومع ذلك كان يعى كل شىء ويعلم الكثير من الأشياء ولكنه كان حصينا أريبا بين الرجال ، مؤدبا متلطفا مع النساء اللائى كن دائما يتقبلن منه التحيات أو الورود حينما يكن فى صحبته .

ومهما يكن مقره من العالم فى أى وقت من الأوقات كان أقاربه وأطفالهم فى ستكهولم على يقين دائما بأنه سوف يتذكرهم بهدايا جميلة فى أعياد الميلاد وفى « الكريسمس » وفى حفلات الزواج ، مقرونة بخطابات تكشف عن اشتياقه لبلده والحنين الى وطنه وأهله ،

وخصوصا فى أعياد « الكريسمس » حينما كانت أمه على قيد الحياة .

وكان ظريفا فى حديثه حينما يكون فى حالة مزاجية طيبة وحينما يكون قد ترك عزلته لفترة ما . وقد وصفه أحد معاصريه فى باريس فى ثمانيات القرن الماضى بقوله : « كان يحكى القصص ويتفلسف بطريقة ممتعة تأسر سامعيه وتدخل على نفوسهم السرور والمتعة » .

ولكن كان هناك نوبل آخر .. نوبل الذى صدمته النكبات وحطمته الصحة العليلة والذى وصف نفسه بأنه « أداة لا قيمة لها من التفكير . وحيد فى العالم يحمل أفكار أكثر مما يستطيع أى انسان أن يتصور » .

وغالبا ما كانت تعتريه بعض آلام القلب وصعوبة التنفس وصداع قاس ، وكان يبدو فى تلك الفترات كأنه قد تغير كثيرا ، فقد كان يبدو قلقا وساخرا ومترددا فى قسوة وعنف ، وفى مثل تلك الفترة — الى جانب شعوره بأنه لا بيت له — كان يختفى ليضعه أيام أو أسابيع دون أن يعرف مكانه أحد ، وحينما تمر الأزمة ، أى بعد اختفائه الذى يكون قد هرب فيه الى ادرير أو هامبورج أو فيينا ومعه أقل قدر ممكن من المتاع .. يظهر فجأة فى معمله بنظارته السوداء مطأطئا راسه مليئا بالحزن وبالكراهية لنفسه وللحياة . ولم تكن لديه القدرة على أن يستريح أو يهدأ . وقبل أن تمضى فترة طويلة يتحدث الى « فهر نباخ » مساعده الصبور عن أغرب المشروعات التى كان لابد أن تنفذ على الفور ، وذلك من غير اعتبار لأوقات الطعام أو النوم فى الليل ، وحينما تعتريه هذه الحالة .. كان يقضى على الألم والقلق بالعمل المتواصل وبالتجارب وبكتابة الخطابات وببعض الأعمال الأدبية البسيطة التى كانت تكتب فى بعض الاحيان فى صحف المعمل ، وكان الاتجاه الأدبى يحدث فى الفترات التى يعانى فيها من القلق أكثر مما يعانى من الألم ، وكانت هذه حالته دائما .

ان صورة ألفريد نوبل .. الانسان الوحيد البائس ، هى التى تبرز غالبا أمام أعيننا بشكل واضح . فعلى الرغم من العمل المتواصل والاستقلال التام فى المسائل الاقتصادية والاجتماعية ظل طيلة حياته وحيدا .. وربما كان سبب ذلك الى حد ما .. نظرة سوداوية عميقة فى نفسه ، وكذلك صراعه الطويل فى الحياة وافتقاده لبيت حقيقى وعائلة يكون هو حاميها .

ويمكن أن نجد أمثلة كثيرة مؤلمة ، ولكن خطابا واحدا الى زوجة أخيه « لودفيج ادلا نوبل » يلقى أسطع الضوء على ذلك ، فقد كتب

يقول لها : « ما أبشع الفرق بيني وبينك ، فأنت محوطة بالحب والحنان ، بالفرح والجلبة .. والحياة النابضة ، تعتنين بمن حولك ويعتنون بك . تهدهدين وتهدهدين . رست سفنك فى بحر السرور والمتعة ، أما أنا فيمضى بى التيار بلا « بوصلة » أو شراع كحطام لا جدوى منه يصنعه القدر . يعيش من غير ذكريات مشرقة عن الماضى ، ومن غير أن يجول فى خاطره أى ضوء من أوهام المستقبل وخيالاته الزائفة الجميلة . والذى يعيش أيضا بلا غرور أو خداع قد يعتبر شيئا قاسيا ولكنه يجمل النفس ويرضيها .. ويعيش من غير عائلة تعد حياته المقبلة بعد ذلك ، ومن غير أصدقاء لمتعة القلب وراحته ، ومن غير أعداء ، وبالاضافة الى هذا كله يعيش منتقدا ذاته بطريقة يظهر فيها كل شيء فى كآبة وقبح وكل فشل يضعه تحت مجهر قاس لا يرحم . وشخص كهذا لا يتواءم مع بيت ملىء بالسرور والسعادة . ولكنه يتلاءم فقط كى يوضع فى سلة المهملات » .

لقد كان هذا المخترع يدرك ادراكا تاما مزاجه العنيف الذى ورثه عن أسلافه ، ولذلك كان يبدو أن فى مقدوره أن يكبح هذا المزاج كثيرا ، الا حينما يكون فى خصام مع العالم الخارجى ، وخصوصا أن صحته كانت تعتل وتضطرب حين يشعر بأى قلق . لقد أعلن أنه حينما يكون مغيظا محنقا وحينما يندفع دمه فى شرايينه « أشعر بطاقة كل المتفجرات التى صنعتها ، وأغضب حتى ان الشرر يتطاير ، ولكن كل هذا يستمر فقط مدة نصف ساعة » وحين نقرأ مراسلاته نوقن أنه كان لاذعا قاسيا حين يغضب بسبب أى هجوم على كرامته أو سمعته كمخترع .

وكان نوبل يتعرض دائما لمضايقات كثيرة من جراء الطلبات التى تصل اليه لتمويل عمل ما .. وكذلك الخطابات المستجدية .. وكثيرا ما كانت هذه الخطابات تكتب أحيانا بعبارات فيها ذلة واستجداء ، وفى بعض الأحيان كانت تكتب بوقاحة تصل الى درجة لا يمكن أن نصدقها . وفى نهاية العقد التاسع قال انه وجد ، بعد عملية احصاء بسيطة ، أن « البريد يحضر كل يوم نحو أربعة وعشرين طلبا وخطابا يصل مجموع ما يطلبه أصحابها الى عشرين ألف « كرون » وقد يصل فى العام الى سبعة ملايين « كرون » .. ولذلك أقرر بأنه من الأفضل كثيرا أن أكون غير مشهور أو سيء السمعة من أن أحمل اسم المنقذ أو المعين » .. واضطر أن يرفض الكثير بالطبع ولم يكن هناك الا قليلون يصلون الى

مستوى عونه ومساعدته . ثم انه كان مانحا كريما عن رضـاء ورغبة بالنسبة للشباب الطموح الذين اهتم نوبل بمشروعاتهم . والذى لا شك فيه انه كان فى تلك اللحظات ، التى يقدم فيها العون والمساعدة ، يتذكر النضال الشاق من أجل ضروريات الحياة فى شبابه ، ذلك لأنه يقول : « ليس هناك اسفنج للذاكرة يمحو ما فيها مثلما هنالك للشرائح ، وانا لا أسأل أين ولد آباؤهم وما هو الآله الذى يعبـدونه ـ ان الاحسان ـ من النوع السليم لا يعرف الحدود القومية ولا يجب الاعتراف به » .

وقد كانت لنوبل أفكاره الخاصة عن الغايات التى تجعل الوسائل شيئا مقدسا . ونادرا ما كان يقول ذلك .. ليس فى حالة الحاجة والعوز الحقيقى أو فى حالة ما اذا رأى شابا يناضل ويكافح ، أو بالنسبة لأى مشروع علمى .. ولكنه لم يكن يتأثر بأى شىء مثل تأثره بتماثيل الحفلات الجامعية وغيرها ، وقد كتب يقول : « اننى ـ كقاعدة عامة ـ افضل أن أقدم عونى لبطون الأحياء لا لتماثيل الموتى . اننى لا أميل كثيرا لتكريم الموتى الذين لا يستطيعون أن يشـعروا والذين لا يكترثون بالتماثيل الرخامية ، ولكنى أميل الى مساعدة الأحياء الذين هم فى حاجة بالفعل »

ان خطابات الشكر التى كانت تصل اليه بكل لغة بالاضـافة الى خطاباته الواعية التى كان يبعث بها ردا على تلك الخطـابات ، والتى كانت تمتلىء بالنصيحة ، كل هذه تملأمجلدات كاملة . والواضح أنه لم يكن هناك أحد يعتبر أن من الوضاعة أن يتلقى شيئا من النصيحة الفنية أو الأدبية وكانت فى بعض الأحيان جذرية . أما كيف وجـد الوقت ليكتب هذا كله .. فهذاما زال سرا لا يعرفه أحد . وهناك ما يدل على أن الكثيرين قد خدعوه على الرغم من يقظته ، ولابد أن هذا كان بعضا من أسباب نظرته الى رفاقه بنى البشر فى شىء من المقت والكراهية على الرغم من أن هـذا لم يحل دون كرمه ، ومع ذلك فان التحقيقات التى أجراها قد آلمته كثيرا . وكره الوسيلة الوضيعة لتقديم المنح والصدقات وكان يفضل أن يبحث بنفسه ، لذلك فان عونه كثيرا ما أصبح عونا أدبيا للانسان المحتاج .

ولم يكن ذلك الرجل الذى يعيش وحيدا لا يتأثر بنكران الجميل بعد أن يقوم بعمل طيب ، فقد كتب الى صديق له يقول : « انك تشير الى أصدقائى الكثيرين .. فأين هم ؟ أهم عند السفح المترب للأوهام المتناثرة .. أم هم قريبون من أصوات النقود والمال ؟ صدقنى انك لا تجد كثيرا من الأصدقاء فقط بين الكلاب التى تطعمها لحوم المخلوقات الأخرى .. وبين

الديدان التى تطعمها لحمك . ان البطون الممتنــة والقلوب التى تقدر الجميل توأمان » .

وكتب الى صديق يهودى اظهر شيئا من الوضاعة لشخص آخر : « آه لو تستطيع أن تتعلم أن تدرك أن الانسان يستطيع أن يساعد انسانا آخر دون مصلحة ذاتية أو دوافع كبيرة ، وهناك بين الاسرائليين واحد فقط ، هو المسيح ، تحدث بهذه الفكرة ، ولأن هذه الفكرة نادرة .. فقد توج بمنحه الهية مقدسة » .

آراؤه الدينية

كان الفريد نوبل ، حســب تعميده ، من أتبــاء لوثر ، ويشــير البروفسور تشوك الى أن كرم نوبل واحسانه كان جزاء من اتجاهـــاته الدينية . لقد كان الدين ذا قيمة بالنسبة له اذا أعرب عن نفسه فى حب الانسانية ، وبسبب بعض ملاحظاته العاجلة كان يعتبره الكثيرون ملحدا وعدوا لكل معتقد دينى ، ولكن الحــاده المزعوم كان من نوع خاص . فقد تأثر ، وهو شاب ، بالشاعر شيلى ، والحقيقة أن نظرته تتفق مع نظرة شيلى للحياة .. ولا شك فى أن هذا الاتجاه كان ، من وجهة نظره الفلسفية ، مضطربا يتفق مع روح الشاعر .. أكثر مما يتفق مع عقلية المفكر ، ولكن الفكرة القومية البارزة كانت فى مثاليته العالية .

كذلك نجد نوبل يقدم العون لأبرشية ناثان سودربلوم الذى أصبح فيما بعد أسقف السويد ، وفى بداية العقد الآخير من القرن الماضى كان راعى الكنيسة السويدية فى باريس ، وقد كتب له هذه السطور المشرفة: « ان الخلاف بين نظراتنا الدينية رسمية أكثر منها حقيقية ، ذلك لأن كلا منا يتفق على أن الواجب علينا ان تقدم لجارنا ما نريد أن يقدمه لنا . وأعترف بأننى أمضى خطوة أوسع من ذلك لأننى أكره نفسى فى الوقت الذى لا أكره فيه جارى ، ولكن بالنسبة لوجهات نظرى الدينية النظرية .. فاننى أعترف بأنها تختلف كثيرا عن الطريق المرسوم،ذلك لأن الاسئلة أرفع من مستوانا ، ولذلك أرفض الاعتراف بحلها عن طريق الادراك الانسانى ، وبالنسبة للدين .. فان معرفة ما يجب أن نعتقد بهشيء مستحيل ، مثل محاولة جعل الدائرة مربعا ، ولكن فى حدود الامكان يجب أن يعرف الانسان مالا يؤمن به الفرد . وهذه الحدود لا يتخطاها ، فالذى يفكر يعرف اننا نعيش فى لغز أبدى ، وكل دين حقيقى يقوم على هذا الأساس . اننا لا نرى شيئا من خلال قناع هذا الكائن الكبير ، والذى

يعتقد أننا نراه .. انما يعتمد على خيال الفرد ، ولذلك يجب ان يقتصر على الحدس الشخصي » .

والحق أن نوبل كان ابعد ما يكون عداء للعقيدة ، حتى ان قليلين هم الذين كانوا يشعرون بقيم الحياة الروحية اكثر منه . ان المبادىء والأفكار التى كانت تدور من حوله .. هى التى لم يكن يستطيع أن يتقبلها .

آراؤه السياسية

كان نوبل بعيدا بقدر المستطاع عن كل نشاط سياسى ، وقد قرأ الكثير فى بلاده وفى رحلاته وعن طريق الصحف ذات المشارب السياسية المختلفة ، وكان على علم تام بالحالة السياسية فى العالم . وان الآراء التى أعرب عنها فى كتابته لتمكننا من أن نحصل على فكرة تقريبية فى هذا الميدان .

كان هذا الرجل ينظر الى سياسة القوة على أنها خداع ودسائس ، ودائما ما تكون لها دوافع خفية . ومن ثم كان يمقتها وكان مقته لها يتأثر بدرجة تأثيرها فى نشاطه الدولى ودرجة ارتباطها بالبيروقراطية . وفى قصصه القصيرة التى لم يكملها كان عنيفا فى السخرية التى يوجهها الى أنواع الحكومات والى الروتين والى القوانين البالية . وكانت هذه الكتابات بمثابة صمام الأمان فى الأوقات التى كان يشعر فيها بالضيق والألم ، كان يشتط فى النقد كأنه لم يكن هناك نظام اجتماعى قائم يرتاح اليه . ولقد كان اتجاهه يتسم بانتقاد كل شىء .

كان ألفريد نوبل راديكاليا ، ولكن بطريقة خاصة ، ويعتقد البروفيسور تشوك أن نوبل قد تأثر من غير شك بالأدب وبالاتجاه العدمى الذى كان سائدا فى روسيا فى فترة شبابه ، وكان يعارض بكل جزء فى كيانه .. الاستبداد الذى يستخدمه القياصرة هناك . ومع ذلك لم يكن فوضويا وربما كان عكس ذلك . فلم يكن يثق بالذوق السياسى للجماهير ولم يكن كذلك يتعاطف كثيرا مع حق الانتخابات ومع الاتجاه البرلمانى . وكان يقول ان الحكومة الواعية الرشيدة يجب أن تكون لها سلطات واسعة .. وكان ابن عصره .. ولذلك لم يكن يرى ضرورة للاسراع بمنح المرأة حق التصويت ، أو أن يكون لها بعض السيادة فقد قال : « ان الأوامر من مهمة الرجل وكذلك الكلام والحديث » .

وفى خلال السنوات الأخيرة من حياته كان ينظر لنفسه على أنه

ديمقراطى اجتماعى ولكن مع شىء من التكيف والمواءمة ، ومع ذلك فان شولمان لايوافق على هذا . فان تجربته تؤكد له أن نوبل كان بعيدا ، فى اعماله وكلامه ومواقفه ، عن وجهة النظر الديمقراطية الاجتماعية .. بل انه لم يكن ديمقراطيا . وكان يعطف على العمال فى مصانعهم ويهتم بهم . ولكن لم يكن هناك وقت للاتصال الشخصى بهم . لقد كان سيدا متحررا بالنسبة لموظفيه الشخصيين .. ولكنه كان يصر على «الاتيكيت» »ولم يكن يفكر فى أى اتصال شخصى.. حتى حينما كان مريضا يعانى ويقاسى من افتقاد هذه الصلة .

وكان يؤيد بحرارة مبدأ تكافؤ الفرص والتعليم للجميع ، وقد قال بهذه المناسبة : « ان نشر التعليم هو نشر الرخاء » . كذلك كان يحترم بشكل كبير الكرامة الانسانية للآخرين وحريتهم ومعتقداتهم الشخصية.

ولقد كان ألفريد نوبل مخترعا ورجل صناعة ورأسماليا على نطاق واسع ، ولذلك نجد أنه غالبا ماكان يدخل فى مناقشات وجدل مع الهيئات الحاكمة العليا فى البلاد المختلفة . ولا يمكن أن نتصور — ونحن نعرف عنه انتقاده للحكومات وللسلطات الحاكمة فى عصره ولادارات العدل والاقتصاد فيها — أنه كان سيؤيد المبادىء الجوهرية للديمقراطية الاجتماعية بمعناها الواسع ، كتأميم وسائل الانتاج مثلا ، أما بالنسبة للثروات الخاصة الكبيرة . فقد كان يرى ألا يرثها الأقارب أو تترك لهم .. ذلك لأنهم يحدثون كارثة بأن يركنوا الى الكسل ، ومن ثم نساعد على اضعاف الجنس البشرى » . ووصيته دليل على آرائه فى هذا الصدد .

ويجب أن نعرج على واحد أو اثنين من الاحكام العامة التى صدرت عليه والتى تم اقتباسها بسبب قوتها — من غير تمحيص أو تدقيق ، واستمرت تكتب فى سيرة حياته . فقد كان يطلق عليه مثلا (أكبر متشرد غنى فى أوربا) . وهذه عبارة براقة عيبها الوحيد أنها لا تنطبق عليه .. فالحق أنه كان غنيا جدا وقد سافر كثيرا بلا كسل أو ملل ، فقد كان يحس بحاجة ماسة الى الاستقلال وحرية الحركة . والى هنا ينتهى التشابه فيما يتصل بثروته وتنقلاته ، ولكنه لم تكن له أية صفة من الصفات التى تقترن بكلمة متشرد ، فلم يكن بوهيميا ولم يكن كسولا ، كما أنه لم يكن يتصرف بطريقة عشوائية . كذلك لم يكن فى أية لحظة من لحظاته — فى فترات الفقر التى عاناها فى شبابه ومشكلات النضج أو الفترات الكئيبة من المرض فى سنواته الأخيرة — عبئا على أى أحد ، فالواضح أنه كان يتصرف بهدف ، وكان صارما لدرجة العناد . لقد كان متشردا غيرمكترث،

ولا شك .. اننا يمكن أن نطلق عليه : (أكبر صاحب ملايين متواضع فى عصره) .

وفى بحث عن حياته ظهر عام ١٩٤٧ أطلقت على نوبل أشياء كثيرة من بينها (مفجر الديناميت ـ وفاعل الشر ـ وتاجر الموت) كما أطلق على أعماله (أكبر نموذج للقوة الهدامة) . ان نوبل قد يكون اكتشف وعمل أشياء فتاكة قاتلة .. وقد تطورت من اكتشافاته تدريجيا ، ومعظمها بعد موته ، صناعات كثيرة تتعلق بوسائل الموت والدمار ،ولكن فى تكوين نوبل وعقليته وفى أعماله وكتاباته وأهدافه لم يكن هناك شيء يدل على أن هذا الرجل مستغل أنانى قاسى القلب يمشى على الجثث من أجل مكسب مادى . لم يكن هناك مايبرر مثل هذه الشعارات القبيحة . ومن سوء الحظ أن هذه الشعارات هى التى تحدث انطباعا دائما فى عقل القارىء غير الواعى ، على حين تنسى الأحكام الصحيحة الاخرى نسيانا تاما .

آراؤه الاجتماعية

حينما نحاول أن نحدد اتجاهات نوبل بالنسبة للأمور الاجتماعية تواجهنا مرة أخرى المتناقضات الكثيرة فى تكوينه . اننا لنرى أن آراءه ترجع الى ميول صارمة والى تأثير معلوماته وتجاربه ، وقد أتاح له بيته فى السويد ـ الذى قضى فيه طفولته ـ تنشئة خلقية رائعة أثرت فى حياته كلها ، هذا على الرغم من الفقر الذى كان يعانيه هذا البيت . فقد حرم من كثير من الأشياء بسبب المرض وبسبب ظروف العائلة الضعيفة .. وان المساعدات الكثيرة التى قدمها بعد ذلك لكثيرين من الناس لتدل على أنه كان يريد الآخرين أن يبدأوا بداية طيبة ، وأن يكون لهم حظ طيب فى الحياة . ولقد كان رائدا فى ميدان جديد ، ولذلك واجه النكسات والفشل بأشكاله الكثيرة ، وكان الحزم والنشاط الدؤوب هى وسيلته للتغلب على الصعاب . وعلاوة على ذلك كان له أمل لم يكن يرتبط بآمال أخرى مثل الجشع وحب الممتلكات ، فقد كان يريد أن يكون موجودا والا يراه أحد ، وأن يعيش ويترك الآخرين يعيشون فى سعادة . وقد قال : « ان لى ميزتين على منافسى ، فكل من جمع المال والثراء لا يؤثر فى تأثيرا تاما » . وكان يتمتع بعين العالم الناقدة الفاحصة ، وبالشك فى الاشياء ولكنه لم يكن يحمل أية عاطفة ، كما أنه كان مخلصا لأصدقائه وبخاصة فى عزلته . كما ان كل الذين عملوا معه بأمانة وحاولوا جهد استطاعتهم القيام بعملهم .. كانوا متساوين فى الحقوق ، سواء كانوا فى أعلى المناصب

أو فى أسفلها ، ومهما تكن نتيجة جهودهم ، فالنشيط الذى لديه وقت ضئيل يجب أن يساعد . وقد كانت هذه سلسلة أفكار نوبل كماأوضحتها أعماله ومراسلاته . وقد أقام موقفه الاجتماعى على هذه الأسس .

وقد كتب عن معاملاته فى الأعمال الكبيرة بقوله : « اننى فى هـذه المعاملات أمارس الأمانة ولكنى لا أمارس العاطفة » وان خطاباته للمديرين والمهندسين لتحتوى على أمثلة كثيرة من عنايته الاجتماعية الدقيقـة بالعمال واصراره على اجراءات الأمن الصارمة التى كان يعتبرها أهم شىء فى تجارة يمكن أن يؤدى أقل خطأ فيها الى كارثة . ولم يكن يسمح لأية عقبات أن تقف فىطريق هذه العناية وهذا الاهتمام . وقد قالالملاحظون القدامى والعمال الذين كانوا فى أحد مصانعه الكبيرة . انهم سمعوا الكثير عن مديرهم الأسطورى الذى يعتبر السبب الأصلى فى كل التجربات المفاجئة فى هذه التجارة . وقد كانوا يتطلعون باحترام وتوقير لأية فكرة لنوبل على انها من الأسطورة ذات الثرة الهائلة وعلى انه ــ نتيجة لمـا سمعوه ــ شخص يستطيع أن يقوم بأشياء فوق مستوى البشر ، ولم يكن معظمهم يراه مطلقا . . ذلك لأنه كان يزور المصانع فى أيام الآحاد حتى يستطيع أن يدرس الموضوعات فى سلام وهدوء . وتشير الخطـابات المتبادلة بين المديرين والمهندسين الى أنهم كانوا ينظرون الى هذا الرجل على أنه شخص مستقيم عادل لايزهو بنفسه ولا يكل ولا يتعب ،شخص يظهر فجأة لفترة قصـيرة ، ودائما مايسبب التغيرات الـكثيرة والجلبة والعجلة .

وهناك أمثلة كثيرة على تضامن نوبل مع كل واحد ممنكانوا يعملون معه ، من أرفعهم الى أدناهم ، وقد كتب مرة يقول انه اذا اعتقد فى يوم من الأيام أن الادارات التى لا تعمل سوف تغلق ، وكانت مثل هذه الخطوة تعنى طرد العمال ، فيجب أن نتجنب مثل هذا الاجراء المؤلم .

وكان أحد المصانع يحتفل بعيد له . . وطلب من نوبل أن يبعث بصورته للعدد الذى سينشر من المجلة بمناسبة هذا الاحتفـال . وقد أجاب نوبل بقوله : « حينما يطلب من المساعدين ومن كل عامل أن يبعث بصورته . . فحينئذ سوف أرسل صورتى لتنضم الى المجموعة . وليس قبل ذلك » .

ويقول أحفاد العمال ، الذين كانوا يعملون فى شركات نوبل فىالنمسا، أن الأجور وظروف العمل فى شركات نوبل ، فى العقدين الثامن والتاسع من القرن الماضى ، كانت طيبة جدا ، حتى ان الشباب كان ينتظر حتى يتم

تعيينه فيها . لقد كان هناك نظام استطاع أن يمكن اى عامل ، بعد سنوات طويلة من الخدمة ، أن يحصل على منحة تصل الى ثلاثين شلن نمساويا فى الشهر .

وتذكر الصحف المعاصرة – بشىء من الدهشة – ان شركات نوبل كانت مزودة بالأطباء ، وكانت تصرف الدواء مجانا للعاملين فيها ، وكان هناك اهتمام اجتماعى منظم يرمى الى حماية أرواح العمال الذين يحالون على المعاش فى المصنع وفى الشارع على السواء .

لقد كان نوبل يتنبأ بالمستقبل حينما كتب عام ١٨٧٩ يقول : « فى يوم من الايام ، حين يتحضر العالم أجمع ، سوف يحصل الذين لايستطيعون العمل بعد وهم الأطفال ، والذين لم يستطيعوا أن يعملوا بعد ذلك وهم كبار السن – على معاش عام من الدولة . ولسوف يكون هذا شيئا عادلا ، وسيكون تنفيذه أسهل مما يظن الكثيرون » .

كانت هذه هى أعمال وأفكار ذلك الرجل الذى كتب فى الوقت نفسه فى خطاب لأحد طالبى الوظيفة ، هذه الكلمة عن نفسه : « اننى أكره الجنس البشرى ، ومع ذلك فاننى شفيق جدا ، ولدى الكثير من الصواميل المفكوكة ، كما أننى رجل مثالى جدا يهضم الفلسفة أكثر مما يهضم الطعام » .

الاهتمامات الأدبية

كانت الاهتمامات الأساسية التى يعشقها نوبل هى العلم والأدب وقد حصل على تعليمه الفنى والانسانى دون دراسات جامعية ، لذلك فان هذا التعليل كانت له قيوده كما كانت له حريته . وقد كانت مكتبته الزاخرة بالكتب التى قرأها دون كلل · تحتوى على كل من الاعمال العلميه والخطابات الغرامية فى كل اللغات الكبرى . وقد كان يرى أن (فتوحات) العلوم الطبيعية هى المادة التى ستنبثق منها سعادة الأجيال القادمة ، وان رسالة الأدب المثالية هى أن يلعب دوره فى هذه السعادة .

وفى حين كان نوبل يتعلم اللغات فى مثابرة وجد . . كان يقوم باستمرار بترجمة الأدب الأجنبى الجيد – وغالبا ما كان أدب فولتير ، هو الذى يلقى الكثير من اهتمامه – الى اللغة السويدية والعكس بالعكس . وهكذا نمى اهتمامه بالادب حتى أصبح كاتبا . ويقول البروفيسور تشوك ان نوبل « كان يتمتع بما يوحى بأنه سيصبح شاعرا ، وذلك لأنه كان يتمتع باحساس وقوة خيال كبيرة يمكن أن نلاحظها فى محاولاته الشعرية التى

قام بها فى شبابه والتى كان متأثرا فيها بالشـاعر شـيلى ، والتى كان يكتبها بالانجليزية » .

ولكن الشكل الذى اتخذته حياته فيما بعد ــ مع أعماله التى كانت على نطاق دولى وتجاربه العملية ــ أبعده عن الشعر ، ولما أراد فى سنواته الأخيرة أن يعود للكتابة مرة أخرى ويجرب كتابة القصص القصيرة .. كان الوقت متأخرا جدا ، فقد كان خياله يتدفق بطريقة مضطربة .

وكان يعبر عن ذاته بطـريقة قلقـة وكان يدرك ذلك ادراكا تاما . لذلك فان الكتابات الأولى للقصص التى حاولها ــ مثل « فى أفريقيا المضيئة » (سنة ١٨٦١) « والشقيقات » (١٨٦٢) والتى أوضـح فيها آراءه عن الاصلاح الاجتماعى وكذلك الخطوط العامة للكوميديا (سنة ١٨٩٥) ــ كانت ساذجة على الرغم من انها كانت تحتوى على ملاحظات ذكية واعية بالنسـبة للطبيعة البشرية . ولكن اتجاهه النقدى للحيـاة عامة جعل كتابته ساخرة ومضطربة ولا عجب فهى لم تنشر أبدا .

وكانت محاولته الوحيدة لكتابة المسرحية ، والتى قام بطبعهـا فى باريس عـام ١٨٩٦ .. مأساة نيميسيس التى كتبها عـام ١٨٩٥ وقد وافاه الأجل حينما كانت المسرحية معدة للتوزيع .. ولكن أفراد عائلته اعتبروا أن مثل هذا العمل الدرامى الضعيف لن يأتى بخير ولن يفيد ذكرى هذا الرجل العظيم . ولذلك أخفوا هذه المسرحية ولم يبق منها الا ثلاث نسخ فقط . ويقول البروفيسور تشوك « ان هـذا هو الشيء السليم الذى كان يجب أن يكون ، ذلك لأن الرأى العام كان لابد أن تنطبع فى نفسه صورة مزيفة غير صادقة عن نوبل من هذا العمل الوحيد الذى قام بطبعه . لقد كان ألفريد نوبل شاعرا حقا . ينظر الى الحياة والوجود بعين الشاعر . واستطاع ــ كشاب ــ أن يعرض هذا فى شكل شاعرى وقد انمحت هذه المقدرة مع الأيام والسنين » .

ومع ذلك فقد احتفظ بحبه للشعر على الرغم من أعباء العمـل الضخمة التى كانت ملقاة عليه .. وقد تبع اتجاهات الأدب ومن بينها اتجاهات الأدب فى اسكنديناوه ، وقد رأى فيها مصدرا لبعث الانسـان وتنشيطه فى تطوره نحو الحياة الأفضل التي كان يحلم بها . وان نصوص الوصية لتحدثنا عن ذلك .

وكان فى خطاباته يقتبس ويقلد شكسبير والكتاب الانجليز الآخرين بطريقة مضحكة . كذلك فان خطاباته تدل على أنه قد درس بعناية ودقة الأعمال الفلسفية للفيلسوف المعاصر له « هيربرت سبنسر » الذى كانت

آراؤه تتفق مع آراء نوبل فى كثير من الوجوه . ونحن نعرف أن محاولات نوبل لكتابة الشعر كانت تتخذ من « بيروشيلى » نموذجا لها ، كما أنه كان على معرفة بالاتجاهات الخفية للفكر فى الكتاب القدامى والمحدثين المعروفين وغير المعروفين . وقد أعرب عن محبته وكرهه فيما يتعلق بالكتاب الذين درس لهم . ويبدو من آرائه هذه أنه كان يفضل الاعمال ذات الاتجاه المثالى ، وأنه لم يكن يتفق مع الطبيعيين فى ذلك الوقت .ومن بين الكتاب الفرنسيين كان يعجب بالكاتب فيكتور هوجو ، الذى كان يعرفه شخصيا ، وكذلك موباسان وبلزاك ولامارتين . ولكنه قال عن « زولا » انه (كاتب قذر) . كذلك تحدث عن كتاب الروس الكبار من أمثال جوجول ، ودستويفسكى ، وتولستوى ، وترجنيف . وقال انه يحب هذا الأخير كثيرا . أما كتابه المفضلون فى منطقة اسكنديناوه ــ والذين كثيرا ماناقش أعمالهم فى خطاباته لأصدقائه ــ فهم ابسن وجورنسون وجوناسلاى وجاربورد وكيلان وفيكتور ريدبرج وسيلما لاجارلاوف ؛ وقد كتب لأصدقائه فى السويد عرضا موجزا لمسرحية أبسن «بيرجنت» وكان يعتقد أن كتابات فيكتور ريدبرج ــ « تدل على روح وجمال الشكل » . وان مجرى الأحداث ــ فى مسرحية جوستا بيير لنجز ساجا ، لمؤلفها لاجرلوف ــ غير منطقى ولكن الأسلوب ذو سحر لا يمتدح بشكل كبير . ويقول أصدقاء نوبل انه كان يستطيع فى آخر حياته أن يلقى بفقرات طويلة من « تشايلد هارولد » لمؤلفها بيرون ، ومن « فريت جوفس ساجا » لمؤلفها تجنر . وكان غالبا ما يختار فى مراسلاته كلمات تدل على الحكمة والفطنة من مؤلفين قدامى ومن فولتير وشيللر وهانز اندرسون .

وغالبا ماجاء فى الكتب التى تحكى قصة حياته أنه أحرق معظم الأشعار التى كتبها فى شبابه ، ومع ذلك فان « الأرشيف » بالاضافة ــ الى قصيدة « أحجية » وهى قصيدة هامة كثيرا ما تعرضت لمناقشات هامة أيضا ، تحتوى على أمثلة كثيرة تدل على أنه كان شغوفا بكتابة الشعر ، وعلاوة على ذلك فقد وجد مؤلف هذا الكتاب مذكرات وقصاصات كتبها ألفريد نوبل موضوعة فى أمكنة لا يحتمل أن توجد فيها ، مثل مجلات العمل ، وهذه المذكرات تحتوى على مقال بعنوان « ما الذى أنوى أن أتفلسف حوله » وكذلك بعض القصائد التى كتبها على مر السنين .

فمثلا هناك قصاصة بتاريخ ١٨٩٠ بعنوان « تأملات فلسفية يجب أن تكتب » تتعلق بأفكار عميقة عن كل شىء تحت الشمس فى اثنى عشر موضوعا ، وعلى سبيل المثال نذكر بعض الموضوعات وهى : الذرات المتفاعلة ــ وظائف العقل والفكر والذاكرة ــ الأثير والمدة ذات الثقل ــ

تأثير العقائد المختلفة ـ دراسات فى الاقتصاد والضرائب ـ نظام مختصرات جديدة للكيمياء ـ نظام حكومى يقوم على أسس جديدة ـ اعمال تتعلق بموضوعات التفجير ـ فلسفة الخلايا والنواة .. الخ .

وهناك قائمة أخرى بعنوان (أدب وشعر) كتبت بالفعل وموضوعاتها هى :

١ ـ الشقيقات الثلاث ـ ٢ ـ طريد الموت ـ ٣ ـ المرض والعلاج ـ ٤ ـ هى ٥ ـ الأحجية ـ ٦ ـ آه لو أحببت ـ ٧ ـ أحلام ـ ٨ ـ سنسى ٩ ـ التربية الروحية ـ ١٠ ـ المواعظ ـ ١١ الايمان والكفر ـ ١٢ ـ طريد اثنين ـ ١٣ ـ دهشة ـ ١٤ ـ رأيت برعمين .

ومن هذه الجهود الشعرية نجد أن ١ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ محتفظ بها، وهى تعطينا فكرة كبيرة عن الاحساس الشعرى لدى ألفريد نوبل والذى لازمه طيلة حياته على الرغم من أنه فى الفترات الأخيرة قد ضعف بسبب الضربات القاسية التى تحملها ، واليك مقتطفات نقلناها عن السويدية من القصيدة رقم ٦ وهى لم تكن معروفة

آه لو أحببت ؟ آه ...
ان سؤالك ليوقظ فى
ذاكرتى الكثير من الصور الحلوة ...
من السعادة التى كنت أحلم بها ...
والتى أنكرتها على الحياة
ومن الحب المنشود الذى ذوى قبل أن ينمو ..
انك لا تعرف حقا كيف أن الحقيقة تسخر من العالم المثالى
الذى يتصوره هذا القلب الشاب ...
وكيف أن النكسات والآمال المهزوزة والأفكار الكئيبة
تكور الحياة التى تبدو فرحة مرحة
وتلطخ كل بريق لها وتشوهه ..
ان روحك الصغيرة
لترى العالم نقيا فى مرآة الخيال ...
لكم وددت الا ترى أبدا ملامحه العارية ...

وقد كتب نوبل على غلاف احدى صحف المعمل « ان هناك فلسفة للشعور .. كما أن هناك فلسفة للفكر » وقد أخضع نفسه لهذا دون تحفظ ..

الفريد نوبل فى مراسلاته

كتب نوبل يوما يقول أ « مما يدعو للاحتقار أن تريد أن تكون شيئا أو أحدا فى هذا الخليط من الألف والأربعمائة مليون من القرود الذين يسـيرون على قدمين ، والذين لاذيل لهم ، والذين يمضـون على هذه الأرض » : ونوبل بهذا القـول يعطى مثالا طيبا عن كراهيته الداخليـة العميقة لاظهـار نفسه بأية وسيـلة . وقد كانت كراهيته للظهور تنمو مع مر السنين ، فقد كان يكره أن يكون موضع اجلال وتقدير ، أو أن يذكر اسمه فى الصحف والمراجع . أو أن ترسم صورته أو تؤخذ له صورة ، ومعنى ذلك انه ظل غير معروف للعالم كله طيلة حياته ، وحينما بدأ الناس يدرسون رسائله بدقة وعناية ، وضحت شخصيته المتعددة الجوانب . والمقام هنا لا يتسع لبحث مفصل عن هذه الدراسة . ولكن حياة هذا الرجل تفتقد جزءا هاما اذا لم تدرس هذه الرسائل .

ولم يرث نوبل عن أبيه أو عن أسلافه قدرتهم على الرسم بالقـلم ومهارتهم فى هذا الفن . فقد كان يرسم بشكل ردىء . ولكنه أصـبح — بسبب ميله الطبيعى للكتابة،وموهبته فى اللغات وطموحه — رجل قلم بارزا . ومن حسن الحظ أن مؤسسة نوبل تضم فى « أرشيفها »مجموعة كاملة فى قليل أو كثير من آلاف الخطابات التى كتبها . وهى تغطى فترة أربعين عاما ، منذ بدء نشاطه التكنيكى والتجارى فى سن الخـامسة والعشرين .. حتى موته . كذلك حصلت المؤسسة بعد ذلك على أصول مئات الخطابات والكتابات التى خطها قلمه . وكل هذه الخطاباتمكتوبة بخط واضح صغير ودائما ماتصل الى النقطة التى يريدها مباشرة . وكانت هذه الخطابات جميعا بلغة الشخص الذى ترسل اليه ، سـواء كان سويديا أو من الذين يتحدثون بلغة من اللغات الاوربية الكبرى . فقد كان يعرف المضايقات التى يشعر بها المرسل اليه اذا لم يكن يعرف اللغة السويدية . حتى النسخ الروسية والقوطية كان لها ما يمثلهـا فى بعض هذه الخطابات .

وكان على نوبل ، بوصفه رجلا مهنيا ثريا ذا مشاغل كثيرة ، أن يقوم

بارضاء عدد لا حصر له ممن يراسلونه ، وممن يعرضون عليه مشروعات فنية ، وممن يريدون منه بعض العون أو المساعدة . ولم يكن له سكرتير خاص . وقد كتب ونسخ وسجل كل الخطابات بنفسه ، وكان واضحا أن كل الخطابات التى تلقاها . كان يتم الرد عليها بسرعة . ومن ثم كانت هناك فترات يبعث فيها كل يوم بعشرين أو ثلاثين خطابا ، وهذا عمل عظيم حينما نأخذ فى الاعتبار المشاغل الاخرى التى كان عليه أن يواجهها ، وكان يصنف الخطابات الخاصة ـ التى يتلقاها والتى يرد عليها ـ وذلك بطريقة غريبة . وكان يضع كل مجموعة فى لفافة صغيرة فى نهاية كل عام ويكتب على احداها : (خطابات من رجال) وعلى الأخرى (خطابات من نساء) . وعلى الثالثة (الخطابات المستجدية) . وكانت آخر مجموعة هى أكبر المجموعات .

ونحب أن نذكر هنا أن اختيار نوبل للكلمات واللهجة التى كان يستخدمها كانت دائما تتناسب سيكولوجيا مع نمط المرسل اليه كما يراه نوبل . وكان هناك استثناء واحد ، وهو الخطابات الغرامية ، اذ كان يفتقد العمق السيكلوجى حتى يتفق الخطاب مع المرسل اليه ، فهو يبدو فى هذه الخطابات كناظر مدرسة وقع فى الحب فى أواخر أيام حياته . انه أشبه ما يكون بالمصلح الاجتماعى فى المدرسة الفيكتورية . انه يمسك بمؤشر فى يده ليصحح أخطاء الهجاء فى الخطابات التى يتسلمها كأنها موضوعات للانشاء . وقد قال نوبل حينئذ « ان الحب يقضى على الحماس لأى شىء آخر » .

وغالبا ماكان يستخدم صورا قوية دقيقة . كذلك كان يتمتع بفكاهة جافة ‥ وكثيرا ماكانت ساخرة ‥ بل كانت قاسية فى بعض الأحيان ‥ وتكشف الخطابات عن أنه كان يقرأ على نطاق واسع ، فقد كانت هناك عبارات رصينة كتلك التى نوردها فيما يلى :

ـ « القناعة هى الثروة الوحيدة الحقيقية »

ـ « اننا نبنى على الرمال ، وكلما تقدمت بنا السن اهتز هذا الأساس »

ـ « الكذب هو أكبر الخطايا »

ـ « الرجل الصادق ينهزم أمام الكذاب »

ـ « العدالة توجد فقط فى الخيال »

ـ « لايكفى أن تستحق الاحترام لكى تكون محترما »

ـ « لايمكن للقلب أن يجبر على الحب مثلما لايمكن أن تجبر المعدة على أن تهضم الطعام »

ـ « القلق هو أسوء سموم المعدة »

ـ « أن الذى يعيش فى عزلة من غير كتب وقلم..انماهو رجل ميت قبل أن تفيض روحه »

ـ « ان أكبر مبرر للفاشلين هو أن العدالة واحدة منهم »

ـ « ان احترام الذات دون احترام الآخرين مثل جوهرة لاتستطيع أن تواجه ضوء النهار »

ـ « ان الخداع والغش هو أكبر صناعة فى عصرنا بعد الزراعة »

ـ « ان الأمل هو قناع الطبيعة لاخفاء عرى الحقيقة »

وهو موجز فى كتاباته كما أنه بعيد عن الفكاهه وروح المرح ، ولكنه لم يكن مملا أبدا ، فعلى الرغم من انه كان رئيسا قويا يعمل عنده أناس لا حصر لهم .. فانه لم يكن هناك أى أمر يدل على الاستبداد والتحكم فى تعليماته لهؤلاء الرجال ، بل كانت تعليماته عبارة عن اقتراحات ورغبات يقولها بأسلوب مهذب جميل ، كذلك كانت هناك بعض الجمل الرقيقة بين التعليمات الفنية البحتة ، فقد كتب الى أحد المهندسين يقول : « انك تبالغ فى خوفك من كلور البوتاسيوم ، انه حينما يخرج رائحة مثل الكبريت فانه يكون حساسا مثل الفتاة الهستيرية وحينما تشعر بشىء فوسفورى على سطحه فانه يكون أخطر من ألف شيطان ، ولكن يمكن أن تضعف من حدته » .

وقد ظهرت فى خطاباته ملاحظات كثيرة متباينة بسبب شخصيته التى كانت منقسمة على نفسها الى حد ما ، والواضح أن الخطابات التكنيكية وخطابات الأعمال لها لهجتها الخاصة . فهى واقعية ومهذبة . وكذلك فان الخطابات الموجهة للأقارب وللأصدقاء الحميمين وللنساء لها لهجتها أيضا . ففى هذه الخطابات الأخيرة يكون أكثر دقة وغير متحفظ ، أو يخرج من عزلته بعبارات جميلة حلوة . ومن الصفات التى شاعت فى كل مراسلاته .. حب الانسانية . والاهتمام المتكافىء بكل الناس على أنهم من الجنس البشرى ، لا بالفرد على أنه شخص ذو مكانة عالية أو منخفضة ، كذلك نجده لا يتعب أو يكل من نقده للأحوال القائمة فى كل المجالات التى يزاول فيها الانسان نشاطه . وغالبا ما اقترح بعض التحسينات . وكانت له آراء اصلاحية عميقة وكثيرا ما كانت فى اتجاه

اكمل صورة بقدر المستطاع . وكان هذا شيئا جميلا فى المجال العلمى . ولكنه فى الحياة اليومية قد فرض عليه مطالب كانت أكبر من نفسه ومن الآخرين .

ويبدو ، من استعراض للذين كانوا يكاتبونه ، أنه كان يهتم كثيرا بالحالمين الخياليين الذين يعيشون بأفكارهم الخاصة ، والتى تطورت بعد نضال وصراع طويل . ونجده فى اجاباته وردوده يناقش أغرب الأشياء التى كانت غالبا لا تستحق الاهتمام ولكنها كانت عقيمة فى ذلك الوقت . فمن الممتع دائما أن نحل الأحاجى والمشكلات التى يعرضها علينا واحد لايستطيع أن يقرر فيها أمرا بنفسه والذى يريد المساعدة بالأبحاث او بالمال الذى تنفذ به هذه الأبحاث .

وكان نوبل شديد التأثر أمام كل موقف انسانى ، فقد كان يتمتع بقلب طيب . وكان صبورا يتحمل الكثير . كذلك كان يقرر أمره حينما يكون قد فكر فى الموضوع تفكيرا جديا ، ومع ذلك فانه كان رجلا متطرفا فى كل شىء . فقد كان يعبر عن ذاته فى رفق وهدوء حينما يتحدث عن شىءيحترمه ويقدره،أما اذاكان هناكما لا يسره أو ما يؤلمه.. فانه يعبر عن هذه الذات بعبارات عنيفة وفى ذوق سقيم . ولم تكن هناك حالة أخرى بين هذين الطرفين . ولم تكن مراسلاته عاطفية مريضة ، ولكنك ترى الكثير من التعليقات اللاذعة القاسية على الناس والظروف .

وكان نوبل يقدر كل شىء تكنيكى وما يتضمنه من مشكلات . ولكنه كان يكره اجتماعات مجالس الادارات ، واجتماعات اصحاب الأسهم ، والمؤتمرات الاقتصادية ، ولذلك فانه فى معظم الحالات كان يقوم بتحقيقاته ويعطى أوامره بالخطابات . وكانت هذه الخطابات واضحة وترمى الى الهدف المباشر . ولكن لم يكن الكثير منها موقعا وكانت تعطى فى مدى فترة قصيرة .

وكان نوبل يكره ألقاب الشرف وكل ما يدل على صنع الجميل . وكل الامتيازات الرسمية الأخرى وذلك طيلة حياته . وقد تقبل الرجل العظيم قليلا من هذه الأشياء كلها لأنه لم يكن يستطيع أن يرفضها دون أن يؤذى مشاعر مانحيها الذين لايعرفون شيئا عن سلوكه ومزاجه . وهناك فى مراسلاته كلها أمثلة كثيرة على مبلغ ضيقه بالأوسمة ، سواء كانت توضع على الصدر أو المعدة أو الظهر .

وفى مناسبة اخرى قدم تقريرا غريبا — ولكنه ليس صادقا — عن السبب فى أن الأوسمة تخلع عليه . فقد كتب يقول : «أن أوسمتى ليس

لها أساس تفجيرى. فقد شكرت الطباخ الذى يعمل عندى أكثر من وسام نجمة الشمال السويدى.. فقد كان فنه فى الطهو يدخل السرور على المعدة. أما الوسام الفرنسى.. فقد حصلت عليه بسبب معرفتى الوثيقة بأحد الوزراء . أما وسام الوردة البرازيلى .. فقد تصادف أن قدمونى الى «دوم بيدرو».. فمنحنى اياه. وأخيرا فقدحصلت على وسام بوليفار، وذلك لأن ماكس فيليب كان قد شاهد « نينيش» وكان يريد أن يرسم الطريقة التى تمنح بها الجائز هناك » .

وقد شاهد نوبل أحداثا خطيرة قاسية تركت انطباعها العميق فى ذاته . فهناك نكبة هيلينبورج ، والنكبات الأخرى التى أحدثها النتروجليسرين ، ومسألة سيفران التى وقعت بين الحدثين . وكذلك ركود النفط وفضيحة بارب وقضية الكورديت . وهذه تمثل بعض الأحداث فحسب. ويمكن أننرى التعليقات الصريحةعلى هذه الأحداث. بكثرة فى خطابات نوبل . ومع ذلك ففى كثير من الكتب التى تحدثت عن حياته.. قيل ان نوبل يتأثر بأنباء الأحداث ، وخصوصا تلك النكبات التى صحبها هلاك للأرواح والممتلكات والتى سببتها اختراعاته الأولى . وقد تمسك الناس بما قيل أمام احدى المحاكم « بأننا لايمكن أن نتوقع أن تستخدم أية مادة متفجرة بطريقة عامة دون أن تحدث هلاكا فى الأرواح . وأية اشارة الى الاحصائيات تدل على ان استخدام الألعاب النارية للعب يؤدى الى كثير من الأحداث أكثر من هذه المادة التى تعتبر عاملا كبيرا هاما لتطوير ثروتنا المعدنية » .

وطبيعى أن يبدو نوبل ــ للمراقب العابر ــ خاليا من المشاعر نتيجة لصمته وعدم قدرته على أن يظهر مشاعره أمام مجموعة كبيرة . لقد أدت التجارب المستمرة المريرة الى أن يعتاد تقبل الضربات ، التى يوجهها القدر ، دون عاطفة . ولكن خطاباته وبرقياته لمساعديه وللخبراء الفنيين تتحدث بلغة أخرى . ففى هذه الخطابات دارت افكاره ــ التى غالبا ما كانت قلقة وحزينة كئيبة ــ حول هدف محدد . وهو هدف الخبير الذى يريد أن يجد علاجا عاجلا للظروف الخاطئة غير السليمة . وقد أعلن فى وعى أن عفريت النتروجليسرين ، الذى خرج من الزجاجة بسبب اختراعاته ، والذى أصبح فى حوزة كان انسان الآن.. لايمكن أن يعود مرة أخرى الى الزجاجة عن طريق حديث أو شكوى للعامة . ولهذا السبب أصبح يواجه المنتدى الذى كان فى نظره أحسن المنتديات ، وهو منتدى أصدقائه العلماء ورجال الصناعة . ولقد كان رجلا تكنيكيا كما انه كان خبيرا ، ولذلك لم يكن يعبر عنذاته بمفاهيم الرعب والفزع ، وكذلك لم يكن

يتلهف كالصحفيين على الاشياء المثيرة. ولكنه كان يتحدث بطريقة واقعية جادة وبمعلومات وفيرة ويركز على الاجراءات المضادة المباشرة . وقد انفق واضاع سنوات كثيرة على المخترعات الصغيرة التى كانت ترمى أساسا الى أن تصل فى أمن وسلام الى الكمال ــ وليس عن طريق تجارة المتفجرات مثل أجهزة تجنب حوادث القطارات . وانذارات الحريق . والصواريخ للانقاذ من البحر . وكذلك أجهزة كثيرة لسلامة العمال فى المصانع والمناجم .

ومثل هذا الرجل الذى كان يعمل فى ميادين خطيرة . والذى كان لديه الكثير الذى يؤمن عليه ، كان عرضة للهجوم من جهات كثيرة كما انه كان عرضة لمعاملة جرحت نفسه وكرامته . ففى الظروف التى كان يواجه فيها المظالم ، والعهود المنقوضة ، أو الهجوم على كرامته كمخترع.. كنت ترى « نوبل » آخر . فلم يكن يحاول ــ بسبب نزعته السلمية العميقة المتأصلة فى نفسه ــ أن يظهر ضيقه أو آلامه فى الصحف أو للسلطات . وكان يتخلص من هذا الضيق وهذه المتاعب بأن يبعث الى أصدقائه والى الخبراء الفنيين برسائله ، وانه ليبدو أن نوبل كان يستطيع أن يتحمل ضربات القدر ، وأنباء الانفجارات المرعبة الرهيبة ..أكثر مما يستطيع أن يتحمل بعض المضايقات والاهانات . وكانت هذه الخطابات مرحة فى ألم ، وساخرة بطريقة لايخطئها الفهم . وفى مثل هذه اللحظات يجب أن ننظر اليه فى كثير من الجد والاهتمام . لقد كان يلعن متفجراته التى هبطت فأصبحت أدوات شريرة للقتل والدمار . وكان يقول عن البرلمان انه « بيت المغرورين » . كذلك كان يقول عن آلامه : « انها لنظرات عطوفة من الشيطان » ويشير الى الأحباء الذين كان يستشيرهم بقوله انهم « حيوانات تعيسة » وكان يعتبر أن « القمل نعمة بالنسبة للصحفيين .. تلك الميكروبات ذات الرجلين التى تأتى بالطاعون » بل انه كان كثيرا مايثور حتى على المعتقدات الدينية .

وقد كان لنوبل ، طيلة حياته ، معاملات واتصالات بالمحامين من جنسيات كثيرة ، ومن ثم كانت له تجربة معهم وضحت فى خطاباته الكثيرة باللغات الأربع الكبرى ، وكان يقول عنهم « انهم مصاصو دماء ينهبون الثروات بعد أن يلقوا بتفسيرات تدل على قصر النظر لأحكام لامعنى لها يطغى غموضها على الغموض نفسه » . وقد كتب ــ بعد أن تضايق من الضجة التى أثارتها قضية الكورديت ــ يقول : « يجب أن تكون هناك وصية تعتبر الحادية عشرة ، وهى (انك لن تتقدم لأن المشكلة هى أن تكون ، أو لاتكون ، مخترعا سيىء الحظ) » .

وقد رفض أن يدشن سفينة جديدة تسمى باسمه تكريما له ،وقال

بهذه المناسبة : « هناك اعتراضات كثيرة على هذا ، أهمها أن السفينة انثى سوف تتهم بمحاولات تافهة لاخفاء جنسها! . وبما أنكم تقولون انها جميلة ورائعة .. فانه لفال سيء أن تسموها باسم حطام قديم » أما مراسلاته وخطاباته بشأن براءات الاختراعات .. فهي كثيرة ومفصلة، واليك جزءا من خطاب أرسله عام ١٨٩٤ : « انه لشيء غريب أن يرفض مكتب البراءات فى السويد أن يعطينا براءة عن مخترعاتى الجديدة ، ان كل حل عمى لمشكلة لم تحل بعد .. انما هو اختراع .. وان عدم فهم هذه الحقيقة الجوهرية ينخدع كل مكاتب الأبحاث الأولية حتى لترفضه بطريقة ساخرة هزلية . ولو أن هؤلاء كانوا موجودين أيام « وات » لما حصل أبدا على براءة لاختراعه ، ولكانوا قد قالوا له ان الماء معروف ، وتكثيفه معروف ، لذلك فمن الغريب أن نطلق على وضع المكثف فى مكان آخر اختراعا . وكان سيتعرض للسخرية من اناس أكثر منه معرفة فى هذا الموضوع »!

وفى يوم من الأيام ابلغته الطاهية ، التى تعمل عنده فى باريس أنها ستتزوج . فسألها عما تريده كهدية للزفاف .. فطلبت منه هذه الفتاة الفرنسية الأريبة ، ما يعادل ما يكسبه هو فى يوم واحد . ودهش نوبل على الفور وسر لهذا الرد ، وبعد حساب استمر عدة أيام فى شيء لم يكن يخطر له على بال من قبل ، قال : « الوعد وعد » واعطاها هدية مقدارها أربعون ألف فرنك تمتعت بأرباحها طيلة حياتها .

وتوضح دفاتر حسابات نوبل الخاصة — والتى كان يحتفظ بها طيلة حياته والمكتوبة باللغة السويدية — أنه كان واعيا ودقيقا وان الموضوعات الكبيرة أو الصغيرة تلقى منه الاهتمام ، وقد أظهر — مثل أى رجل غنى — كرما تجاه الآخرين ، ولكنه لم يكن مسرفا فى الأشياء التى يحتاجها شخصيا كل يوم ، وصفحة من هذه الدفاتر الخاصة يمكن أن تكون خليطا عجيبا من الأشياء التى ينفق نقوده عليها ، مثل الأشياء الآتية :

	فرنك
قبعات (لصوفى هـ .)	٣٠٠
قفازات	٣٫٧٥
الحصان الجديد	٨٠٠٠
ورود (مدام ر)	٤٠
معطف (بقشيش للرجل الذى ساعدنى)	٠٫٢٥
حوالة الى لودفيج	٢٫٣٠٠٫٠٠٠
أوجست (خادم نوبل)	٥٢
خمور	٦٠٠

وكثيرا ماكاننوبل كريماومتلطفامع الدائنين . . وهؤلاءالذين همفيحاجة الى مال ، ولكنه ، كرجل أعمال اعتاد على الارقام ، كان يضيق بالناس المهملين غير المنظمين . وكان لابد لهذا المليونير أن يعطيهم درسا ، كما يبدو فى الخطاب التالى : « كان هناك وقت اضطررت فيه أن أناضل ضد الأشياء الغريبة حتى الأشياء التى تتعلق بالمال . ولكن مع ذلك لم أتجاوز أبدا مادفعته فى هذه الفترة . وهذا يجعل لى الحق فى أن أطالب بتطبيقهبنفس الدقة والنظام علىالآخرين كماأطبقه دائماعلى نفسى».وقد كان هناك دائن فى استوكهلم استفاد كثيرا من خدمات نوبل وفى أحد الأيام تلقى الخطاب التالى من باريس : «بما أنك نسيت مرة أخرى مطلبى البسيط الذى يبدو لى أنه كان مهملا فترة طويلة . فاننى أعتقد أن لى الحرية فى أن أبعث بأموالى عن طريق السفارة أو جماعة البر فى السويد حتى توضع هذه الأموال تحت تصرف مواطنى الفقراء » . وقد أظهرت الحسابات أن المطلب البسيط وهو عشرة آلاف « كرون » استخدم بعد ذلك لصالح الفنانين السويديين فى باريس .

واخيرا . . فان من المهم أن نعود الىموضوع عدماكتراث ألفريد نوبل بقصة حياته ، فقد طلب منه أخوه لودفيج عام ١٨٨٧ تفاصيل عن حياته لبضمها الى تاريخ العائلة الذى كان يقوم بجمعه ، ووصله الرد التالى من الفريد :« ان كتابة تاريخ حياة الفريد مستحيل بالنسبة لى،الا اذا كان قصيرا . . وهذا أفضل شىء. فمثلا يمكنالقول بأن الفريد نوبلانما هو نصف مخلوق يؤسف له . وكان يجب أن يخنقه طبيب انسانى حينما دخل الحياة يصرخ ويولول . ومحاسنه البارزة هى انه يحافظ على نظافة أظافره ولم يكن أبدا عبئا على أحد . أما غلطته الكبيرة،فهى انه كان يفتقد العائلة والنفوس الصافية والمعدة القوية . أما مطلبه الوحيد الكبير فهو الايدفن حيا، . وأما الأحداثالهامة فىحياتهفليس هناكحدثهام فيها» .

أليس هذا كافيا وأكثر مما يكفى ؟؟ وما الذى هناك فى حياتنا وعصرنا يمكن أن نضعه تحت هذا العنوان الكبير (أحداث هامة) . ان عشرات البلايين من الشموس الموجودة فى المجرة تعتبر تافهة . . وانهالتخجل من صغارها لو أنها أدركت مدى الكل ، ان أحدا لا يقرأ مقالات عن أى فرد ، ماعدا الممثلين والقتلى المجرمين وخصوصا هؤلاء الآخرين الذين يقومون بأعمالهم الكبيرة فى معارك وبطريقة تجعل الناس يندهشون ويفغرون أفواههم » .

رحــلات نوبل

من الكتب الكثيرة التى كتبت عن الفريد نوبل كتاب بعنوان « الرجل الذى لا يعرفه أحد » والعنوان سليم الى حد ما ٠٠ اذ أن هذا الرجل كان يكره الظهور فى المجتمعات حتى بعد أن أصبحت مخترعاته الهامة مشهورة فى العالم ، وبعد أن اصبحت مصانعه كثيرة هائلة ، وبعد أن أصبح هو نفسه رجلا غنيا . لذلك فقد ظل غير معروف للعامة على نطاق واســع سواءفى بلدهالذى كانيقوم بزيارته بين حينوحين..أو فىالدولالأخرى حيث أقام بيوتا عاش فيها .

ولقد كان هذا الرجل ، الذى تقدمت به السن نسبيا خيبة أمل لكثيرين من معاصريه .. الذين ربما كانوا قد تصوروا أشياء كثيرة عما يجب أن يكون عليه رجل يعتبر من أقطاب الصناعة،ورأس مالى ذو أموال كثيرة وعما يجب أن تكون عليه تصرفاته أيضا . فقد كان يمضى فى حياته بلا مظاهر وبلا خصوصيات من حوله وبلا خيلاء أو كبرياء.لا يحتاج لأن يهتم احد به ، أو تحيــط به عظمــة ، وكان ايضــا متواضــعا فى كل الخدمات التى يطلبها . وكان الجيران والمارة يرونه فقط وهو جالس فى عربته خلف جياد من سلالة أصيلة حينما كان يمضى فى وقت مبكر من الصباح متعجلا نحو معمله فى « سيفران » أو وهو عائد الى بيته بعد الظهيرة . ونادرا ماكان يلتزم بساعة محددة .

وكان ، بسبب طبيعة مهنته ، يجرى أبحاثه وتجاربيه فى عزلة تامة مبالغ فيها . ولم يذهب مطلقا الى أى مطعم . لذلك فان التقاءه مع الناس واجتماعه بهم كان ينسى فى أوقات كثيرة . ولا يعنى هذا أنه كان راهبا أو ناسكا ، أو أنه كان يتمتع بعقلية ذات اتجاه واحد ، لقد كان تعليمــه الشامل واهتمامه الواعى فى كل مايجرى أمامه شيئا كثيرا بالنسبة لهذا العقل ٠ ولكن ميوله وغيابه فى رحلاته الطويلة الكثيرة التى كان غالبــا مايقوم بها وحده ، سواء كان يعيش فى باريس أو أردير أو سان ريمون ، تعنى انه لم يصبح أبدا مظهرا دائمــا وسمة من ســمات البيئــة التى يعيش فيها .

ومن جهة أخرى فان اسمه كان معروفا جدا ، فى العقدين الثــامن والتاسع من القرن الماضى ، فى دوائر صناعية ومالية كثــيرة فى باريس ولندن وبرلين وفيينا وهامبورج ،: حتى انه لم يكن يستطيع أن يتجنب الاهتمام به والمتاعب التى يشتمل عليها هذا الاهتمام . وهناك أســباب كثيرة وراء هذا الاهتمام فى هذه الدوائر ، وهو الاهتمام الذى كان يتمتع

به شخصيا كخبير وكرجل مالى وكمشرف ، ولكن اسم نوبل كان دائما يقترن بأسماء الشركات وبالاسماء التجارية للمتفجرات ، ولهذا كان الناس فى بعض الاحيان ينطقون بهذا الاسم فى لهجات مؤلمة بالنسبة للاحداث الكثيرة والفظائع التى كانت تنتج عن النتروجليسرين والديناميت وكذلك بسبب القضايا والمنازعات مع الدولة أو الحكومة المحلية . وقد رأينا أن هذه الاحداث قد وقعت كثيرا ، ومن ثم كانت المشاعر تتأجج . وكان هذا يدفع بالرجل الحساس «ألفريد نوبل» لأن يعيش متفانيا فى عمله . هربا من هذا الجو . ولكن ألم يكن هناك شىء يغريه بالخروج من هذه العزلة ؟ ألم يكن هذا الرجل فى حاجة الى أصدقاء وراحة ومتعة ؟ نعم كان فى حاجة اليهم جميعا ولكن — كما كان يحدث بالنسبة لكثير من الاشياء الاخرى — بعد دراسة دقيقة وبطريقته الخاصة .

أما بالنسبة لأصدقائه فقد كان دقيقا ، وقد جعلته التجارب كثير الشك حتى أن الذين يعتبرون أصدقاء له كانوا قلة . فقد كانوا يوضعون تحت الاختبار وكان عليهم أن ينجحوا فى هذا الاختبار وهذا يستغرق زمنا . وكان هناك أصدقاء عرفهم فى فترات حياته الاولى أمثال تيودور ونكلر ، وألاريك ليدبيك ، وكارل أوبرج . وأودلف ألسل ، و أ.أ. نورد نشولد ، وثورستن نوردنفلت ، وأضيف الى هؤلاء بعد ذلك ايمانويل ابن أخيه لودفيج ، وكذلك أخوه ينجستروم . ثم « راجنار شولمان » . وهؤلاء بعض الذين عرفهم فى أخريات حياته .

ولم تكن الراحة شيئا هاما فى حياة نوبل . ولذلك لم تكن هناك نسبة معقولة بين الراحة والعمل . ولم يكن يحصل على راحته حتى حينما يكون ذلك أمرا ضروريا . ولم يكن يسمح لهذه الراحة بأن تتدخل فى العمل حينما يلح عليه الالهام الفنى التكنيكى .

أما بالنسبة لقضاء وقت الفراغ ، والمصادر الخاصة بالسرور والمتعة .. فان نوبل كان متفرجا سلبيا أكثر منه انسانا يسهم بنشاط واهتمام فى الملذات والمسرات . وقد تحدث أصدقاؤه عن هدوئه . وعن ابتسامته الطيبة . ولكنهم لم يذكروا عنه اغتباطه الشديد أو ذلك الضحك الذى يرن فى أرجاء المكان . ويبدو أنه ظل طيلة حياته متمسكا برأيه الذى كونه منذ شبابه وهو أن المتع والملذات — مثل الأديان — لا تتكون من مجموعة من الترتيبات أو الايماءات .. ولكن تكتسب بدراسة كتاب الطبيعة العظيم .. الذى وجده دائما غنيا بكل شىء ، وقد كان فى حميته التى لا تقهر من أجل العمل يناضل من أجل الاهداف التى يرمى اليها الانسان ، كالشهرة والذهب ، أو يقدرها شخصيا . كما أنه لم يكن يسعى الى الحياة الرغد

التى تؤدى اليها الشهرة والذهب.. ولهذا السبب لم يكن هناك الا القليل الذى يغريه .

وقدامتلأت أربعين عاما من أعوامه الستين ـ التى تشكل حياته ـ بثلاثة أوجه مختلفة للنشاط : أولها أعمال المعمل التكنيكية والتى كانت مدار اهتمامه طيلة حياته التى شعر فيها بالقوة والراحة . وثانيها المعاملات والتنظيم الخاص بالعمل والتى اعطاها ما كسبه من خبرة، والتى كان ينظر اليها على أنها شر ضرورى بكل ماتتضمنه . وثالثها السفر الذى دفع اليه النشاط الاول والثانى ، وعلى الرغم من أن السفر كان شاقا كثير المتاعب فى تلك الأيام.. فانه كان يوائم ويرضى طبيعته القلقة المضطربة . لذلك يبدو ، لأول وهلة ، أنه لم يكن هناك الا قليل من الوقت لغير العمل ، ولكن هذا الرأى تغير الى حد ما ، بالاعتبارات التالية .

لقد تعرضت معظم مظاهر أعمال نوبل ، ومخترعاته ، وكل ما كان يهم العالم الخارجى ويؤثر فيه .. للبحث والدراسة حتى انه أصبح معروفا ، ولكن هذا لم يحدث بالنسبة لأسفاره ورحلاته . وقد ذكرت هذه الرحلات فى الكتابة عنه ولكنها لم تبحث بالتفصيل . فلم تكن هذه الرحلات كثيرة فحسب.. بل كانت واسعة النطاق أيضا بالنسبة لذلك العصر . واذا درسنا هذه الرحلات ، فى ضوء مراسلاته ومذكراته ومكتبته وشهادة الذين كانوا على صلة به.. فاننا نمسك بالخيط الذى يوصلنا الى أوجه جديدة فى حياته .

كما أن مكان أصول ونصوص البرقيات التى لا حصر لها ، وكذلك الخطابات.. لتكشف عن أن هذه الرحلات كانت قائمة على خطة.. حتى انها كثيرا ماكانت تتضمن اقامة بناء فى مكان به مياه معدنية أو مصيف للاستشفاء . وكانت هذه محاولات نوبل فى لحظات الترفيه والمتعة . وكانت فترات راحته تتضمن تغيير المناظر.. ولكنها لم تكن تتضمن الابتعاد عن المشكلات التى تعترضه . انه لم يكن يستطيع أن يرتاح بهذه الطريقة، مع أنه غالبا ما أعرب عن رغبته فى عمل ذلك . لقد كانت المشكلات وكذلك المذكرات ودفتر العناوين ، ترافقه فى كل مكان ، ولم تكن مراسلاته تقل فى أسفاره عن المراسلات التى كان يكتبها فى بيته .

وبين عام ١٨٦٦ وعام ١٨٩٦ كان يقوم باستمرار بزيارة عدة مدن أوروبية للاستشفاء لفترات طويلة أو قصيرة، وخصوصا فى مناطق كثيرة فى ألمانيا والنمسا وفرنسا وسويسرا وايطاليا . وكان يذهب الى المناطق الجنوبية فى الشتاء ، والى المناطق الشمالية فى الصيف . وكانت هذه الأماكن تقع غالبا فى الطريق بين عدد من مصانعه أو مقار شركاته وكان

يعتبرها محطات يترقف عندها . وكان يعانى الكثير من الآلام والأمراض التى ناقشها فى خطاباته ، ولذلك كان من آليسير تتبعه سواء فى طريقه الى الأخصائيين الذين أوصى بهم البعض ، والذين لم يكن يثق بهم ، أو الى علاج مرض أو آخر لم يكن يمضى فى علاجه للنهاية ، وربما كان يتوقف لانتقاد ذلك كله بطريقة ساخرة قبل أن يمضى فى العلاج .

وتوضح المراسلات أن نوبل كان غالبا مايظهر فى مكان للاستشفاء وذلك كى يقابل شخصا مثل شقيقه لودفيج الذى كان يعيش فى سانت بطرسبرج البعيدة .. أو ليقابل أحد أقطاب الصناعة ليناقش معه بعض المشكلات . وكان كثيرا ما يزور مدينة « درسدن » الجميلة لأنها ــ كما يقول « كانت بقعتى المفضلة ، وأحب أن أعود اليها كثيرا » ولكن سبب ذلك لم يكن معروفا . أما « ايشل » البقعة الجميلة ، ذات المياه المعدنية فى النمسا .. فقد كانت المكان الذى يزوره كثيرا فى خلال العقد التاسع والعقد الاخير من القرن الماضى . وذلك لأن الفتاة التى كان يحبها ــ والتى سنناقش قصتها فيما بعد ــ كانت تعيش هناك بين وقت ووقت فى فيلا أنيقة كان نوبل قد اشتراها . ولم يكن يجد راحة فى « ايشل » من العناء سواء فى جسمه او روحه .

ومنذ نهاية العقد التاسع من القرن الماضى ، وفى بحيرة فى زيورخ ، كان له يخته الصغير الجميل الذى وضع تصميمه بنفسه . وكان هذا اليخت أول يخت فى العالم يصنع من الألومينيوم . وفى أوائل العقد الأخير من القرن الماضى نجد الرجل ذا الستين عاما فى الأماكن التى تحيط بها المياه ومعه كثيرون من الضيوف وهم يرتدون الملابس البيضاء ــ ولكنها ملابس ليست لليخت . وفى احدى هذه الرحلات التقطت صورة لنوبل، وهى الصورة الوحيدة الموجودة ، التى يظهر فيها وهو مبتسم راض فى احدى الرحلات .

وغالبا ما كان نوبل يتخذ الرحلات كمبررات لرفض الدعوات للأعمال الرسمية الكبيرة . ويبدو أنه غالبا مامضى فى رحلة صغيرة عاجلة لتجنب مثل هذه الأشياء . والطبع كانت أخلاقه الطيبة سببا فى أنه لم يكن يرفض هذه الدعوات كلها . وخصوصا أنه رجل يقدر شعور الآخرين . وتوضح بطاقات الدعوات وخطابات الشكر أنه كان فى كثير من المناسبات ضيفا على الرئيس الفرنسى « جول جريفى » (١٨٧٩ ــ ١٨٨٧) فى قصر الاليزيه . وكان يتمتع بمكان بارز على المائدة . وفى أحد الخطابات نجد نوبل يظهر خيبة أمله لأنه لم يدع الى حفل عام . وكان هذا الحفل هو

افتتاح خط « سانت جوتارد » فى ربيع عام ١٨٨٢ اذ كان يهمه أمر هذا الموضوع . وذلك لأن ديناميت الجيلاتين الذى اخترعه أخيرا كان هو العامل الحاسم فى تنفيذ هذا المشروع بنجاح ، وقد نفس نوبل عن غضبه فى الكلمة التالية «لقد حقق الديناميت والجيلاتين المتفجر ــ باسراعهما باتمام هذا الخط ــ عدة ملايين ارباحا فقط . هكذا تقول الشائعات . ولكن هذا يجب أن يكون غلطة لأن الشخص الجبان الذى لم ينشأ النشأة السليمة أهملنى ولم يبعث الى بدعوة لحضور الحفل » .

وفى أيام نوبل كانت الرحلات الطويلة بالقطارات لاتقدم اية راحة ، ولكنها كانت تحدث الكثير من الهزات وتثير الدخان . وكان يطلق على عربات القطارات « سجنى الذى يتحرك » وكان يسافر فى الدرجة الاولى حتى لايتعرض لأى قلق . ولأنه كان عرضة لمرض القطارات ، وكذلك لأنه كان نحيفا ومن ثم كان لابد له من كرسى مريح . ولم يكن فى الشتاء ينزل فى الفنادق الفخمةفىالمدن الكبيرة .. ولكنه كان يحبتلكالفنادقالهادئة ذات السمعة الطيبة ، ومع ذلك نقد كان فى الصيف وفى المدن التى بهـا مياه معدنية يحتجز جناحا فى أفخم فندق ، وكان يفضل أن يطل هذا الجناح على مناظر كثيرة عبر بحيرة أو حديقة عامة . أو حدائق الأزهار، ولكن على أن يكون فى الظل . فقد كان نوبل مغرما بالزهور ولم تكن اى من المعامل الثلاثة الخاصة التى بناها لنفسه تخلو من حديقة جميـلة غنـاء .

وكان يحب أن يحس من حوله الهواء والفضاء والنظافة ، فقد كان يكره الجو الخانق والحجرات الصغيرة والفـوضى وعدم النظـام ، واذا حكمنا عليه ببعض الملاحظات . فانه يمكن القول بأنه كان يعانى من الخوف من الأماكن المغلقة ، ويمكن أن نرى ذلك فى خوفه ــ الذى نتج عن مرض القلب ــ من أن يدفن حيا ، وغالبا ماتحدث عن ذلك فى خطاباته ، بل ان هذا قد ذكر فى وصيته ، اذ وضع التوجيهات المفصلة للحيلولة دون أن يحدث شىء من هذا حين موته .

وقد كان نوبل رحالة حاد النظر . وانسانا ذا عقليـة تنقب عن كل شىء ، وحين نقرأ خطاباته نجدها تحتوى على مقترحات لاستغلالالثروات الطبيعية للمناطق التى زارها تجاريا وفنيا ، كما تتضمن هذه الخطابات وصفا للمناظر والمدن التى كان يقضى فيها بعض الوقت . وان تقريراته الواعية المسلية غير المنمقة عن البيئات التى زارها وعن الأنماط فى عالم « الموضة » ومايجرى فى أماكن مثل تروفيل وكارليسباد أوسانت موريتز ــ لتعتبر رائعة ، وكانت هذه التقارير تتأثر ــ ككل شىء يكتبه بقلمه ــ

بالحالة والمزاج الذى يكـون عليه فى تلك اللحظـة والذى كان يتردد بين العنف والهدوء . فلم يكن يتردد فى ان يقول رايه بصراحة وخصوصـا لاصدقائه الذين يثق بهم ، مثل الاريك ليدبك ، والذين كانوا يشبهونه فى مزاجه وميوله .

وكانت عقلية نوبل متفتحة طيلة حياته لتستوعب المعرفة والعلم . وكان يشعر فى رحلاته أكثر من اى شىء آخر .. بأنه حر فى أن يفعل ما يشاء وكما لو كان فى حاجة لأن يتقاسم انطباعاته ومشاعره مع شخص ما ، سواء كانت هذه المشاعر أشياء أدخلت السرور على نفسه أو ضايقته وآلمته . وحنما كان يخرج لاحدى الرحلات كان يشعر بسعادة غامرة نحو البحر والرياح . وكان يراقب النجوم ويستمتع برائحة الجو ، ولكنه نادرا ماوجد السرور فى صحبة الناس . لقد هرب من مكان مشهور فى اليوم نفسه الذى وصل اليه فيه ، وقال بهـذه المناسبة : « ان الارض كواد من الرهبة والخوف فى هذا المتحف التشريحى الكبير ، وأجساداكلها الدود . وهؤلاء الذين يستيطعون ان يتحركوا أكثر من خطوة فى الدقيقـة انما هم ـ بالمقارنة ـ فى أحسن صحة . ولكن لاشك فى أن العيش رخيص هنا ، ذلك لأن منظر الانسان يفقد الشخص شهيته للأكل » .

وقد أدى ـ اهتمامه بالجياد ـ الى كثرة تردده على حلبات السباق ، وقد كان يذهب بصحبة الضيوف الذين يدعوهم ، حتى السيدات ، الى المعارض والمسارح والكازينات . وكان يزور الكازينات (دون أن يقـدم شيئا باستثناء قليل من المال على المائدة الخضراء) وكان لنـوبل رأى شخصى حازم بالنسبة لكل ماحدث له فى الداخل والخارج ، ولذلك فان مما يؤسف له أن تحفظ تعليقاته المكتوبة للاجيال القادمة . ولكن يمكننا القول ـ عن هذه التعليقات ـ ان الآراء التى أعرب عنها شـفويا كانت بنفس الصراحة وبنفس الوضوح ما لم يؤد به الخجل والتـواضع ، فى حضور الفراء ، لأن يمسك لسانه ، ولذلك فان من الممكن أن نعرف ماذا تكشفه الوثائق عن هذا الرجل المتناقض المتعـدد الجـوانب والذى لم يعرف ، على الرغم من انتصاراته وتجاربه ، الا القليل من السـعادة فى حياته . وتشير الدلائل الى أن الساعات الوحيدة التى كان يسعد فيها ـ بغض النظر عن بهجة الخلو فى العمل ـ كانت تلك التى يقضيها مع أمه التى كان يزورها كثيرا كلما سمح له الوقت بذلك . ولـكنه كان دائما يزورها فى الثلاثين من شهر سبتمبر وهو عيد ميلادها . وقد كتب فى سن الخمسين يقول : « لو لم تكن استوكهلم تقع على بعد ثلاث خطوات من القطب الشمالى لذهبت الى هناك فى أعياد الميلاد ، وامسكت بطبق أطلب قطعة من البودينج » .

صديق السلام

ان الجدل حول ما يكتب عن الفريد نوبل وجائزته الخاصة بالسلام ليدل على ان الآراء تختلف بالنسبة لأساس اهتمامه بالسلام . فالبعض يعتقد بأن هذا لم يكن شيئا ملحوظا فى شبابه ، ولكنه ظهر قرب انتهاء حياته وبعد ما أثير فى نفسه من انطباعات خارجية . أما البعض الآخر فيستغرب أن يصبح مخترع المتفجرات ، التى استخدمت فى الحرب ، بطلا للسلام وداعية له . وقد قيل ان اهتمامه بالسلام — حينما اتضح للعالم — ربما كان وسيلة لاخماد ضمير سيىء ، أو ربما كان محاولة للتعويض والتكفير عن النتـائج السيئة لمتفجراته حين استخدمت فى الحرب وفى أعمال العنف الأخرى .

وهناك الكثير الذى يدحض هذه الآراء . فقد أعرب نوبل عن قلقه ، لأن المتفجرات التى اخترعها والتى كان يستهدف بها خدمة السلام ، قد استخدمت أيضا كأسلحة للحرب . ولكن ضميره لم يكن يتألم ولم يكن لديه أى أمل فى أن يمنع تطورا اتخذ الطريق الخطأ ، وذلك حتى يحقق السلام . لقد كان يؤمن بالديناميت كعامل مساعد قوى أكثر أهمية من غيره بكثير فى أعمال المناجم والمواصلات ، ولـكنه كان يقول : « ليس هناك من شىء فى العالم لا يساء فهمه أو استخدامه » . ولقد كان مليئا بالمتناقضات ، ولذلك فقد مضى خطوة الى الأمام . ففى مناسبات كثيرة ، وخصوصا بعد اختراع البالستيت عام ١٨٨٧ ، أعرب عن اعتقاده بأنه اذا تم الوصول بالمتفجرات الى درجة الكمال تكتيكيا لأبعاد هدامة مدمرة مرعبة فانها يمكن أن تكون رادعا للحرب . ان مجرد وجود هذه المتفجرات بهذا الشكل سوف يمنع بنى البشر من اللجوء اليها كأسلحة للحرب ، ومن ثم يحققون السلام . وهو فى هذه الفكرة بعيد النظر — فقد قال بها فى أوائل عام ١٨٧٦ — انه كان دائما يسبق الزمن الذى يعيش فيه .

واذا بحثنا فى أسلوب تفكيره كما يبدو فى كلماته وأعماله — من سن العشرين حتى سن الستين — نجـد أن نوبل كان يبحث كل المقترحات التى تطرأ على ذهنه بمثل هذه الطريقة التى كانت تتسم بوفرة

التفكير . وسرعان ما كانت هذه المقترحات تثير رأيه الخاص الذى كان يبدو غريبا ولكنه نادرا ما كان يبدو غامضا . وقد كان مستقلا جدا حتى انه لم يكن يتأثر ، بأية درجة ، بالآخرين .

ولكن الى اية فترة مبكرة فى حياة نوبل يمكن أن نتتبع كراهيته للحرب واهتمامه بمشكلة السلام ؟ .

اننا بعد دراسة فاحصة ، يمكن أن نقول بأنه وان كان يحمل هذه الاهتمامات وهذه الأفكار .. الا أنها قد تأكدت لديه وقويت حينما عرف الطبيعة الانسانية ، الأمر الذى عرفه فى مطلع حياته . وقد قال انه حصل على هذا الاتجاه « بأن درس وتعلم ن كتاب الطبيعة الكبير » وكان يعتقد أنه كان يفسر ما قرأه بطريقة سليمة ، وان هذا هو السبب فى أنه كان دائما يقول بالرأى الحاسم فى أى شخص ، ولقد أجبر ، بسبب اعتلال صحته فى طفولته ، على شىء من الخمول والكسل لم يكن طبيعيا أو عاديا بالنسبة لطفل كان يتمتع بقوة الملاحظة وادراك عقلى شديد . وقد دفعه هذا الى أن يطيل التفكير والتأمل ، ومن ثم نجد أن التفكير ى أسرار الحياة وفى شرور هذا العالم كثيرا ما تردد فى كل ما كتبه فى شبابه وفى مراسلاته وخطاباته بعد أن نضج وأصبح رجلا كاملا . وأصبح يبحث فى كل شىء بعقل متفتح واشتياق ولهفة للحرية ، وكان يركن كثيرا جدا الى الاعتقاد بأن التقدم والسعادة البشرية يمكن أن يتما عن طريق المحبة والمودة . وقد كان هذا الرجل يتمتع بروح رياضية جريئة ، ولكنه لم يكن يتوق مطلقا الى السلطة والنفوذ أو الى أية رغبة فى أن يغزو مناطق الآخرين ويستولى على ممتلكاتهم ، كذلك كانت المنازعات بين الأفراد تؤلمه وتؤذى مشاعره ، ومن ثم كتب عام ١٨٨٣ يقول : « اننى أتجنب المنازعات كما أتجنب الطاعون ، حتى ولو كانت بينى وبين أناس حفزونى الى ذلك » . لذلك كان يكره الحرب بين الدول ــ هذه الحرب التى لم تكن سوى (اخراج) جماعى للمعارك الفردية من أجل القوة والسلطان ــ والمعروف أن وراء هذه الحروب والمعارك دوافع لم يكن يستطيع أن يحسها . وان مراسلاته لتعطينا الكثير من الدلائل على هذا الاتجاه .

وليست هناك ــ كما نعرف ــ أمثلة على رد الفعل من جانب نوبل للحروب التى لمس آثارها ونتائجها فى أماكن قريبة منه فى شبابه ، مثل الحرب الأهلية الأمريكية وحرب القرم ، ولكن هناك بضعة سطور فى خطاب بعث به الى السويد بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٨٥٥ ، تعطينا

المفتاح الذى يصل بنا الى أفكار هذا الشاب فى وقت الحرب . ففى الوقت الذى كان فيه ايمانويل نوبل مع أولاده الصغار يعملون بأمر من الحكومة فى وضع الالغام ، فى قلعة كرونشتاد ، كتب الفريد نوبل يقول : « ان هذا المكان لا يثير فى نفسى ذكريات تبهج الروح ، ذلك لأن خدمة التاج تتقدم على خدمة الله فى روسيا » . وحينما يكتب نوبل ، الذى كان يهتم بالتجارب والمسائل التكنيكية هذا الكلام . فانه يمكن القول بأن الجانب الحربى المدمر لأعمال الألغام هو الذى كان يؤلمه كثيرا .

ثم ان مقدرة نوبل ، وهو شاب ، على أن يستمتع بالأدب العالمى فى لغاته الأصلية تعنى أنه فى سن الثامنة عشرة كان يعيش فى عالم الكتب . فقد وجد فى شيلى — هذا الشاعر المتحرر الذى يؤمن بالسلام المثالى والذى أثر فى أعمال نوبل المثالية — طريقة للتفكير كانت دينية ونقية وتتعلق باصلاح العالم ، كما كان يتفق معه فى مراجعه واتجاهه للأخلاقيات بصفة عامة . ولكن نوبل ، بسبب طبيعته العلمية وبسبب مهنته ، كان بالطبع أكثر واقعية ، كما انه كان يناضل من أجل أهداف يمكن أن تتحقق . أما بالنسبة لمسألة السلام ومشكلاته فقد كان متأثرا جدا بهذا الشاعر . ولكن هؤلاء الذين يعتقدون أن الشاعر الانجليزى كان مصدر اتجاه نوبل للحرية والسلام فى العالم انما يخلطون بين السبب والنتيجة . فقد كان العامل الرئيسى هو ميوله الشخصية التى وجدت تشجيعا وتأييدا فى الكتابات الرائعة لهذه الروح الشاعرة التى كانت تأتلف مع روحه .

كان نوبل فى حياته اليومية يتجنب المشاكسين وهؤلاء الذين يقلقون الآخرين من أجل مصلحتهم وأساليبهم ، يتجنب المنازعات بين المديرين وبين الشركات ، وكذلك فى القضايا المختلفة المتعلقة ببراءات الاختراع الكثيرة . فقد دعا أولا وقبل كل شىء الى العمل فى سلام والى أن تكون هناك تسوية على أساس ودى سليم ، حتى اذا كانت تشتمل على خسارة أو تكاليف كثيرة فى الوقت نفسه . وكان يعتبر ذلك أفضل الاتجاهات التى يجب أن تتبع فى المستقبل البعيد . وأفضل مثال على ذلك قضية « الكورديت » وهى أكبر قضية تتعلق بالنواحى الكيميائية فى ذلك اليوم ، وقد بدأتها وأقامتها شركات نوبل للمتفجرات ، على غير رغبة من نوبل ، وقد أدت الى سنوات كثيرة من الألم والنفقات الباهظة .

وكان نوبل يشعر بأهمية تسوية المنازعات الدولية بلا حروب ، وأنه لابد للسلام أن يسود حتى يعمل كل فرد . وكان فى كثير من

كتاباته باللغات المختلفة ينقم على الحرب لأنها « أفظع الفظائع وأكبر الجرائم » .

وقد قيل فى كثير من الكتب ان « بيرثا فون سوتنر » الداعية النمساوية للسلام (وهى الكونتيسة كينسكى ١٨٤٣ – ١٩١٤) .. هى التى أثارت اهتمام نوبل للسلام .. وهكذا شكل آراءه بالنسبة لمنع الحرب . ويجب علينا أن نتحدث عن هذا القول باختصار . فالدور الذى لعبته يجب أن نعترف به . ولكن لا يجب أن نبالغ فيه . ذلك لأن نفوذها لم يكن مبكرا حتى يعتبر شيئا جوهريا أو حاسما فى حياة نوبل ، وربما يكون مصدر هذه المدرسة فى التفكير ، ومما يؤكد نفوذ هذه المرأة ، هو مذكراتها عام ١٩٠٩ والتى قالت فيها المؤلفة ، التى منحت جائزة السلام عام ١٩٠٥ ، شيئا مثل هذا حينما تحدثت عن علاقتها بالفريد نوبل . وكان طبيعيا أن يعزز الكثيرون ، وخصوصا النساء ، هذا الرأى ويعملوا على ترويجه ، ومع ذلك يجب أن نوضح أن نوبل وبيرثا قد تقابلا ثلاث مرات : (فى عام ١٨٧٦ لفترة ما ، وفى عام ١٨٨٧ ، ثم عام ١٨٩٢) وبدأ كل منهما يعجب بالآخر وبدآ يتراسلان ، وهناك نحو ثلاثين خطابا ذات أهمية كبيرة من منتصف العقد التاسع الى بداية العقد الأخير من القرن الماضى ، وهذه الخطابات معروفة ونصفها تقريبا يتعلق بقضية السلام . وفى الوقت الذى تم فيه الاجتماع الأول فى باريس عام ١٨٧٦ .. حين تقدمت بيرثا كينسكى بطلب وظيفة كسكرتيرة لنوبل ، قالت انها فى تلك الفترة لم تكن تهتم اهتماما جادا بالسلام . وتقول فى مذكراتها ان نوبل فى تلك المناسبة هو الذى أثار مسألة الوسائل التى يمكن أن يحقق بها السلام العالمى اذ قال – ضمن ما قال – : « اننى أود أن أخترع مادة أو آلة ذات قوة هائلة تمنع الهلاك الجماعى ليمكن أن تستحيل الحرب الى الأبد » .

ولما اجتمعا للمرة الثانية – بعد ذلك بعشر سنوات وكان ذلك فى بيت نوبل فى باريس شتاء عام ١٨٨٧ – كانت بيرثا قد عادت لتوها بعد سنوات كثيرة من الحياة النشيطة فى منطقة القوزاق فى روسيا ، وكانت تحمل انطباعات حية عن فظائع الحرب بين روسيا وتركيا . وفى تلك اللحظة تأثرت بشكل كبير بفكرة حركة السلام ، كما تطورت فى وقت من الاضطراب السياسى على يد رواد بارزين من أمثال ويلهلم لوينتال . وقررت أن تعمل من أجل هذه الأفكار ، ومع ذلك لم يكن هناك – حتى بداية العقد الأخير من القرن الماضى ، أى فى الوقت الذى اجتمعت فيه للمرة الثالثة والأخيرة مع نوبل فى بيرن وزيوريخ عام

١٨٩٢ ــ أى تبادل للأفكار والخطابات حول قضية السلام . ومن المهم أن نلاحظ أن الاجتماع بينهما قد تم فى بحيرة زيوريخ على ظهر يختــه المصنوع من الالومينيوم والذى كان يعتز به كثيرا .

واصبحت بيرثا منذ ذلك الحين المؤلفة المشهورة لعدة كتب من بينها نداء السلام « ١٨٨٩ » الذى كان موضع دراسة طويلة . وقــد اسست بيرثا Gesellschaft Der Friedensfreunde فى فيينا .وكانت شخصية بارزة فى مؤتمر السلام الدولى الرابع الذى كان يتقدم بشكل بارز فى ذلك الوقت . وكانت شديدة التعصب فى فكرتها ودعايتها . ومنذ ذلك الحين أخذت تروج بحماس نوبل ، وكانت تخبره دائماً بما تقوم به وما يقوم به زملاؤها الذين يؤمنون بالفكرة نفسـها ، وكان ذلك فى اثنــاء سنوات النضال التى كانت حاسمة بالنسبة لهذه الحركة . وكانت تمده دائما بســيل لا ينقطــع من قصاصات الصحف والبيانات والنداءات والكتيبات ، حتى ان هذا الأعزب الثرى ــ مثل كثيرين غيره ممن كتبت اليهم ــ لم ينس هذه القضية الهامة التى يذهب من اجلها جزء كبير من ثروته ، ولذلك نجد أنه فى هذه الفترة من الســـنوات ١٨٩١ ــ ١٨٩٥ ــ وليس قبل ذلك بكثير ــ يمكن أن نعتبر أن هذه السيدة أثرت فى اتجاه نوبل نحو مسألة السلام وفى تشكيل مواد الوصية فيما يتعلق بجائزة السلام . ومعنى ذلك أن مراسلات نوبل وخطاباته توضح انه كان ــ على الرغم من صحته المعتلة والشئون الكثيرة التى تلح عليه ــ على اتصال بأناس آخرين يعملون من أجل حركة السلام . وفى أوائل ابريل عام ١٨٨٥ ، اى قبل أن يقابل بيرثا فى باريس بأكثر من عامين ، كتب الى أحد دعاة السلام فى بلجيكا يقول : « اننى أتزايد فلسفة وعمقا . فكلما سمعت طلقات المدافع ، وكلما رأيت تدفق المياه ، وكلما وجدت العنف يحميه القانون ، والمسدس يجد من يدافع عنه .. أصــبح حلمى من أجل مستقبل البشرية أكثر حيوية وعمقا » . وكذلك كتب الى أحــد معارفه فى انجلترا فى يناير ١٨٨٦ يقول : « اننى أشعر برغبة أكيدة فى أن أرى سلاما وردى اللون يظهر لهذا العالم المتفجر » .

وهكذا يعتبر عام ١٨٩١ وعام ١٨٩٢ عامين هامين . ذلك لأن آراء نوبل ، فيما يتعلق بوسائل حل مشــكلة الســلام ، كانت قد نضجت وشــعر بأنه يســتطيع أن يعبر عنها لأصدقائه الشخصيين ولمندوبيه الكثيرين فى حركة السلام . ويمكن أن نلخص هنا الخطابات والبيانات التى أرسلها ، بأنها تشكل وجهة النظر الواقعية التى وصل اليها نوبل

ذو العقلية العلمية الواقعية .. على الرغم من أنها انسانية ومثالية .. كذلك نجد أن هذه الخطابات والبيانات هى نواة فكرة جائزة السلام .

فهو يكتب الى بيرثا - التى تدعو بشكل حماسى وعلى مسافة بعيدة لمشروعات ضخمة كبيرة - فى اعجاب وأدب ولكنه كان يعترض عليهـــا كثيرا . فهو يتفق معها اتفاقا تاما بالنسبة لأهمية السلام وسرعة تحقيقه الأمر الذى طالما تمناه الانسان . ولكنه كان يشك فى الوسائل التى كانت هى ومنظمات السلام الكثيرة تنوى استخدامها . كذلك كان يرفض فكرتها وفكرة هذه المنظمات عن نزع السلاح عامة على أنه شىء لا يمكن تنفيذه ، ولمـا طلبت منه فى عام ١٨٩١ - بسبب القيام ببيان كبير عن السياسة - أن يسهم فى نفقات مؤتمر السلام فى « برن » تلقت منه مبلغا ضـئيلا مصحوبا بهذه الأسطر : « اننى لا أعتقد أن المـال وحده هو الشىء الذى تفتقدونه . فالحقيقة أنكم تفتقدون برنامجا بأكمله . ان الرغبات الطيبة وحدها لن تضمن السلام ، ويمكن أن يقال الشىء نفسه عن المآدب والخطب التوية ، ان على الفرد - ان استطاع - أن يقدم للحكومات المعنية خطة يمكن تقبلها . أما المطالبة بنزع السلاح فمعنى هذا أن نعرض أنفسنا للسخرية دون أن نفيد أى أحد ، أما أن ندعو الى انشاء محكمة للتحكيم فمعنى هذا أن نصطدم بآلاف التحديات وأن نجعل من كل انسان طموح عدوا لنا . اننا لكى نصل الى الهدف يجب أن نرضى ببـداية متواضعة ، وان نفعل مثل الانجليز فى شئونهم القانونية .. اذ تظهر قوانين مؤقتة فى القضايا موضع الشك والمناقشة ، ويمكن لهذه القوانين أن تستمر عامين أو عاما واحدا . ولا أعتقد أن حكومات كثيرة سوف ترفض مناقشة مثل هذا الاقتراح المتواضع اذا وجد تأييدا من الساسة البارزين . فمثلا :هل نطلب الكثير من الحكومات الأوربية حينما نقول لها أن تلزم نفسها لمدة عام بأن تعرض كل نزاع يندلع بينها على محكمة للتحكيم تنشـأ لهـذا الغرض .. أو على الأقل تحجم عن أى عمل عدوانى فى الفترة المتفق عليها ، هذا اذا رفضت فكرة محكمة التحكيم ؟ .

ان هذا ليبدو شيئا بسيطا ، ولكن ارضاء النفس بالشىء القليل يحقق نتائج كبيرة . فعام واحد فترة تافهة فى حياة الأمم حتى ان اكثر الوزراء شعورا بالخصومة والعدوان سيقولون ان الامر لا يستدعى انتهاك مثل هذه الاتفاقية البسيطة بالعنف . وحين انتهاء هذه الفترة ستسرع كل الدول بتجديد اتفاقية السلام لعـام آخر ، وبهـذه الطريقة ودون اضطرابات يمكن أن تتحقق فترة طويلة من السلام . وحينئذ يكون هناك ما يدعو لأن نفكر تدريجيا فى نزع السلاح كلية ، وهو ما يتمناه الناس

وما تتوق اليه الحكومات . ولكن لنفترض أن ازمة اندلعت بين حكومتين على الرغم من كل شيء ، الا يكون من المحتمل جدا أن يكون لديها ، فى تسع حالات من عشر حالات ، الوقت الذى يتيح لها أن تهدأ فى أثناء الهدنة الاجبارية التى ستضطر الى مراقبتها ؟ » .

وكان نوبل يقوم خفية ، ودون أن يعرفه أحد ، بزيارة مؤتمرات السلام فى برن ، ونتيجة لانطباعاته قرر أن يضاعف من نشاطه من أجل السلام بطريقة ما ، لذلك استخدم عنده عام ١٨٩٢ دبلوماسيا تركيا ، كان قد أحيل الى المعاش وكان اسمه (جريجوار اريستارشى بى) حتى يجعله (على علم بالتيارات السياسية وتقدم العمل من أجل السلام فى اوربا وعلى أن يعمل من أجل السلام فى الصحافة) . وكانت نتيجة هذا التعاون ضعيفة ، ولكن الخطابات التى تبودلت بينهما هامة جدا .

ومضى نوبل يقول ، بعد أن شرح آراءه الشخصية الى اريستارشى بالطريقة نفسها التى كان يشرحها بها لبيرثا سوتنر : « اننى مندهش لتزايد عدد المندوبين الأكفاء ذوى العقليات الجادة بهذه السرعة ، ولكنى مندهش أيضا لهذه الجهود الغامضة العقيمة من هؤلاء الذين يستطيعون احباط أفضل الآمال ، وان الحكومات جميعا بلا استثناء لتهتم بتجنب مثل هذه الحروب التى يثيرها بين حين وآخر المغامرون الصناعيون من امثال بولانجيه ، واذا استطعنا أن نجد وسيلة لتقليل عددها فمن المحتمل أن تتقبل معظم الحكومات هذا بامتنان كثير . وأسأل نفسى عن السبب فى أنه لا توجد قوانين للمنازعات بين الدول مثلما توجد للمنازعات بين الأفراد ؟ .

فالشهود يعينون ليروا ما اذا كانت أسباب النزاع قوية أو غير قوية ، وفى حين نجد أن هذا الاختبار الأولى لا يستطيع أن يحول بين الدول وبين أن تشعل الحرب على بعضها البعض .. فمن الذى يستطيع فى مثل هذه الظروف أن يجازف بكراهية كل فرد أو بخطر ينبثق من وجود عصبة من الجميع ضد من يقف وحده ؟ ونحن كشهود يجب أن نختار اما الحكومات المحايدة أو محكمة مثل مجلس اللوردات أو أى محكمة عليا أخرى . واكون سعيدا جدا لو استطعت أن اتقدم بعمل مؤتمرات السلام ، ومن أجل هدف كهذا .. لن أتأخر عن أية نفقات .. ولا يمكن أن تنظر الى هذا الأمر على انه مجرد فكرة مثالية ، ذلك لأن حكومة هنرى الرابع كانت جادة فى هذا السبيل الى أن عرقلها رافاياك لسوء الحظ . ومنذ عام ١٨١٦ تم تسوية ما لا يقل عن اثنتين وستين قضية عن طريق

التحكيم ، وهذا دليل على انه اذا كانت الدول لا تعى .. فان الحكومات نعى الى حد ما » .

وكتب الى صديق آخر للسلام فى بلجيكا فى العام نفسه يقول : « لقد وصلت الى أن الحل الحقيقى هو معاهدة تلتزم بمقتضاها الحكومات بأن تدافع عن كل بلد يتعرض لأى هجوم ، وسوف يؤدى هذا بالتدريج الى نزع السلاح جزئيا ، وهو الشىء الوحيد الممكن ما دام أنه لابد أن يكون هناك قوة مسلحة محافظة على النظام . ولقـد كانت الحكومات السابقة قصيرة النظر وضيقة الفكر ومتعاركة أكثر من اتباعها ومواطنيها . اما فى يومنا هذا .. فيبدو كما لو أن الحكومات تقوم بمجهود القضاء على مثل هذه الانتفاضات الشعبية البلهاء كتلك التى تثيرها الصحافة الشريرة » .

وقد تبدو آراء نوبل غريبة بالنسبة لوسائل تحقيق السلام ، ولكن يجب أن نعى وعيا تاما موقفه الغريب بسبب مهنته . فوراء اهتمام المخترع بالمتفجرات والمقذوفات .. كانت هناك دائما رغبة صادقة لجعل الحرب شيئا مستحيلا ، وذلك بالوصول الى تكنولوجية هـذه الأشياء لدرجة الكمال . ان الحرب ـ كما كانت ـ سوف تخنق نفسها بنفسها . وهذا هو السبب فى أنه أوضح ملاحظته المشهورة التى بعث بها الى بيرثا سوتنر اذ قال : « ان مصانعى سوف تضع نهـاية لهذه الحروب قبل المؤتمرات التى تعقد فيها . ففى اليوم الذى يتقابل فيه جيشان .. ويستطيع اى منهما أن يقضى على الآخر فى ثانية واحدة .. سوف تتقهقر كل الدول المتحضرة أمام الحرب وتترك قواتها » .

وقد أكد هـذا القول ، ما قاله نوبل ـ نقلا عن أ . شنيدر قطب صناعة الأسلحة ـ فى مناقشـة أجريت فى باريس عام ١٨٩٠ : « أن التوسع فى أسلحة الحرب الفتاكة لن يضمن السلام لنا ، فالأثر المحدود للمتفجرات عقبة كبيرة أمام هذا ، ولمعالجة هذا العيب لابد أن تكون الحرب فتاكة قاتلة بالنسبة للمواطنين المدنيين ، فى الداخل ، كما هو الحال بالنسبة للقوات فى جبهة القتال . اتركوا سيف ديموقليس يسلط على كل راس وعلى كل فرد وسـوف ترون المعجزة . ان كل الحروب سوف تتوقف فى الحال لو أن السـلاح الذى يستخدم هو الجراثيم والبكتريولوجيا » .

وحينما يعبر نوبل عن رأيه كان يفعل ذلك دائما دون التواء ، ومنذ ذلك الحين أصبح يرى ، طيلة الفترة الباقية من حياته ، أن انجح وسيلة

لمنع الحروب هى التدخل المشترك القوى ضد اية دولة تنتهك السلام ، وهناك أمثلة كثيرة ، ولكن يكفى أن نذكر بعض السطور التى تضىء لنا الطريق ، وهى من آخر خطابين بعث بهما الى « بيرثا فون سوتنر » وان افكاره لتتشابه مع تلك التى أصبحت فيما بعد المبادىء الجوهرية الأساسية لعصبة الأمم المتحدة . وفى الوقت نفسه فانها تنبىء بالنصوص والبنود الخاصة بجائزة السلام فى وصيته .

نوفمبر عام ١٨٩٢ « ان محكمة التحكيم سوف تتلقى من كل الدول المحايدة ضمانا لتنفيذ الأحكام حتى ولو بقوة السلاح . ولنقل ان أى شىء أفضل من الحرب . فكل الحدود تبقى كما هى لا يمسها أحد ، ثم يصدر بيان بأن كل معتد سوف يواجه أوربا بأسرها ضده . ولا يتضمن هذا نزع السلاح ، ولا أعرف هل سيكون هذا شيئا مرغوبا فيه الآن او انه غير مرغوب . ان عصرا جديدا من الفزع والرعب . من أدنى الطبقات يتفاعل ويتأجج حتى ليصبح قوة مجنونة فى الظلام . ويبدو اننا نسمع قعقعته على البعد الآن . ولكن السلام الذى تضمنه قوة الجيوش المتحدة سوف يملأ كل منتهك للسلام بالاحترام . ومن ثم سوف يؤدى الى تخفيف التوتر . ويجب أن نرى ، عاما بعد عام ، كيف ستقل الجيوش الموجودة لدى الدول المتعددة فلن تكون هناك حاجة للمحافظة والابقاء عليها فى دول لم يعد نصف سكانها قتلة والنصف الآخر ضحايا » .

يناير ١٨٩٣ « أريد أن أترك جزءا من ثروتى لصندوق من اجل خلق جوائز يكافأ بها كل خمس سنوات (ولنقل ست مرات ، ذلك انه اذا لم ينجح أحد فى خلال ثلاثين عاما فى اصلاح المجتمع فلا مفر من أن نعود للعصور الهمجية البربرية) الرجل أو المراة الذى يكون قد اسهم بأنجح طريقة لتحقيق السلام فى أوربا . وأنا لا أتحدث عن نزع السلاح . فاننا يمكن أن نحصل على هذا الهدف ببطء وبحذر لا عن طريق التحكيم الاجبارى . ولكنا نستطيع ، بل يجب ، أن نلزم الدول فيما بينها وبين نفسها أن تتدخل ضد من ينتهك السلام . وستكون هذه وسيلة لجعل الحرب مستحيلة . وجعل أية قوة تستخدم التحكيم أو تلزم الصمت والهدوء ، واذا اشتمل التحالف الثلاثى على كل الدول بدلا من ثلاث فقط ، فاننى أضمن السلام لقرون كثيرة فى المستقبل » .

ومرة أخرى نقابل الفرد نوبل ، الملىء بالتناقضات الغريبة . فهو متشائم من كثير من الأشياء . وذو نظرة كلها نقد . وقدماه راسختان فى معظم مواقف الحياة . ومع ذلك فهو فى أعمق أعماقه من أكبر المتفائلين

الذين وجدوا . لقد كان مثل الحالم الذى يعتقد فى القوة النبيلة للتنوير العام . وفى مقدرة العلم على أن يجعل البشرية سعيدة . وفى السلام الدائم الذى سوف يعقب « التسلح والمخلفات الاخرى من العصور الوسطى » وهذا هو السبب فى أنه يقول « ان نشر التوعية والتنوير انما يعنى نشر الرخاء ـ واننى أعنى الرخاء العام ـ لا الثروات الفردية .ومع الرخاء سوف تندثر معظم الشرور التى هى من آثار عصور الظلام . ان الأبحاث العلمية والآفاق التى تغزوها ، ومجالها الذى يتسع مع الايام دائما ، يوقظ فى نفوسنا الامل فى أن الميكروبات ـ سواء ميكروبات الروح أو الجسد ـ سوف تندثر ، وأن الحرب الوحيدة التى سوف تشعلها الانسانية فى المستقبل هى الحرب ضد هذه الميكروبات » .

وكان نوبل على يقين من أن المرأة يمكن أن تلعب دورا هاما .. ففى فبراير من عام ١٨٩٦ كتب يقول : « ان كل خطوة جادة فى اتجاه السلام سوف تثمر ، واية رسالة للتقدم الكبير فى هذا الاتجاه سوف تثير فى نفوس النساء المخلصات مشاعر ، وأفكارا سوف تستنبت وتزرع فى الأجيال القادمة ، وسوف تجد العقول الثابتة فى المستقبل فى هذا الهاما كبيرا » .

ان هذه الأسطر كتبها ألفريد نوبل فى العام الذى توفى فيه . وهى تدل على أن الاهتمام الكبير بالسلام الذى عشقه لفترة طويلة ، وشكله طبقا لطريقته الخاصة فى التفكير ، والذى وجد التعبير النهائى فى وصيته عام ١٨٩٥ .. كان مع هذا الرجل المثالى العالمى حتى نهاية حياته .



المرأة فى حياة الفريد نوبل

ظل الفريد نوبل اعزب طيلة حياته ، وقد ذكر كثيرا فى الكتب التى تحدثت عنه أن أمه أندريت نوبل ــ التى ولدت باسم « السل » ــ كانت المراة الوحيدة التى كانت تعنى شيئا بالنسبة لهذا الرجل الغريب المتحفظ ونحن نعرف أنه كان على صلة ببعض الأصدقاء الحميمين القليلين . وانه كان يميل لأن يكون بعيدا عن الناس . وكان هذا القول يصدق على النساء ايضا . فقد كان يعتبر نفسه قبيحا وغير جذاب . ولكنه كان يحترم ويقدر مجتمع النساء الموهوبات حينما يكون لديه وقت لذلك . وقد ذكر فى مراسلاته التى كانت تمتاز بالطرافة ، تعليقات كثيرة عن المراة التى تتواءم مع اهتمامه وذوقه .

وتمتعت والدته العظيمة ، التى ورث عنها مظهره وكثيرا من صفات الطيبة ، والذى كان يعتبر الأثير المفضل لديها ، باعجابه الكبير واهتمامه طبلة حياته . وقد كان لهذه العاطفة بينهما أثرها .. اذ أثرت حياة كل منهما فى الآخر سواء فى الأوقات الطيبة أو الأوقات العصيبة .

وتدل الأبحاث الأخيرة ــ والوثائق التى تم الحصول عليها والتى لم يكن من المستطاع نشرها قبل خمسينات القرن الحالى ــ على أن مايقال من أنه لا توجد هناك نساء أخريات فى حياته الخاصة .. انما هو قول خاطىء .. فهناك على الاقل ثلاث نساء أخريات .

فمن قصيدة « احجية » التى يتحدث فيها عن نفسه ، والتى كتبها فى خلال رحلته الأولى للدراسة فى الخارج عام ١٨٥٦ ، أو بعد ذلك بقليل ، والتى وصف فيها الجانب المشرق والجانب الردىء لباريس ، نعرف أيضا أن تلك الفترة اشتملت على أول تجاوب عاطفى له . ففى عزلته التى كان يستشعرها فى عمق ، وجد هناك فتاة جميلة بادلته الحب واعطته ــ وهو الذى كانت حياته حتى ذلك الحين صحراء جرداء ــ أول احساس بالسعادة .. وأصبح كل منهما « سماء تظلل الآخر » ولكن سعادتهما كانت قصيرة . فقد أدى موتها المباغت ، وهو مايزال فى باريس ، الى أول خيبة أمل مريرة بالنسبة له .. ويصف الألم العنيف الذى اشتمله فى

شبابه والذى جعله ناسكا وحيدا فى عالم يضطرب بالنشاط والذى قرر أن يكرس حياته للاعمال النبيلة بقوله :

« فمنذ تلك الساعة لم أشارك الناس فى ملذاتهم ومتعهم ، ولـكنى تعلمت أن أدرس كتـــاب الطبيعة . واتفهم صفحاته وانعـم النظر فى محتوياتها . واستخلص من معلوماتهـا العميقة عـــزاء وسلوى لآلامى وجروحى » .

واختفت الفتاة المجهولة وراء الستار المظلم للزمن . ولكن اثر الحادثة بعد ذلك على عقلية نوبل الحساسة كان واضحا جدا .

وقد كان فى الثالثة والأربعين ، قبل أن تشوه آماله مرة أخرى ــ ذلك حسب معلوماتنا حتى الآن ــ فلا يمكن أن ننكر أنه حينمااتصل بالكونتيسة الجميلة الواعية الساحرة « بيرثاكينسكى » وحين وظفها عنده سكرتيرة فى ربيع عام ١٨٧٦ ، أصبح على الفور مهتما بها ، واحب الأمل الذى طاف بفكره بأنها سوف تصبح مضيفة يحتاج اليها كثيرا فى بيته الجميل . كذلك راودته فكرة أن تصبح زوجته . ونحن نعرف أنه سألها : « اذا كان قلبها خاليا » وأجابته بأنه ليس خاليا . وعلى الرغم من ان الاجابة كانت صدمة له .. فلنها أدت الى صداقة طويلة استمرت طيلة العمر وكان قوامها الاحترام المتبادل وكان كلاهما ــ وهما من دعاة السلام ــ يناقشان ، حين يتاح لهما الوقت ، أفكارهما عن السلام فىالعالم ومشكلاتهما. وذلك لما أصبحت هذه المرأة المؤلفة المعروفة وبطلة السلام بيرثا فوسوتنر .

وبعد فترة قصيرة تركت بيرثا فجأة عملها كسكرتيرة لنوبل لكىتتزوج ومرة أخرى يهبط شبح العزلة فى هــذا البيت الذى يعيش فيه نوبل . وقد يكون هذا قد مهد الطريق للأحداث التى وقعت بعد ذلك فى العام نفسه ، ولمحاولات ألفريد نوبل الاخيرة لان يقضى على هذا الشبح وأن يجد امرأة تكون على استعداد لأن تقاسمه حيــاته ، سواء كانت طيبة أو غير طيبة .. وواضح أنه فى ذلك الوقت قد شعر بحاجته الى صحبة امرأة شابة ، رقيقة العواطف ، وكان يفضل أن تكون متساوية معه فىالاتجاهات الفكرية . وقد كتب يقول : « اننى مثل الآخرين ، وربما أكثر منهم ، أشعر بالعبء الثقيل للعزلة . واننى لأبحث عن انسانة يستطيع قلبها أن يجد طريقه الى قلبى ، وذلك طيلة سنوات طويلة . والحق انه كانت هناك عدة نساء بين من يراسلهم . وكان نوبل ذا مقدرة هائلة فى تهنئتهن تهنئة رقيقة بلفات كثيرة .

وقصة المرأة الثالثة هى قصة حبه الكبير وفشله الكبير أيضا الذى

أثر فى حياته بشكل عميق ، حتى ليجب أن نقص هذه القصة ولو باختصار فهى تساعدنا على أن نتفهم حالته العقلية الحزينة فى غضون العقد التاسع والعقد الأخير من القرن الماضى ، وهى تفسر الشىء الكثير الذى لولاها لأصبح غامضا فى السنوات الأخيرة للمخترع العظيم ، ومن ثم فهى مهمة لمن يريد الكتابة عنه ، كما أنها تفيد فى رسم صورة كاملة لألفريد نوبل كرجل .

فى خريف عام ١٨٧٦ كان نوبل فى رحلة بسبب أعماله فى النمسا وفى محل للزهور فى « بادنبىوين » وهى مكان للاستشفاء . تعرف نوبل — الذى كان يبلغ من العمر انذاك ثلاثة وأربعين عاما — على « صوفى هـ . » — ١٨٥٦ — ١٩١٩ — وكانت فتاة جميلة صغيرة فى سن العشرين وكانت من بيت متواضع بسيط من بيوت الطبقة الوسطى فى فيينا . وقد هربت من هذا البيت بسبب سوء معاملة زوجة أبيها لها ، وكانت من أصل يهودى .

ولقد تقابلا كثيرا ، وحينما كانت تحكى له قصتها المؤلمة فى مطلع شبابها كان يتأثر ويهتم ويشتعل غراما . وتكشف مراسلاتهما الكثيرة والوثائق الأخرى عن القصة كلها لارتباطهما الطويل . فهى قصة حب ، بكل ماتعنيه هذه الكلمة بين هذا الرجل المنظم المهذب — والذى غالبا ماكانت تصيبه الامراض والاضطرابات العصبية ، والذى كان يريد بيتا هادئا مريحا — وبين هذه الفتاة الجميلة الساحرة غير المتعلمة والتى لا تتمتع بأى ذكاء ، والتى كانت تريد أن تنعم بالحياة ، وهى قصة تحتوى على أمثلة مؤثرة لاهتمامات نوبل ورعايته المالية والارشادية ولجهوده خلال السنين ليدربها ويصقلها حتى تقترب من مستوى شخصيته وتعليمه .. ولكن هذه القصة أيضا تعطينا صورة لمحاولات هذه الفتاة لتشجيعه وادخال السرور على نفسه .. ثم رغبتها فى التخلص من كل تدريب وتعليم لم تكن أهلا له . وأن تتمتع بحب أكثر رومانتيكية يتناسب مع نزعاتها البسيطة التى لاتعبأ بالمسئولية . وهى فى احدى صورها « قصة بيجماليون » والصراع بين النظرة الفيكتورية لهذا الرجل المتعب الوحيد وبين سلوك هذه الفتاة الشابة من فيينا .. التى استطاعت بشراهة أن تنتهز فرصة الأشياء التى طالما تاقت اليها من مال وملابس ومتعة .

وبالطبع كان لابد أن يفشل مثل هذا الارتباط ، ولكن الذى حدث أن هذه القصة استمرت ثمانى عشرة سنة مع ومضات من الضوء والسعادة وكثير من الشقاق والخلاف — قبل ان تنتهى الى مأساة — وبعد عامين قام فيهما نوبل بزيارات مستمرة لفيينا ، نجد هذه المرأة تعيش فى شقة

جميلة فى باريس تحيط بها كل وسائل الراحة المادية . ويقوم عليها الخدم ولكنها تصبح وحيدة ويتولاها القلق فى اثناءغياب نوبل فى رحلاته المستمرة وكان نوبل صارما فى مبادئه وفى اتجاهاته نحو الحياة ، كما أنه كان صارما بالنسبة للمستوى الذى يراه للصفات الطيبة والأشياء التى يعتبر ان المراة لابد ان تتمتع بها ولكنه كان يشعر بالعزلة . وفى الوقت نفسه يشعر بالحب . ولقد كان يكثر من النصيحة ، سواء فى خطاباته أو فى كلامه معها ولذلك أفسدها باهتمامه وماله ، ولابد أن يلام الى حد ما على تطور الأحداث بعد ذلك .

ومن سوء الحظ ان صوفى كانت تتمتع بقليل من الصفات الطيبة مثل حب الحياة العائلية المنظمة وواجبات البيت والتبكير وحسن التصرف فى الشئون المالية ، وأصبحت أكثر دقة بالنسبة لنفسها وعائلتها الفقيرة ، وبدأت تفشى الاماكن الانيقة حيث كانت ترى ، باسم مدام نوبل ، وهى ترافق احد المعجبين بعد الآخر . وكان نوبل — وهو فى حالة يأس لا يستطيع ان يفهم الكثير — يؤنبها بعنف ، ولكنه كان يتجاهل الكثير من الأشياء . وكان يدفع نفقات عربتها وجواهرها . كما كان يدفع حساباتها بالفنادق ، وكذلك اشترى لها فيللا أنيقة فى « أيشل » ولكنها كانت قلقة غير مطمئنة وفى حالة تراخ وكسل . وكانت خطابات نوبل الطويلة — من جميع أركان أوروبا — اليها دقيقة واعية كما كانت بلغة تشبه لغة أهالى فيينا . لقد كان يحاول — ويحفزه فى ذلك أمل كبير — أن يخلق امرأة ذكية طموحا من هذه الفتاة الكسولة التى تحب المتعة فحسب ، ويبدو بعد ذلك كأن الخطابات انما كانت توجه اليها شكلا فقط ، كوسيلة تريح نفسيته المتعبة بأن يشرح لها كل اهتماماته ويعبر عن سلوكه المتغير .

والواضح أنها لم تكن تستطيع أن تتابع ما يقوله عن تجاربه ومشروعاته . وعن قلقه بشأن شركة النفط ، أو آلامه الشديدة بسبب قضية الكورديت . ولكن تعليقاته المتعة على المسرحيات التى شاهداها معا ، أو اقتراحاته بشأن القراءة الخفيفة المناسبة . . لابد أنها قد أمتعتها وأدخلت السرور الى نفسها . ولكن اجاباتها وردودها كانت غير مهذبة وغير مفهومة . كما أنها كانت تخرج مشاعرها وتطلقها فيما يتعلق بأشياء أخرى كثيرة . وقليلا ما كانت هذه الردود تجيب عن أسئلته . ولكنها كانت مليئة بالرغبات الجديدة التى لا تشبع ، وبالحديث عن آخر «مودة» ويطلب زيادة المال الذى يرسله اليها . وغالبا ما كانت هذه الأموال تصل الى أربعة أرقام فى العملات الأجنبية المختلفة ، وكانت تحتاجها لتدفع ثمن الملابس الفرنسية والخمور المجرية، وكانتهذه الأموال توزع وتبعثر

أيضا على أفراد عائلتها الآخرين فى فيينا الذين كانوا كثيرا ما يبعثون اليها بخطابات يطلبون فيها هذا المال .

وأصبح نوبل ، بمضى الأعوام ، يتجاهل نزواتها وسلوكها . واتخذ صديقة فرنسية وقدمها لمعارفه كما قدمها لأشقائه . حينما كانوا يقومون بزيارة باريس . وواضح أنه كان يريد معرفة آرائهم دون أن يطلب ذلك صراحة . وكان نوبل بارب . وليدبيك . وفيكتور هوجو - وهؤلاء بعض أصـــدقائه من مختلف الدوائر - يظهرون العطف عليها والشـــفقة وذلك حينما يقابلونها فى بيت نوبل . ولكن الاخ لودفيج - الذى كان فى كثير من الاحوال أكثر صرامة من ألفريد ومن الآخرين - كان لا يرى ملاءمة هذه العلاقة بينه وبين هذه الفتاة ، وناشده أن يفصمها .

وعلى الرغم من أن نوبل كان قد تألم لذلك .. فانه ظل ينصحها مرة بعد مرة فى خلال السنوات من عام ١٨٧٨ - ١٨٨١ - وفى كثير من العطف المؤثر - أن تتركه ، والا تعبأ كثيرا بهذا الرجل العجوز ، وأن تجد لها شابا صغيرا . وقال لها بين ما قال : « حاولى أن تكسبى المودة الصادقة الدائمة العميقة لرجل مستقيم بسيط ، وارتبطى معه بالعلاقات الحقيقيـــــة الأصيلة لعائلة لا يمكن أن ترتبط بعلاقة منحرفة » . وان مرضك « يرجع الى خواء فى العاطفة والى لهفة للقلب لم تتحقق .. الأمر الذى يتخذ عندك شكل اعتلال الصحة » .

وقد كانت الســـنوات العشر من عام ١٨٨٣ الى عام ١٨٩٣ أى من عامه الخمسين الى عامه الستين .. فترة عنيفة قاقة فى حياة نوبل . فقد دفعته الظروف - على غير ارادة منه - الى جولة لا تنتهى من النشاط المتباين المتعدد الجـوانب . ومن ثم أنهكته المخترعات واقامة المصانع . وشركات الائتمان الكبيرة . وقضايا البراءات والسفر المستمر . واصابته فى صحته . وكانت النتيجة أنه لم يعد يحتمل مضايقات شديدة خطيرة أخرى . وقد كتب لصوفى يقول : « ان حياتى لتنقلب الى مرارة حينما أجبر على أن اتصرف كمربية بالنسبة لطفلة كبيرة ، ومن ثم اكون هدفا لسخرية أصدقائى ومعارفى » .

وتخلى نوبل عن فكرة كانت قد راودته ، وهى ان يأخذها معه الى استكهولم ليرى والدته وأقاربه ، وكان موت شقيقه لودفيج عام ١٨٨٨ ، وموت أمه عام ١٨٨٩ ، صدمة كبيرة بالنسبة له ، وشعر بعزلة موحشة وبأنه تائه ليست له جذور تشده الى هذه الأرض . كذلك فان المراة ، التى كانت ستكون الرفيق الذى طالما تاق اليه فى عزلته ، اصبحت بسبب

حماقاتها واسرافها عقبة تثير المضايقات والوهن ، كما أنها كانت تكلفه الكثير . ولكنه على الرغم من كل شيء كان معجبا بها . وكان يعاونها بكرم وسخاء . ولكنه بعـــد أن ذهب الى « سان ريمو » لم يقم بزيارتها فى « ايشل » الا لماما . وانضمت للمجتمعات الصاخبة التى كانت غريبـة عنها ، وحينما كانت تغشـــاها كانت تتكبد ديونا كثيرة باسمه . وكانت خطاباته رقيقة تسترحمها وتحذرها من مغبة ما هى ما ضية فيه . أما خطاباتها فكانت دامعة مليئة بالأرقام . ثم كانت الضربة التى لا مفر منها .

ففى خطاب مؤثر مفجع فى ربيع عام ١٨٩١ ابلغته أنها تنتظر فى خلال شهور قليلة طفلا من ضابط مجرى شاب . وكان نوبل قد تعرض لكثير من المحن من قبل ، واعتاد على الصدمات والأنباء المؤلمة ، ولكنه وهو « الجنتلمان » .. لم يتصرف أبدا فى حمق أو نزق . ومن ثم بعث اليها بكلمات كلها مودة وطمأنينة ونصيحة ، وقرر ألا يراها بعد ذلك . ولكنه رتب لها ما يعينها على مستقبلها عن طريق محام . وهكذا كانت تتلقى سنويا مبلغ ثلاثين ألف كرون ــ وكان مبلغا كبيرا فى تلك الأيام .

وفى يوليه من عام ١٨٩١ وضعت صوفى طفلـة ، ومرة واحـدة فحسب ٠٠ فى سبتمبر عام ١٨٩٤ ــ قام نوبل بزيارة صوفى والطفلة التى كانت فى الثالثة من عمرها آنذاك بعد أن عادا الى فيينا . وقد قال لها فى آخر خطاب منه اليها بتاريخ السابع من مارس عام ١٨٩٥ ــ حينما كانت على وشك أن تتزوج ضابطها الفارس : « ان طفلتك شيء صغير غال . ومن المهم الآن ان تربى بطريقة سليمة .. ولكن يجب أن تتركى أفكارك السخيفة . والحقيقة انك شخص ذو مشاعر . وهذا شيء له قيمته . واننى أعتقد أنك لست بلا ضمير كلية ، وخصوصا ان عائلتك على مسافة مائة ميل منك » .

وكان زواج صوفى شكليا فحسب .. فلم تعش هى وزوجها معا .. واستمرت فى حياتها اللاهية ، وحاول كل منهما ــ هى وزوجها ــ من زاوية خاصة أن يبتز المال من نوبل حتى موته عام ١٨٩٦ ٠ بل ان الأمل الذى كان يراود نوبل « بأن تكون كلية بلا ضمير » تعرض للخزى والمهانة . ذلك لأنها ــ كما قال راجنار شولمان فى عام ١٨٩٧ ــ اتصلت بالمشرفين على تنفيذ وصـيـة نوبل وهددتهم ببيع حق نشر خطابات نوبل المـائتين والستة عشر ، التى بعث بها اليها ، اذا لم يعطوها أكثر مما جاء فى الوصية . وكان تنفيذ الوصية صعبا بسبب أمور دقيقة . ولكى يتجنب المنفـذون فضيحة محتملة .. قاموا بشراء الخطابات على شرط أن تؤمنهم ضد أى ابتزاز قد يقع فى المستقبل .

وهكذا انتهت قصة صاحب الملايين والفتاة الصغيرة التي جاءت من الشوارع الخلفية . وهذه العلاقة السيئة التي كانت السبب الكبير في حزن نوبل وشعوره بالحزن والألم في أثناء كثير من السنوات الأخيرة من حياته . والتي تعني انه مات وهو يشعر بخيبة أمل كبيرة في المرأة والحب .

ولا نستطيع الا أن نتساءل : ماذا كان سيحدث لو أن ألفريد نوبل ، في سنواته الناضجة الواعية ، كان قد التقى في سعادة ووئام بالمرأة الملائمة التي كانت ستكون عونا له ، والتي كانت ستفهمه وتقدر مكانته ؟.



مؤسسات نوبل وجوائزه

بقلم
نيلزك ستال
المدير التنفيذى لمؤسسة نوبل

انشئت مؤسسة نوبل طبقا لنصوص الوصية التى تركها ألفريد نوبل ، والتى يرجع تاريخها الى السابع والعشرين من نوفمبر عام ١٨٩٥ فى باريس ، أى قبل موته فى العاشر من ديسمبر عام ١٨٩٦ بنحو عام . أما القوانين واللوائح التى تحكم هذه المؤسسة ومؤسسات منح الجائزة .. فقد صدر بها قرار من ملك السويد بتاريخ ٢٩ يونيو سنة ١٩٠٠ ، وهكذا ظهرت المؤسسة بعد موت ألفريد نوبل بثلاثة أعوام ونصف عام .

والهيئات التى تحكمها هذه اللوائح هى :

١ ــ مؤسسة نوبل بشركات الائتمان التابعة لها وبمجالس ادارتها .

٢ ــ هيئات اربع لمنح الجائزة وهى : (١) اكاديمية العلوم السويدية الملكية . (٢) معهد كارولين الملكى الطبى . (٣) الأكاديمية السويدية . (٤) لجنة نوبل فى البرلمان النرويجى .

٣ ــ لجان نوبل الخمس وكل منها لقسم خاص بالجائزة (ومن بينها لجنة البرلمان النرويجى التى ذكرناها من قبل وهذه فى حد ذاتها مؤسسة لمنح الجوائز) .

٤ ــ معاهد نوبل الأربعة ، وكل واحد منها لهيئة من تلك التى تمنح الجوائز .

ولجان نوبل الخمس تضم كل منها من ثلاثة الى خمسة اعضاء تعينهم المؤسسة المختصة . ويمكن لأية لجنة أن تستدعى الخبراء ليشتركوا فى أعمال اللجنة وتوصياتها ، ويمكن فى بعض الحالات أن تختار اعضاء مؤقتين لهم الحق ايضا فى ان يشتركوا فى اتخاذ القرارات . وقد يختار الأعضاء والخبراء من خارج المؤسسة التى تمنح الجائزة من غير اعتبار أو نظر للجنسية . وأعمال اللجنة تحضيرية واستشارية بالنسبة للمؤسسة الحقيقية المختصة التى تمنح الجائزة باستثناء اللجنة النرويجية فهى فى حد ذاتها هيئة تقوم بمنح الجوائز . وقد انشأت ـ معاهد نوبل ـ كل هيئة تقوم بمنح الجائزة ، وذلك للمساعدة فى التحقيقات الضرورية لمنح الجوائز ولدعم أهداف المؤسسة العامة بطرق اخرى . وقد اصبح هذا الهدف الأخير مهما جدا . والمعاهد هى :

١ ــ معهد نوبل لأكاديمية العلوم (١٩٠٥) وبه قسم للطبيعة (١٩٣٧) وقسم للكيمياء (١٩٤٤) .

٢ ــ معهد نوبل لمؤسسة كارولين الطبية ، وبه قسم للكيمياء الحيوية (١٩٣٧) وقسم الفسيولوجيا العصبية (١٩٤٥) وقسم لأبحاث الخلايا والأجنة (١٩٤٥) .

٣ ــ معهد نوبل للاكاديمية السويدية مع مكتبة نوبل للأدب الحديث (١٩٠١)

٤ ــ معهد نوبل النرويجى بمكتبته التى تمتلىء بالكتب عن السلام والعلاقات الدولية (١٩٠٢) .

التنظيم والادارة والمالية

تقوم الهيئة المختصة بتوزيع الجائزة ، باختيار مديرى المعاهد وموظفيها ، وهذه التعيينات تتم دون اعتبار للجنسية . ومؤسسة نوبل هى الهيئة الادارية العامة بالنسبة للحاصلين على الجوائز ، ويتم اختيار المسئولين عن طريق الهيئات التى تمنح الجائزة . وهناك خمسة عشر مسئولا ، كل ثلاثة منهم لقطاع للجائزة ، وهؤلاء المسئولون ينتخبون اعضاء مجلس الادارة للمؤسسة ، ما عدا رئيس مجلس الادارة ونائبه فانهما يعينان من قبل التاج ، والمهمة الأخرى الرئيسية لهؤلاء المسئولين هى فحص الحسابات السنوية لمجلس الادارة وتقارير مراجعى الحسابات وتقرير ما اذا كان مجلس الادارة سيتحلل من بعض اعبائه فى العام الذى يبحث فيه التقرير ، ومجلس ادارة المؤسسة يضم خمسة أعضاء

وثلاثة نواب وهؤلاء ينتخبون من بينهم المدير التنفيذى . والمهمة الرئيسية لمجلس الادارة هى الاشراف على الأموال والممتلكات الأخرى للمؤسسة .

والمدير التنفيذى هو الرئيس الادارى للمؤسسة . فهو مسئول عن وضع الخطوط الرئيسية لسياسة الاستثمار التى يجب أن تتبعها المؤسسة .. فيقدم المقترحات لمجلس الادارة بالنسبة للاستثمارات والموظفين . وكذلك يدير الأنواع المختلفة لممتلكات المؤسسة .. كما يعتبر مسئولا عن ترتيبات الاحتفالات التى تقام فى استكهولم بالنسبة لتسليم الجوائز الذى يتم فى وقار وهدوء . وكان من أبرز المديرين التنفيذيين الخمسة « راجنار شولمان » الصديق الشخصى لألفريد نوبل والذى تعاون معه كثيرا ، واحد منفذى الوصية . ويمكن القول بأن شولمان ، الذى خدم المؤسسة فى نواح مختلفة منذ مولدها حتى موته عام ١٩٤٨ ، قد سار على روح الفريد نوبل . والحق أن المؤسسة تدين بوجودها لتحمسه الواعى ولجهوده المخلصة لتنفيذ الوصية . وبموته انتهت آخر رابطة شخصية بين المؤسسة وبين مانح الجوائز .

ومنذ عام ١٩٢٦ ومكاتب المؤسسة تقع فى مبناها استكهولم . وهو بيت نوبل وعنوانه ١٤ شارع « شتوريجتان » .

وكانت الأموال ، التى يتم الحصول عليها من أعمال نوبل ، أكثر من واحد وثلاثين مليون « كرون » سويدى . ومجموع هذه الأموال ــ طبقا لنصوص القوانين ــ تشكل الصندوق الرئيسى (فمثلا أموال الجائزة تصل الى نحو ثمانية وعشرين مليون كرون) على حين تخصص بعض الأموال البسيطة لصندوق البناء (بناء الادارة . وقاعة للاحتفالات السنوية بالجائزة) وصناديق التنظيم . واحد لكل قسم من أقسام الجائزة الخمسة . وذلك لتغطية تكاليف تنظيم معاهد نوبل المختصة .

والصندوق الرئيسى ينمو بما يضاف سنويا الى رأس المال وهو عشر مبيعات العام . وعن طريق الأرباح فان أموال الجوائز التى لا توزع ، وعن طريق رأس المال الذى يأتى عن طريق هذا المصدر ، والذى قد يوضع كلية أو جزئيا (لا يقل عن الثلث) فى الصندوق الرئيسى . وفى كل عام توضع الأرباح الصافية من الصندوق الرئيسى تحت تصرف الهيئات التى تمنح الجوائز فى خمسة أجزاء متساوية . ويحتجز الموزعون ربع كل جزء لمواجهة النفقات الأولى بالنسبة لمنح الجوائز . ويعود الباقى لمعاهد نوبل المختصة . ومن ثم تتكون الجائزة من ثلاثة أرباع كل جزء .

وبجانب صناديق التنظيمات ، نجد أن أقسام الجوائز المختلفة لديها وتحت تصرفها أموال خاصة ومدخرات لأغراض خاصة فى الحدود التى رسمتها القوانين واللوائح .

وكل الأموال والأرصدة الأخرى تملكها وتشرف عليها مؤسسة نوبل .

وقصارى القول فان ارباح الصندوق الرئيسى ، بعد خصم ٣٢ر٥٪ (عشرة فى المائة تضاف الى راس المال ، بالاضافة الى خمسة وعشرين فى المائة من التسعين فى المائة الباقية لتغطية نفقات اقسام الجائزة) وتقسم الى خمسة اجزاء متساوية ، وهى تشكل المبلغ السنوى الذى يدفع فى جوائز نوبل . وقد وصلت الجوائز الأولى ، التى وزعت عام ١٩٠١ ، الى نحو مائة وخمسين الفا وثمانمائة « كرون » لكل منها . اما الآن .. فقد زادت الجوائز اسميا الى أكثر من سبعين فى المائة . ولكنها اقل من هذا بكثير فى قيمتها الحقيقية . وقد حدث عام ١٩٤٦ أن اعفيت المؤسسة من الضرائب على ممتلكاتها وعلى الدخل الذى يأتى منها .. باستثناء ضرائب المقاطعات الحقيقية المحلية . وكان نحو ١٣ر٥ مليون « كرون » سويدى تدفع للضرائب . كذلك فان اموال الجائزة قد اعفيت من ضريبة الدخل فى البلد الذى يتلقى الجائزة ، اما قانونا أو حسب الأمر الواقع .

وسياسة الاستثمار التى تتبعها المؤسسة ذات اهمية كبيرة فى المحافظة على الأموال ومضاعفتها ، ومن ثم تحافظ على أموال الجائزة وتضاعفها ، وقد وجهت الوصية ذاتها المنفذين لاستثمار ما يتبقى من الأموال فى سندات ادخار تشكل أموال نوبل . وفى قوانين الاستثمار الأولى عام ١٩٠١ لمجلس الادارة .. فسرت السندات الآمنة على انها سندات أو قروض ضد مثل هذه السندات أو ضد الرهونات على الممتلكات الحقيقية . وخصوصا تلك التى تتمتع بأصل سويدى أو نرويجى . وبسبب التغييرات التى أحدثتها الحربان العالميتان وما تبع ذلك من نتائج اقتصادية ومالية فسرت هذه العبارة ، فى ضوء الظروف الاقتصادية السائدة وهكذا . وبناء على طلب مجلس ادارة المؤسسة رفعت القيود الأصلية على الاستثمارات تدريجيا . وعلى هذا فان المؤسسة منذ عام ١٩٥٨ أصبحت حرة مبدئيا فى أن تستثمر أموالها ليس فى السندات والقروض المضمونة فحسب ولكن أيضا فى الأراضى وفى الأوراق المالية . ومع ذلك فما زالت هناك بعض القيود على الاستثمارات بالنسبة للأوراق المالية الأجنبية . وهدف هذه التغييرات هو تأمين رأس المال والارباح ، وكذلك مواجهة هبوط نسبة الأرباح فى سوق القروض من غير الاساءة الى راس المال واضعافه . وقد استثمرت المؤسسة رأسمالها فى السويد والنرويج أساسا ، وفى بعض البلاد الأخرى الى حد ما .

جوائز نوبل

تحدد وصية نوبل المبادىء والأسس الجوهرية للحكم على الجوائز ، وقد وضع منفذو الوصية التعليمات والارشادات الضرورية لتطبيق هذه الأسس ، وقد اشترك مع منفذى الوصية فى وضع هذه التعليمات أيضا الهيئات التى تقوم بمنح الجائزة ، وعائلة نوبل ، وهذه التعليمات موجودة فى لوائح مؤسسة نوبل ومن أجل مانحى الجوائز المتعددين . وكل هـذا يرجع الى تاريخ ١٩٠٠ ، وقد صدقت عليها الحكومة السويدية ــ طبقا لاتفاقية تم الوصول اليها فى النزاع حول الوصية .

وحسب الوصية . تمنح الجوائز لهؤلاء الذين قاموا فى العام السابق بتقديم اكبر خدمة للانسانيـة . ولا ينظر الى الجنسـية ولكن الى مدى استحقاق الفرد ذاته . وبالنسبة للأدب نص نوبل على أن الجائزة تمنح « لأبرز عمل ذى اتجاه مثالى نبيل » .

وطبقا للتعليمات نجد ان عبارة « العام السابق » لا تقيد بالضرورة بحث الأشياء الكبيرة التى تمت خلال تلك الفترة . ولكن قد تشمل على الاعمال التى لم تكن اهميتها قد اتضحت حتى ذلك الحين . وهناك شرط آخر وهو أن يكون العمل قد نشر .

وتقييد الأدب بالأعمال ذات الاتجاه المثالى النبيل قد سبب للأكاديمية السويدية ، وهى التى تقوم بمنح هذه الجائزة ، قلقا مستمرا ، وأدى الى مناقشات كثيرة بالنسبة لهذه الجائزة . فقد فسرت العبارة فى أول الامر بشكل ضيق وبطريقة حرفية . وكانت النتيجة أن عدداً كبيرا من الأسماء الكبيرة فى عالم الادب قد حذف . وشيئا فشيئا .. تغيرت فكرة « العمل ذى الاتجاه المثالى » وأصبحت تفسر على نطاق أوسع وأصبحت تطبق بروحها لا بحرفيتها .

وهناك بعض الأشخاص لهم الحق في أن يعينوا مرشحين لجائزة نوبل ، على حين يتمتع آخرون بهذا الحق بناء على دعوة من الهيئات المختصة التى تمنح الجائزة . وفى كلتا الحالتين يتم الاختيار حسب الكفاءة . وكذلك لا بد أن توضع فى الاعتبار النزعة العالمية أيضا . وقواعد منح الجائزة تختلف الى حد ما بين هيئات وجماعات منح الجائزة . والذى يؤلف بينها هو أن حق التعيين يتعلق بالأفراد لا بالأكاديميات أو الهيئات الأخرى . وذلك ليمكن تجنب المناقشات العامة ، والاقتراع والدعاية المحرجة للمرشحين للجائزة .. الأمر الذى لابد أن ينتج عن ذلك . أما أن يرشح الانسان نفسه لجائزة نوبل .. فهذا دليل على عدم أهليته . وهذا ينطبق على كل جماعات منح الجائزة . وسوف نسرد فيما يلى موجزا لقواعد الصلاحية لكل جماعة من جماعات منح الجائزة .

الطبيعيات والكيمياء

لهؤلاء الحق فى ترشيح من يرونه صالحا للجائزة حسب اللائحة السابقة :

١ ــ الأعضاء السويديون والأجانب فى الأكاديمية الملكية للعلوم .

٢ ــ أعضاء لجنة نوبل للطبيعيات والكيمياء .

٣ ــ العلماء الذين منحوا جائزة نوبل فى الطبيعيات أو الكيمياء .

٤ ــ الأساتذة الدائمون أو غير الدائمين للطبيعيات والكيمياء فى جامعات ابسالا ، ولوند ، وأوسلو ، وكوبنهاجن ، وهلسنكى ، ومعهد كارولين الطبى ، والمعهد الملكى للتكنولوجيا ، وكذلك مدرسو هذه العلوم الذين يحتلون مراكز دائمة فى جامعة استكهولهم .

٥ ــ الذين يحتلون كراسى مماثلة فى ست جامعات على الأقل أو ما يعادلها من المعاهد العليا ، على أن تختارهم الأكاديمية الملكية للعلوم ، مع ضمان توزيع عادل بين الدول المختلفة . ومكانة تعليمها .

٦ ــ العلماء الآخرون الذين تراهم الاكاديمية مناسبين لتلقى اقتراحاتهم .

الفسيولوجيا أو الطب

لهؤلاء الحق فى ترشيح الأسماء التى تمنح الجائزة :

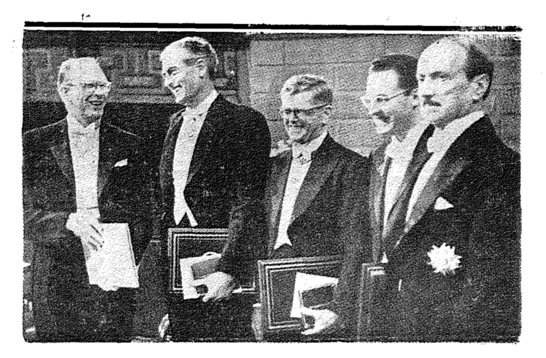
١ ــ أعضاء هيئة التدريس فى معهد كارولين .



سير ماكنادلن برونت من استرالية فى حفل نوبل عام ١٩٦٠
وبجانبه الاميرة مارجريتا السويدية



سير جون كوكفورت
وهو يتسلم وسام
نوبل من ملك السويد



الحاصلين على جائزة نوبل عن عام ١٩٦٠ بعد توزيع الجائزة فى قاعة ستكهولم الموسيقية وهم من اليسار الى اليمين ليبى (أمريكا) مداور (بريطانيا) برونت (استراليا) جلاسبر (أمريكا) سانت جون برس (فرنسا)



معهد نوبل في النرويج – ١٩ درامنسفين أوسلو

٢ ــ أعضاء القسم الطبى فى الأكاديمية الملكية للعلوم .

٣ ــ الذين حصلوا قبل ذلك على جائزة نوبل للطب .

٤ ــ أعضاء كلية الطب فى جامعات ابسالا ، ولوند ، واوسلو ، وكوبنهاجن وهلسنكى .

٥ ــ اعضاء ست كليات طبية على الأقل تختارهم اللجنة التى تمنح الجائزة ، مع ضمان التوزيع العادل بين الدول ومكانة تعليمها .

٦ ــ العلماء الآخرون الذين تراهم اللجنة جديرين بأن يقدموا اقتراحات .

الأدب

يتمتع هؤلاء بالحق فى تعيين من يرشحون للجائزة :

١ ــ أعضاء الأكاديمية السويدية والأكاديميات الأخرى والمعاهد والجمعيات الأخرى المماثلة لها فى هدفها وتكوينها .

٢ ــ اساتذة الأدب وعلوم اللغة فى الجامعات والكليات .

٣ ــ الذين حصلوا من قبل على جائزة نوبل للأدب .

٤ ــ رؤساء جمعيات المؤلفين التى تمثل الانتاج الأدبى فى دولها .

السلام

حق تعيين من يرشحون لجائزة نوبل للسلام مخول لهؤلاء :

١ ــ الأعضاء السابقون فى لجنة نوبل فى البرلمان النرويجى ، والمستشارون الذين يعينهم معهد نوبل فى النرويج .

٢ ــ اعضاء المجالس الوطنية والحكومات لكل دولة ، وأعضاء الاتحاد البرلمانى بين الدول .

٣ ــ أعضاء محكمة العدل الدولية فى لاهاى .

٤ ــ أعضاء لجنة مكتب السلام الدولى الدائم .

٥ ــ اعضاء معهد القانون الدولى .

٦ ــ أساتذة العلوم السياسية والفقه والتاريخ والفلسفة فى الجامعة .

٧ ــ الذين منحوا جوائز نوبل للسلام من قبل .

وتبعث الدعوات لترشيح من يراهم الأعضاء أكفاء لجائزة نوبل ، فى خريف العام الذى يسبق منح الجائزة ، ويجب أن تصل الترشيحات الى لجنة نوبل فى الهيئات المانحة للجائزة قبل اول فبراير من العام الذى تمنح فيه الجائزة . واذا قدمت أسماء المرشحين الى مؤسسة نوبل فانها تبعث الى « لجنة نوبل » ذات الاختصاص ، وبعد أول فبراير مباشرة تبدأ لجان نوبل عملها التمهيدى بالنسبة للأسماء المقترحين . وعدد أسماء المرشحين بالنسبة لعدد البلاد الممثلة يظهر تزايدا كبيرا (فيما عدا جائزة نوبل للسلام) .

ويجب أن تكون هذه الترشيحات مكتوبة ومصحوبة بالمادة التى نشرت والتى تؤخذ برهانا يؤيد الترشيح . واذا لم تقدم الترشيحات فى حينها .. أو اذا لم تكن المادة التى سوف تدرس بأية لغة من اللغات الاسكندينافية أو الانجليزية أو الفرنسية أو الالمانية أو اللاتينية . ولا يمكن الحصول عليها الا بكثير من التعب والتكاليف .. فان اللجنة مانحة الجائزة غير ملتزمة ببحث هذا الترشيح ودراسته .

وبعد جهد كبير ، ودراسة دقيقة وموازنة بين مزايا المرشحين ، يركز العمل فى مراحله النهائية على قليل من المرشحين . واذا اقتضت الضرورة ــ كما ذكرنا ــ يؤتى بمستشارين آخرين بغض النظر عن الجنسية ، وفى خلال شهر سبتمبر واكتوبر تقدم توصيات اللجان الى انهيئات المختصة المانحة للجائزة . ونادرا ما تترك المسألة مفتوحة . فالتاريخ النهائى للقرارات يختلف الى حد ما بين الجماعات المختلفة التى تمنح الجائزة . ولكن القرارات جميعا تتخذ فى الخامس عشر من نوفمبر . والقاعدة هى أن الهيئة التى تقوم بمنح الجوائز تتبع توصية اللجنة . ولا يمكن لاحد أن يتأكد الا بعد أن تعلن الجائزة . والجوائز قد تعطى فقط لأفراد ، باستثناء جائزة السلام التى يمكن أن تعطى للهيئات . ولا يمكن ان يستأنف ضد الجوائز والتأييد الرسمى ، سواء كان دبلوماسيا او سياسيا، من أجل مرشح بعينه ليس له تأثير على الجائزة ، وذلك لأن مانحى الجائزة مستقلون استقلالا تاما عن الدولة .

والجائزة توزع بطرق كثيرة هى :

١ ــ أن تعطى كلية لشخص واحد .

٢ ــ أن تقسم بين اثنين أو أكثر من الذين يكونون قد انتجوا معا عملا واحدا .

٣ ـ أن تقسم بالتساوى بين عملين · كل نصف يذهب لشخص ، أو يعطى نصفها لشخص ويقسم النصف الثانى بين اثنين أو اكثر ، او يقسم كل نصف بين اثنين أو أكثر .

ومع ذلك فلم يحدث فى الواقع ان قسمت المبالغ المخصصة لجائزة بين اكثر من ثلاثة أشخاص بأية طريقة من الطرق التى ذكرت فى البندين الثانى والثالث .

وقد تحتجز الجائزة للعام التالى أو لا تمنح بالمرة ، ولكن تدفع للصناديق المختلفة . ومن ثم يمكن منح جائزتين فى العام نفسه ضمن كل مجموعة من تلك التى تمنح الجوائز : وهما الجائزة المحتجزة من العام السابق وجائزة العام الحالى .

واذا كانت هناك آراء مختلفة فى أثناء بحث الجائزة فان هذا لا يسجل فى محاضر الاجتماع أو يعلن . ولكن القرار يتخذ حينما يتم الوصول اليه مباشرة · والاجراءات التى تتم قبل الجائزة لاتعلن ·· أما اعتبارا للأشخاص الذين تناقش أعمالهم ، أو بسبب النفوذ الذى قد يحدثه الرأى العام . وهذه الاعتبارات هى التى تحدد ، بل تملى ، الاتجاه الذى تسير عليه مؤسسات نوبل نحو الدعاية والاعلان . فالذى حدث أن تجربتها مع المعلومات السرية التى تحصل عليها مقدما لم تثمر . كذلك فان هناك الخوف وعدم التأكد من أن المعلومات المستوردة مقدما قد يغيرها القرار النهائى للهيئات التى تمنح الجائزة . هذا القرار الذى لا يلتزم بتوصيات اللجان المختصة .

واذا رفض أحد جائزة نوبل ، أو لم يتسلمها قبل أول اكتوبر من العام التالى ، فان أموال الجائزة تذهب للصناديق المختلفة ويذكر هذا فى قائمة الجوائز الممنوحة . واذا كان أحد قد رفض الجائزة تحت ضغط خارجى ثم أراد أن يتقبل الجائزة ·· فيمكن أن يتسلم الميدالية الذهبية والدبلوم ، ولكن لا يتسلم المال اذ أنه يحول الى الصناديق .

ويتم تقديم الجوائز فى احتفال هادىء وقور فى استكهولم وأوسلو فى العاشر من ديسمبر ، وهو اليوم الذى مات فيه نوبل . وقد اصبحت قاعدة أن يحضر أصحاب الجوائز بأنفسهم لتسلم جوائزهم التى تشتمل على جائزة مالية وميدالية ذهبية ودبلوم . وفى الوقت نفسه فان أصحاب الجوائز يحققون الالتزام الوحيد المنصوص عليه وهو أن يقدموا محاضرة عن نوبل فى خلال ستة شهور من وقت تسلم الجائزة .

جوائز نوبل فى عالم جديد

منذ أن كتب نوبل وصيته .. والتطور — وخصوصا فى المجالات العلمية الثلاثة — يجرى بسرعة اكثر مما كان يستطيع احد ان يتكهن . ولكن نوبل كتب نصوص الوصية بمرونة حتى ان الكثير مما هو جديد يمكن أن ينسب لأحد موضوعات الجائزة . كذلك فان الحدود بين الميادين العلمية التقليدية قد بدأت تنمحى . لذلك فمن الممكن ان نوسع مبدأ الصلاحية للجوائز العلمية دون أن نغير من عددها .

وهناك أيضا اتجاه آخر وهو أن الابحاث العلمية تجرى كعمل جماعى أو على أسس متشابهة داخل الميدان نفسه على يد علماء مختلفين. وهذا الاتجاه يجعل الأمور عسيرة بالنسبة لمانحى الجوائز ويؤدى الى نتائج غير مرغوبة فى حد ذاتها ، مثلما يحدث حينما تذهب جائزة لأكثر من شخص . وهذه هى الحال حينما تقسم الجائزة ولا تمنح بالمشاركة . وفى مثل هذه المناسبات نجد أن كل عمل يستحق شخصيا جائزة ويمكن أن يكافأ بمبلغ لايقسم . وهذه المشكلة تؤثر فى جوانب الادب والسلام لدرجة أقل مما تؤثر فى الجوائز الاخرى .

ويطالب مانحو الجوائز بأن يكونوا مسايرين للتقدم السريع فى نطاق المجالات التى تبحث . وحتى الآن نجد أن المرشحين الذين يستحقون الدراسة قد جاءوا من الدول الغربية الكبيرة . ومجال هذه الحضارة الغربية يتسع بسرعة . ولكن بالاضافة الى هذه الحضارة يمكن — حتى الآن — أن نرى كيف أن حضارات جديدة ستبزغ ، وكيف أن حضارات قديمة تستيقظ على حياة واعية جديدة مثمرة . ولكى تظل سمعة جوائز نوبل نظيفة مضيئة .. يجب أن يتمشى مانحو الجوائز مع آخر الاتجاهات

فى البلدان الكثـيرة وفى المجالات الواسعة للمعرفة . وهذا يضاعف المطالب أمام مانحى الجوائز والمال المطلوب لهذا العمل الذى يقومون به .

ان مؤسسات نوبل يدفعها ويحفزها التقدير الذى تلقاه لعملها فى جميع أنحاء العالم . وهى تدرك مسئوليتها فى المحافظة على الكيان الدولى والقيمة الاقتصادية للجوائز . وهى مسئولية تتضاعف كلما تتضاعف أمامها الطلبات والحاجيات .

الفهرس

		صفحة
	ـ تقديم .. بقلم : داج همرشولد	٩
	ـ تقديم .. بقلم : تشرشل	١١
	ـ مقدمة .. بقلم : رئيس مؤسسة نوبل	١٣
	ـ مقدمة المؤلف	١٥
١	ـ اسم نوبل وأسلافه	١٩
٢	ـ آباء الفريد نوبل	٢١
٣	ـ سنوات طفولته فى السويد (١٨٣٣ ـ ١٨٤٢)	٢٦
٤	ـ سنواته الأولى مع أبيه فى روسيا (١٨٤٣ ـ ١٨٥٠)	٣١
٥	ـ أثر حرب القرم على أعمال نوبل	٣٤
٦	ـ النتروجليسرين	٣٧
٧	ـ نكبة هيلينبورج	٤١
٨	ـ أول مصنع للنتروجليسرين فى العالم	٤٤
٩	ـ بين النجاح والفشل فى الصناعة الجديدة	٤٩
١٠	ـ « ديناميت جور »	٥٦
١١	ـ استعمال الديناميت	٥٩
١٢	ـ اقامة صناعة على نطاق عالمى	٦١
١٣	ـ الذهاب الى باريس عام (١٨٧٣) ـ اختراع الجيلاتين المتفجر عام ١٨٧٥)	٧٥
١٤	ـ شركة « نوبل اخوان » لانتاج النفط فى روسيا	٧٩
١٥	ـ تكوين شركات الإئتمان الدولية	٨٨

صفحة

١٦ ــ المصانع والانتـاج (الخ) ٩٨
١٧ ــ اختراع البـالستيت عام ١٨٨٧ ــ مغـادرته باريس والذهاب الى سان ريمو عام ١٨٩١ . . . . . . ١٠١
١٨ ــ (بارب) وفضيحة بنما ١٠٦
١٩ ــ قضية « الكورديت » ١٠٨
٢٠ ــ مخترعات نوبل فى تسعينات القرن الماضى ١١٠
٢١ ــ العودة الى السويد وشراء شركة (بوفورز) والنهاية فى سـان ريمو ١١٦
٢٢ ــ الوصـية ١٢١
٢٣ ــ دراسة قصيرة موجزة لشـخصية الفريد نوبل رجل المتناقضات ١٢٤



الدار القومية للطباعة والنشر
« فرع الساحل »

هذا الكتاب

سرد واع دقيق لحياة نوبل وأعماله الكبيرة وما لقيه فى هذه الحياة من انتصارات ومتاعب .. وعن عائلته التى اهتمت بالعلوم اهتماما كبيرا . وكذلك عن الوصية التى ادهشت وأثارت الكثير من العجب فى العالم.

وقد طبعت الطبعة السويدية سنة ١٩٦٠، والطبعة الانجليزية سنة ١٩٦٢

ص
٢٤



ايريك برجنجرين

كان ايريك برجنجرين فى السنوات العشر الاخيرة يعمل فى « محفوظات ومكتبات » مؤسسة نوبل باستكهلم . ومن ثم كان قريبا من كل ما كتب عن هذا الرجل .

والمؤلف كثير التجوال فقد ذهب الى أوربا وآسيا والشرق الاقصى والشرق الأوسط والأمريكتين وزار بريطانيا عدة مرات . وقضى كذلك عاما فى اكسفورد وكان فى كل هذه الرحلات مندوبا للصليب الأحمر .

كما قصد الى الشرق الاقصى وكوريا عام ١٩٣٤ .. والى ألمانيا وأوربا المحتلة فى الحرب العالمية الثانية وتونس فى أثناء القتال عام ١٩٥٢ .

وقد اشرف على لجنة الصليب الأحمر التى اعادت الجنود من المعسكرات الى المانيا عام ١٩٤٥ .



